الموعود

١٨
ذي الحجة ١٤٤٦هـ
حزيران ٢٠٢٥م
مجلة علمية تخصصية تصدر عن

في هذا العدد :

شبهتان في العقيدة المهدوية :
١) عدم تعرض البخاري ومسلم للقضية المهدوية
٢) تضعيف ابن خلدون للروايات المهدوية
الشيخ كاظم القره غولي

دلائل العصر
تصاعد الاهتمام بالمخلَص الموعود في وجدان شعوب العالم
مجتبى السادة

القيم الأخلاقية في الدولة المهدوية - تأسيسات ومبادئ
الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

شخصيّات محورية في الحركة المهدوية
الشيخ علي كريّم

فتن آخر الزمان وأساليب المواجهة
فتنة السفياني أنموذجاً
علاء عبد علي مخيط السعيدي

الدرس المهدوي بين الأهمية وآليات التخصص
أهمية البحث عن القواعد المهدوية وتدوينها
والاعتماد عليها في ضبط المسائل المتعلقة بالمهدوية
الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

نقد ومراجعة شبهات
الدكتور ناصر القفاري حول فكرة المهدوية
الناقد: نصرت الله آيتي - المترجم: علاء الزبيدي

مجلة علمية تخصّصية تصدر عن

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

المشرف العام

السيّد محمّد القبانچي

رئيس التحرير

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مدير التحرير

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

الإخراج الفني والتنضيد الإلكتروني

الأستاذ حسن محمد حسن الطريفي

عدد النسخ

٥٠٠ نسخة

الناشر

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة للناشر

www.m-mahdi.net/almauood

بسم الله الرحمن الرحيم

الموعود
مجلة علمية تخصّصية تصدر عن
مركز الدراسات التخصّصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه

قواعد النشر في مجلَّة الموعود

١- تنشر المجلَّة الأبحاث العلمية الرصينة المختصّة بعقيدة الموعود عجل الله فرجه.

٢- الأفضل أن تكون البحوث منضدة الكترونياً، على أن لا تقلّ كلمات البحث عن (٤٠٠٠) كلمة.

٣- أن تحتوي الصفحة الأُولى من البحث على عنوان واسم الباحث/الباحثين، وجهة العمل والعنوان، ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني إن وُجِد.

٤- يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.

٥- أن تُرفَق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلّة للمرّة الأولى.

٦- أن لا يكون البحث قد نُشِرَ سابقاً.

٧- لا تُعَبِّر الأفكار المنشورة في المجلَّة بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.

٨- يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيّة.

٩- تخضع البحوث لتقويم علمي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواءً أنُشِرت أم لم تُنشَر.

١٠- يُمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشِرَ فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.

١١- تُرسَل البحوث للمجلَّة، أو تُسلَّم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:

العراق، النجف الأشرف، شارع السور، قرب جبل الحويش.

رقم الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com/almauood
almauood@m-mahdi.com

المعود
ALMAUOOD

تمهيدنا
القراءات المنحرفة في العقيدة المهدوية

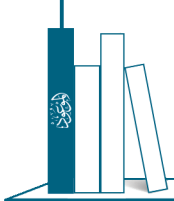

رئيس التحرير

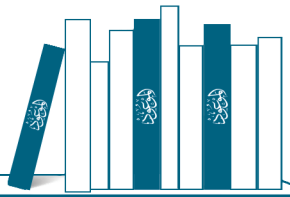

* إنَّ مسألة المهدوية من بين أهم المسائل المرتبطة بالمعتقد الديني، بل والإنساني، حيث تمثل أملاً ومشروعاً إلهياً لتحقيق العدالة في الأرض.

وقد خضعت لقراءات مختلفة، بعضها نابعٌ من مناهج متقنة مستندة إلىٰ نصوص الوحي والعقل، وبعضها الآخر وليد أهواء وتقلبات فكرية أو اجتماعية أو سياسية.

* في هذه الإطلالة، نرصد جانباً من القراءات المنحرفة في العقيدة المهدوية، ثم نفندها بالنقد المنهجي والعقدي الدقيق، حيث نقيم البرهان علىٰ خطأ هذه القراءات غير المنتجة والمنحرفة عن مسار القضية الحقيقي، لنثبت في النهاية أنَّ القراءة الشيعية الإمامية هي القراءة الرصينة المتوافقة مع القرآن الكريم والسنة الشريفة، لأنَّها مستقاة من مبادئ علم الكلام والروايات الشريفة عن العترة الطاهرة عليهم السلام.

عوامل مختلفة تؤدي إلىٰ التباين والافتراق عن المهدوية:

* تميل القراءات السنية في طابعها العام إلىٰ إنكار ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه، معتبرةً أنَّه سيولد في آخر الزمان، أو تجعله شخصية غير واضحة المعالم والهوية.

وهذه القراءة تتعارض مع الروايات المتواترة التي تثبت بشكل قطعي أنَّ المهدي من ولد فاطمة عليها السلام ومن ذرية الحسين عليه السلام، فضلاً عن مخالفتها لقانون اللطف الإلهي، الذي يقتضي وجود الإمام فعلاً، فالإنكار يتنافىٰ مع مقتضيات الإمامة، التي تقتضي وجود إمام في كل عصر لبيان الحق وحفظ الدين.

ولعل ذلك حصل بسبب الخلط بين مفهوم الخلافة السياسية والمهدوية، وهو أمر يؤدي إلىٰ تحريف العقيدة المهدوية عن أصولها.

* يعد التأثر ببعض الاتجاهات الفلسفية الصرفة، بل والكلامية غير الرصينة، من المؤثرات الكبيرة في الفهم الخاطئ للعديد من المفاهيم المهدوية، حيث يكون تفسيرها موجباً لإخراجها عن سياقاتها التي وُجدت من أجلها، كالطموح نحو المدينة الفاضلة، والاعتقاد بافتقار المهدوية إلىٰ التجربة مما أوجب الغيبة، أو الاعتماد علىٰ المهدوية العقلانية بدلاً من المهدوية المعصومة، وهكذا العشرات من المفاهيم المهلهلة أو البعيدة عن واقع المهدوية المؤسسة علىٰ يد العناية الإلهية وبيانات الوحي وخطابات العترة الطاهرة.

* كما وتعد التأثيرات السياسية والاجتماعية من بين المؤثرات التي لعبت دوراً كبيراً في بناء مفاهيم مهدوية مغلوطة، حيث دخلت بعض القراءات ضمن مشاريع سياسية تهدف إلىٰ تطويع العقيدة المهدوية لخدمة سلطات جائرة، أو لإيجاد تفسيرات تخدم أجندات معينة.

* محاولة تقريب المفاهيم إلىٰ العقل الحداثي، حيث عمدت بعض الاتجاهات إلىٰ تقديم قراءة مهدوية مجازية بعيدة عن الروايات الشريفة، كالقول بأنَّ المهدوية تعني (تحقيق العدالة الإنسانية) وليس شخصاً محدداً، هذه القراءة ترفض التصورات الغيبية للعقيدة المهدوية، وترىٰ أنَّ المهدوية ليست سوىٰ حركة إصلاحية مستقبلية أو رمزية للعدل الاجتماعي.

وهـذا مخالـف لـضرورة وجـود الإمـام المعصـوم عليه السلام، وحيـث لا يمكـن أن تخلـو الأرض مـن إمـام معصـوم، كـما دلَّـت عليـه الروايـات الصريحـة.

بـل إنَّ هـذه القـراءة تلغـي البعـد الغيبـي للعقيـدة المهدويـة، حيـث تتجاهـل الروايـات التـي تتحـدث عـن الغيبـة والظهـور كحقيقتـين واقعيتـين، ممـا يعنـي الوقـوف بوجـه النصـوص التـي تثبـت أنَّ الإمـام شـخص حقيقـي يقـود الأُمَّـة في آخـر الزمـان، لا أنَّـه مجـرد رمـز للعدالـة الاجتماعيـة.

* القـراءات التـي تنظـم المهدويـة عـلىٰ أسـاس الطـرق الصوفيـة والتأمـلات الروحانيـة للطـرق المختلفـة، والتـي تجعـل الإمـام عليه السلام خـارج نطـاق الشـخصية التاريخيـة المجسـدة، حيـث تتعـارض هـذه القـراءة، كسـابقتها، مـع النصـوص الـواردة عـن أهـل البيـت عليهم السلام، فالروايـات الكثـيرة تثبـت أنَّ الإمـام المهـدي عجل الله فرجه شـخص بـشري حـي غائـب، وليـس مجـرد تجـلٍّ معنـوي.

فضـلاً عـن مخالفتهـا لأصـول علـم الـكلام الشـيعي، الـذي يؤكـد عـلىٰ أنَّ الإمامـة لطـفٌ إلهـي، وأنَّ الإمـام عليه السلام يجـب أن يكـون شـخصاً حقيقيـاً قائـماً بوظائـف الإمامـة، وليـس مجـرد مفهـوم تجريـدي.

بـل إنهـا تناقـض مقتضيـات مـا دلَّ عـلىٰ أنَّـه عجل الله فرجه سـيقوم بالسـيف لإقامـة دولـة العـدل، وليـس مجـرد نمـوذج معنـوي أو روحـي.

* **ومـا ينبغـي، بـل ويلـزم،** هـو اتبـاع المنهـج الكلامـي المتـزن الـذي يقتضيـه العقـل والنقـل – ضمـن شرائـط محـدّدة ومتقنـة – في هذه القضيـة، مـن أنَّ الأرض لا تخلـو مـن إمـام معصـوم، وهـو الإمـام المهـدي عجل الله فرجه في زماننا، وهـو موجـود وغائب، وهـو الإمـام الثـاني عـشر، وغيابـه لحكمـة إلهيـة تتناسـب مـع سـنن الامتحـان والاختبـار، وأنَّ ظهـوره أمـر حتمـي، بدلالـة الآيـات القرآنيـة والروايـات المتواتـرة.

* * *

المعود
ALMAUOOD

شبهتان في العقيدة المهدوية:

- عدم تعرض البخاري ومسلم للقضية المهدوية.
- تضعيف ابن خلدون للروايات المهدوية.

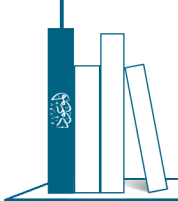

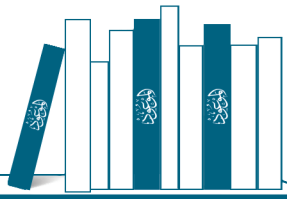

الشيخ كاظم القره غولي

الحمد لله علىٰ عظيم نعمائه وله الشكر علىٰ تنوع آلائه، وصلواته علىٰ خاتم أنبيائه محمد المصطفىٰ خيرة الورىٰ وسيد أهل الحجىٰ وخير من تقمَّص وارتدىٰ، وعلىٰ آله سادة الأنام والأئمة الكرام.

وبعد فما زالت الدنيا مليئة بالجاحدين والمنكرين والمشككين في كل ما يرجع إلىٰ الدين ومعارفه، وأكبر مشاكلنا مع شركائنا في الدين الذين صبُّوا جلّ اهتمامهم في إبطال ما انفردنا به، وربما إحالة ما اعتقدنا به، ولم يتكلموا في مشتركاتنا معهم مقابل الكافرين بمقدار ما تكلموا في الإيراد علىٰ معتقداتنا وردّ أدلَّتنا.

بين يديك عزيزي القارئ شبهتان تمسَّك بهما قوم من العامة، بل كثير من رجالاتهم للتشكيك في دولة الحق التي ستملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، نحاول دفعهما بما يقطع منابت الشك لمن أراد أن يبصر الحق بعيداً عن التأثر بالذين لا يوقنون.

وهما:

١ - عدم تعرض البخاري ومسلم لظهور المهدي عجل الله فرجه في صحيحيهما.

٢ - تضعيف ابن خلدون لروايات المهدي عجل الله فرجه.

وقد تعرضت قبل الدخول في جواب الشبهتين لبيان إباء المسألة عن دخالة العلم التجريبي، وبعض الوجوه التي قيل إنها تثبت استحالة قيام دولة الحق.

أسأل الله التوفيق وأن يجعل عملنا مما رضيه سيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه إنه خير مسؤول.

لا وجه لإنكار المهدي عجل الله فرجه إلَّا مجرد الاستبعاد:

إن ثبوت الأشياء أو ثبوت أشياء لأشياء لا يخرج عن أحد احتمالات ثلاثة:

١ - أن يكون قطعياً وضرورياً.

٢ - أن يكون مستحيلاً.

٣ - أن يكون ممكناً.

والأول والثاني يحتاجان إلىٰ دليل بخلاف الثالث، إذ توجد بين الضرورة والاستحالة واسطة وهي الإمكان، وعدم العثور علىٰ دليل يثبت الضرورة لا يعني الاستحالة.

ومهما حاول المنكر أن يجد دليلاً لإنكاره فإنه لن يجد إلَّا بعض وجوه الاستبعاد التي لا تنهض لنفي معتقد قام عليه الدليل، إذ كما تقدَّم أنَّ الاستحالة تحتاج إلىٰ دليل كما أنَّ إثبات المدعىٰ يحتاج إلىٰ دليل، وليس في التكوين شيء يصلح للاستناد إليه كدليل لا علىٰ النفي ولا علىٰ الإثبات، فقد ترك التكوين هذه المسألة (في كشفه) علىٰ حدود الإمكان وأعلن حياديته فيها، فانحصر الأمر بالبعد الغيبي الذي لا يمكن للتكوين أن ينفيه في الممكنات ذاتاً والتي منها مسألتنا.

وأنَّىٰ للتكوين أن ينفي أمراً في وقت ثبت ما هو أغرب منه؟ أليس عود الحياة لبدن قد تفسخ لم تبق منه إلَّا عظام وهي رميم أبعد من بقاء

حياة فرد لتعبر القرون الكثيرة؟ وعزير عليه السلام قد مات لمائة عام كما تصرِّح الآية ﴿فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

أليس إبقاء أبدان على الحياة لـ(٣٠٩) سنوات دون أكل أو شرب أو حتَّىٰ حركة أو نشاط حياتي اختياري أغرب من أن تمتد سنوات عمر شخص لأكثر من ألف سنة؟

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾ (الكهف: ٢٥).

وخلال تلك الفترة كانت ﴿الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَإِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ (الكهف: ١٧).

أليس البعث للحياة في الآخرة لخلود بدن عنصري - كما هو المؤدَّىٰ المقطوع به للأدلَّة الشرعية - أعجب من الحياة المحدودة في الدنيا ولو بلغت آلاف السنين؟

أليس الخلود مع عذاب لا ينقطع للكفار مع أن كل أسباب الانقطاع للحياة موجودة هناك حيث يصف القرآن ذلك إجمالاً بقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَما هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ (إبراهيم: ١٧).

بل إنَّ الموت الذي هو ضرورة في الدنيا إنَّما كان بتقدير الله تعالىٰ لا لعدم قابلية الأبدان لاستمرار الحياة.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (الواقعة: ٦٠).

فمحدودية الأعمار لم تفرضها ضرورة عدم قابلية البدن لاستمرار الحياة فيه، بل فرضتها حكمة الله في الخلق وغايات النشأة الدنيا، فالأسباب التكوينية لم تسبق لتفرض على الخالق تعالىٰ محدودية عمر الإنسان، فليس الأمر كآلة يصنعها الإنسان ويتمنَّىٰ أن يطيل عمرها لكن الأسباب تغلبه.

وأمَّا التفصيل ففيه العجب، ففي وصف سقر قال تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ (المدثر: ٢٦-٢٨).

وفي تآكل الأعضاء يقول تعالىٰ: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: ١٥).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (النساء: ٥٦).

وفي سورة المعارج يقول: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ﴾ (المعارج: ١٥-١٦).

وقد اختلف في معنىٰ (الشوىٰ) فقيل: الأطراف فلا تترك لحماً ولا جلداً إلَّا أحرقته، وقيل: تنزع الجلد وأم الرأس، وقيل: تنزع الجلد واللحم عن العظم، وقيل: تأكل الدماغ كله...

ومع كل منها يكون حفظ الحياة أعجب.

وفي مورد آخر يقول: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ (الكهف: ٢٩).

فإذا قبلنا الخلود في النار رغم هذه الصور من المعاناة وأنواع التعذيب التي لا يمكن حفظ الحياة معها، بل مع جزء منها في الدنيا وفق ما هو مألوف، فكيف ننفي حياة شخص لن تصل إلىٰ الخلود (لأنَّ الدنيا زائلة) دون أي شيء من ذلك؟

إنَّ حكم التكوين القطعي لا فرق فيه بين عالم دنيا وعالم آخرة، نعم قد يختلف الحال بالنسبة للمألوف من التكوين، ونحن لم نقل: إنَّ حياة الإمام عجل الله فرجه من مألوف التكوين في شيء أبداً، والذي يعزز من الإمكان (وإن لم يقم دليل

عـلىٰ الإثبـات) حصـول الحـالات المشـابهة في التاريـخ، بـل واسـتمرارها في زماننـا وفـق معتقدنـا.

أليس عيسىٰ عليه السلام حياً منذ أكثر من ألفي سنة؟

أليس الخضر عليه السلام حياً كل هذه السنين ومن مدة أقدم من عيسىٰ عليه السلام؟

أليس إدريس عليه السلام حياً لمدة أكثر من حياة عيسىٰ عليه السلام؟

ألم نقبـل حيـاة نـوح عليه السلام لمـدة كانـت الدعـوة فيهـا قـد امتـدت لألـف سـنة إلَّا خمسـين عامـاً؟

والنتيجـة: حياديـة التكويـن أمـام الـضرورة أو الاسـتحالة في مسـألة بقـاء الإمـام عجل الله فرجه كل هـذه السـنين.

وأمّـا الإخبـار الغيبـي فـلا يوجـد مـا يصلـح للاسـتناد إليـه لنفـي وجـود الإمـام عجل الله فرجه إلَّا روايـة واحـدة عـلىٰ مـا يبـدو، وقـد أشـار إليهـا بعـض متتبعـي العامـة، وهـي:

مـا رواه محمـد بـن خالـد الجنـدي وتفـرد بـه عـن أنـس بـن مالـك عـن النبـي صلى الله عليه وآله أنـه قـال: (لا مهـدي إلَّا عيسـىٰ بـن مريـم)، والتـي قـال ابـن خلـدون عـن راويهـا: إنـه ضعيـف مضطرب.

وهو محمد بن خالد الجندي الصغاني المؤذن.

فقـد قـال البيهقـي: فرجـع الحديـث إلىٰ روايـة محمـد بـن خالـد الجنـدي وهـو مجهـول عـن أبـان بـن أبي عيـاش وهـو متـروك عـن الحسـن عـن النبـي [صلى الله عليه وآله] وهـو منقطـع، والأحاديـث في التنصيـص عـلىٰ خـروج المهـدي أصـح إسـناداً وفيهـا بيـان كونـه مـن عـترة النبـي [صلى الله عليه وآله].

وقال أبو عبد الله الحافظ: ومحمد بن خالد رجل مجهول.

وقـال أبـو حسـن الآبـري: ومحمـد بـن خالـد الجنـدي، وإن كان يذكـر عـن يحيىٰ بـن معـين مـا ذكرتـه فإنَّـه غـير معـروف عنـد أهـل الصناعـة مـن أهـل العلـم والنقل.

وقال ابن حجر في التهذيب: قال أبو عمر: محمد بن خالد والمثنىٰ بن الصباح متروكان ولا يثبت هذا الحديث، وقال ابن حجر في التقريب: مجهول.

وقال أبو الفتح الأزدي في الضعفاء: حديثه لا يتابع عليه وإنَّما يحفظ مرسلاً عن الحسن[١].

وقال ابن تيمية: إنَّ الأحاديث التي يحتج بها علىٰ خروج المهدي [عجل الله فرجه] أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره[٢].

وقال: وهذه الأحاديث غَلَطَ فيها طوائفُ: طائفة أنكروها واحتجوا بحديث ابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا مهدي إلَّا عيسىٰ بن مريم، وهذا الحديث ضعيف، وقد اعتمد أبو محمد بن الوليد البغدادي وغيره عليه، وليس مما يعتمد عليه، ورواه ابن ماجة عن يونس عن الشافعي، والشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن يقال له محمد بن خالد الجندي وهو ممن لا يحتج به، وليس هذا في مسند الشافعي، وقد قيل: إنَّ الشافعي لم يسمعه من الجندي، وأنَّ يونس لم يسمعه من الشافعي[٣].

وقال الذهبي في الميزان: محمد بن خالد عن أبيه عن جده أبي خالد السلمي لا يدرىٰ من هؤلاء، روىٰ عنه أبو المليح الرقي[٤].

نعم، هناك من قبل روايته من العامة، لكن يكفيك جرح البيهقي وابن حجر والذهبي.

وعليه فالرواية - ولو لم تكن معارضة بالمتواتر - لا يمكن القبول بها، فكيف وقد قام التواتر علىٰ خلافها.

---

١. الضعفاء: ٩/ ١٤٥؛ وفي جامع الكتب الإسلامية: ج٢٥، ص١٤٦، (محقق).
٢. منهاج السنة: ٤/ ٢١١.
٣. نفس المصدر والصفحة.
٤. ٣/ الترجمة ٧٤٦٨.

العلم التجريبي لا ينفع في المقام:

تشكل التجربة قناة لمقاربة الحقيقة والكشف عنها، وقد كانت طريقاً لتطور الرؤية عن الحقائق في الكون واتِّضاح الصورة لكثير من جزئياته، وقد مثلت القناة الأساسية للمعرفة في الحضارة الغربية في نهضتها الحديثة، والانكشاف أمر تكويني ليس بإمكان أحد أن ينكره أو يقلل من شأنه.

ونفس التكوين يفرض مجموعة من المحددات علىٰ كاشفية التجربة وحكاية نتائجها عن الواقع، ومنها:

١ - إنَّ استعمال التجربة محدود بما فيه قابلية التجريب، وهو بعض عالم الطبيعة، والماورائيات ليست من هذا العالم، ولذلك تفقّد التجربة قدرتها علىٰ الكشف عن الماورائيات والميتافيزيقيا، ولذلك كلَّت التجربة عن أن تعطي رأياً في الرؤىٰ الدينية، فإنَّها عاجزة عن مقاربة مفردات مثل الوحي والملائكة والإمداد الغيبي وحاكمية عالم ما فوق الطبيعة علىٰ جزئيات الطبيعة، وعالم الآخرة وما بعد الموت والبعث والنشور والصراط والميزان وغير ذلك.

وبذلك يظهر أنَّ حصر مصدر المعرفة بالتجربة ليس إلَّا دعوىٰ زائفة لم تستند إلىٰ مأخذ ولم تتَّكئ علىٰ برهان، بل الدليل قائم علىٰ بطلانها فضلاً عن كونها دعوىٰ لا بيّنة ولا مبيّنة.

٢ - إنَّ التجربة لا تكشف إلَّا عن الاقتران بين الأشياء أو تراتبيَّتها، وليس لها القدرة علىٰ إدراك وجود رابطة التأثير ونوعها ولا كيفية التأثير في كثير من الحالات.

٣ - إنَّ نتاج التجربة يمثل نوع استقراء، وغاية كشف الاستقراء هو الظن إذا لم يكن تاماً، وأمّا إذا كان تاماً فلا فائدة فيه، فإن الذي يراد من مصادر المعرفة أن توفره هو كشف الحقيقة غير الظاهرة، فإذا صار الاستقراء

تاماً فهذا يعني أنَّ كل جزئية قد جربت وعرف واقعها، فبماذا ينفعني الاستقراء حينئذٍ؟

٤ - عجز التجربة عن إعطاء رؤية في الحالات النادرة التحقق أو المتفردة في الوجود، كولادة شخص من غير أب، أو خلْقةِ أبي البشر من طين، أو نُطقِ فرد في المهد صبياً، أو إبراءِ الأكمه والأبرص، بل حتَّىٰ إبداء رأي في المعجزات، وامتداد حياة شخص علىٰ مسافة طويلة من عمود الزمان، وإعادة الحياة للأفراد الموتىٰ.

نفي محمد فريد وجدي لعقيدة المهدي في موسوعته:

قال وجدي في دائرة معارفه: ورد في الكتب القديمة أنه إذا قربت القيامة وجاءت أشراطها وعم الفساد الأرض أرسل الله رجلاً يقال له: المهدي من عترة النبي ﷺ، فتولىٰ الخلافة وملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأنَّه يحكم سبع أو ثمان أو تسع سنين وأن المسيح يصلي خلفه... إلخ[١].

وبعد خمس صفحات يقول:

هذا ما ورد من الأحاديث في المهدي المنتظر، والناظرون فيها من أولي البصائر لا يجدون في صدورهم حرجاً من تنزيه رسول الله ﷺ من قولها فإن فيها من الغلو والخبط في التواريخ والإغراق في المبالغة والجهل بأمور الناس والبُعد عن سنن الله المعروفة ما يشعر المطالع لأول وهلة أنَّها أحاديث موضوعة تعمد وضعها رجال من أهل الزيغ أو المشايعين لبعض أهل الدعوة من طلاب الخلافة في بلاد العرب أو المغرب[٢].

ولا أعجب من هذه الطريقة في ردِّ الروايات فقد أتىٰ ببدع من الوجوه في ردِّها حيث ردَّها بـ:

---

١. دائرة معارف القرن العشرين: مادة هدىٰ، ج١٠، ص٤٧٥.

٢. نفس المصدر: ص٤٨٠.

١ – أنَّ فيها غلوا.

٢ – أنَّ فيها خبطاً في التواريخ.

٣ – الإغراق في المبالغة.

٤ – الجهل بأمور الناس.

٥ – البُعد عن سنن الله المعروفة.

ثم يستنتج أن المطالع ولأول وهلة يشعر أنَّها أحاديث موضوعة تعمد...

وفي مقام الرد نقول:

١ – **الغلو**: هو تجاوز الحد، ولكي تصف مفردة ما بالغلو فلابد في رتبة سابقة من معرفة الحد ليتبيَّن عند تجاوزه حصول الغلو، وفي محل كلامنا لم يحدِّد الحدّ عند الواصف بالغلو، فأي تجاوز للحد عندما تأتي رواية تقول: إنَّ في آخر الزمان دولة حق تملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً؟ وأنَّ قائدها ومقيمها هو شخص من عترة النبي ﷺ؟ هل في ذلك تجاوز لمحدد ليقال في وصف النقل: إنَّه غلو؟ هل في الأمر استحالة؟ وعلىٰ ماذا تستند للقول بالاستحالة أو لتحديد الحد ليكون تجاوزه غلواً؟

٢ – **الخبط**: وهي كلمة تعددت استعمالاتها في اللغة، لكن المراد هنا السير علىٰ غير هدىٰ وفعل الشيء عن جهل.

وهل في نقل الروايات المتعدِّدة عمَّن أخبرنا بأنباء السماوات والأرض وعالم الدنيا وعالم الآخرة خبط في التواريخ؟ ثم ما علاقة المسألة بالتاريخ، بل حتَّىٰ باستشراف المستقبل؟ إنَّما أنقل رواية أو روايات عمن حاله وفق وصف القرآن أنَّه ما ينطق عن الهوىٰ، إنَّما هو وحي يوحىٰ.

٣ – **الإغراق في المبالغة**: الإغراق هنا لا يتحمل معنىٰ إلَّا الإطناب والإسهاب، ولا تأتي بقية المعاني كالمبالغة، والإماتة بالخنق بالماء، ولا إنزال السفينة إلىٰ قعر الماء، ولا تدفق السلع الذي يؤدي إلىٰ عجز الإنتاج المحلي عن المنافسة.

ونقل الروايات ليس فيه مبالغة فضلاً عن الإغراق فيها، فالمبالغة إنما تصدق إذا كان هنا حقيقة ما أو حالة ما فتجاوزتُ في وصفها واقعها، وهذا يعني وجود واقع محدد ثم يبرز أو يوصف بنحو يتجاوز ذلك الواقع.

فما الواقع الذي يتجاوزه ناقل رواية أو حتَّىٰ واضعها في محل البحث كما يريد هذا المتحدث أن يقول؟

٤ - **أمّا الجهل بأمور الناس**: فهو أغرب وصف في هذا المحل، فما هي أمور الناس التي جهلها متحدث عن مرحلة مستقبلية في حياة النوع الإنساني، ويريد علىٰ أساسها نفي قيام دولة حق تعلقت بقيامها إرادة إلهية غالبة؟

أم يريد أن يقول: إن حال الناس علىٰ مر الدهور يمنعنا من قبول قيام دولة ينتشر فيها العدل؟ وهل ذلك قطعي؟ من كان يتصور أن أمة العرب ستؤسس حضارة تحكم أطراف الدنيا يقودها من لم يكن أهله يعرفون القراءة والكتابة ولم يعيشوا أي حالات التحضر ولا الحياة المدنية، لا يحملون تصورات واقعية عن الكون ولا يمتلكون مفردة من مفردات الثقافة ولم يعهد منهم سياسة أمة وإدارة اقتصاد ولا ولا ولا...

من كان يتخيل حصول مثل هذا التحول خلال هذه المدة القياسية في القِصَر؟ فلماذا نستبعد أن الله تعالىٰ سيجمع كلمة الناس في مرحلة علىٰ إطاعة إمام مفترض الطاعة بعد أن تتقاذفهم الأهوال ويغرقهم الانحطاط الأخلاقي؟

٥ - **البعد عن سنن الله المعروفة**: إنَّ التاريخ مليء بالمعجزات التي في كلها خروج عن سنن الله المعروفة، فهل من سنن الله المعروفة خروج الناقة وفصيلها من الصخرة، أو صيرورة النار برداً وسلاماً علىٰ من يُلقىٰ فيها بالمنجنيق، أو انفجار عيون الأرض، وفتح أبواب السماء بماء منهمر لتغرق الأرض بجبالها، أو شق البحر ليكون كل فِرْقٍ كالطود العظيم، أو بقاء شخص في بطن حوت لثلاثة أيام، أو انقلاب مدينة فيجعل أعلاها أسفلها أو إحياء الموتىٰ أو أو أو...

وهل يشكِّل ذلك وجهاً معتمداً لنفي تحقق مفردة في التكوين ممكنة في نفسها وقام الدليل الشرعي عليها؟ أوَ يكون الاستغراب كافياً كمستند للنفي فيكون على وزان: ﴿أَبَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَّبِعُهُ﴾ (القمر: ٢٤)، ووزان ﴿ما سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ﴾ (ص: ٧).

أساس النفي عند بعض النافين:

أساس الإشكال الذي بني عليه رأي بعض الكُتّاب المسلمين في مسألة الإمام المهدي عجل الله فرجه يرجع إلىٰ نقطتين:

١ – عدم ورود شيء من الروايات في الصحيحين.

٢ – تضعيف ابن خلدون لأسانيدها.

ومما تعرض إلىٰ الأول ما ورد في كلمات أبي الأعلىٰ المودودي حيث قال:

والأحاديث في هذه المسألة – مسألة المهدي – علىٰ نوعين: أحاديث فيها الصراحة بكلمة (المهدي)، وأحاديث إنما أخبر فيها بخليفة يولد في آخر الزمان ويعلي كلمة الإسلام، وليس سند أي رواية من هذين النوعين من القوة بحيث يثبت أمام مقياس الإمام البخاري لنقد الروايات، فهو لم يذكر منها أي رواية في صحيحه، وكذلك ما ذكر منها الإمام مسلم إلَّا رواية واحدة في صحيحه، ولكن ما جاءت أيضاً الصراحة بكلمة المهدي، وأمّا الروايات في الكتب الأخرىٰ – غير الصحيحين – فقد جمعناها كلها تقريباً في الذيل الثاني[1].

والإنصاف أنَّ المودودي هنا أقرَّ بوجود رواية في صحيح مسلم، كما أن ما ذكر لم يجعله ينكر ظهور المهدي عجل الله فرجه، لأنَّه بعد ذلك بصفحتين قال:

غير أنَّ من الصعب علىٰ كل حال، القول بأن الروايات لا حقيقة لها

١. أبو الأعلىٰ المودودي – البيانات: ص١١٤، البيان الثالث.

أصلاً، فإننا إذا صرفنا النظر عما أدخل فيه الناس من تلقاء أنفسهم، فإنها تحمل حقيقة أساسية هي القدر المشترك فيها، وهي: أن النبي ﷺ أخبر أنه سيظهر في آخر الزمان زعيم عامل بالسنة يملأ الأرض عدلاً، ويمحو عن وجهها أسباب الظلم والعدوان، ويعلي فيها كلمة الإسلام، ويعمم الرفاه في خلق الله[١].

الشبهة الأولىٰ: عدم ذكر روايات المهدي عجل الله فرجه في الصحيحين:

أي شبهة (دلالة عدم نقل البخاري رواية وعدم ذكر مسلم لرواية صريحة في المهدي) علىٰ (عدم صحة الروايات سنداً) والتي أشار إليها جملة من الباحثين، كأحمد أمين المصري الذي قال في كتابه المهدي والمهدوية: ومما يشهد بالفخار للبخاري ومسلم أنهما لم تتسرب إليهما هذه الأحاديث (أي أحاديث المهدي) وإن تسربت إلىٰ غيرهما من الكتب التي لم تبلغ صحتهما[٢].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: ولذلك لم يعتد الشيخان (البخاري ومسلم) بشيء من رواياتها (روايات المهدي) في صحيحيهما[٣].

وفي رسالة (لا مهدي يُنتظر بعد الرسول خير البشر)، قال الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود: إن هذه الأحاديث لم يأخذها البخاري ومسلم ولم يدخلاها في كتبهما مع رواجها في زمنهما، وما ذاك إلَّا لعدم ثباتها عندهما[٤].

وقال: كما تحاشىٰ عنها (أي أحاديث المهدي) البخاري ومسلم والنسائي والدارقطني والدارمي، فلم يذكروها في كتبهم المعتمدة وما ذاك إلَّا لعلمهم بضعفها.

---

١. نفس المصدر: ص١١٦.

٢. المهدي والمهدوية: ص٤١.

٣. تفسير المنار: ج٩، ص٤٩٩.

٤. لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر: ص٦، ٨، ٢٦، ٣١، ٣٩.

رد شبهة دلالة (عدم نقل البخاري ومسلم) علىٰ ضعف روايات المهدي:

١ - ما ذُكر من أن البخاري لم ينقل ذلك في صحيحه وأن مسلماً قد نقل رواية واحدة، غير صحيح.

ففي الحديث رقم ٣٣٧٦، ج٣، ص٧٢، روىٰ البخاري: عن نافع مولىٰ أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟

وهي صحيحة السند علىٰ موازينهم، ففي سندها ابن بكير يحيىٰ بن عبد الله، وهو ثقة أخرج له الشيخان، والليث بن سعد الذي قيل فيه: إنه ثقة ثبت فقيه، ثم يونس بن زيد الثقة الثبت الذي أخرج له الستة، ثم ابن شهاب محمد بن مسلم الزهري الذي قيل فيه: فقيه حافظ متفق علىٰ جلالته ومكانته، ثم نافع مولىٰ أبي قتادة الأنصاري وهو ثقة أخرج له أصحاب الصحاح الستة، ثم أبو هريرة وهو عند القوم صاحب المنزلة الكبيرة.

نعم، لم يصرح البخاري أن المراد من إمامكم في الحديث هو المهدي، لكن قد أجمع شراح الحديث أن المقصود هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان.

وورد في صحيح مسلم أكثر من رواية:

الأولىٰ: ج٤، ص٢٢٣٤، ح٢٩١٣، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عدداً.

ورجال سنده: حرملة بن يحيىٰ (ثقة أخرج له مسلم) ثم ابن وهب (ثقة حافظ عابد أخرج له الستة)، ثم يونس بن يزيد، ثم ابن شهاب الزهري، عن نافع مولىٰ أبي قتادة الأنصاري، وقد نقلنا وثاقة الثلاثة في تقييم رواية البخاري ثم أبو هريرة، فالرواية صحيحة علىٰ مبنىٰ القوم.

وقد ذكرت الروايات أن الذي يحثي المال هو المهدي عجل الله فرجه.

الثانية: ج١، ص١٣٧، ح١٥٦، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون علىٰ الحق ظاهرين إلىٰ يوم القيامة - قال -: فينزل عيسىٰ بن مريم فيقول أميرهم: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا، إن بعضكم علىٰ بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة.

وسند الرواية:

زهير بن حرب (ثقة ثبت أخرج له الشيخان)، عبد الصمد بن عبد الوارث (ثقة أخرج له الشيخان) عن عبد الوارث بن سعيد (ثقة أخرج له الستة) عن داود بن أبي هند (ثقة ثقة حافظ) عن أبي نضرة (ثقة) عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله، وهما صحابيان جليلان.

والرواية الثالثة: ما رواه مسلم عن نصر بن علي الجهضمي (ثقة ثبت أخرج له الستة) عن بشر بن المفضل (ثقة ثبت عابد أخرج له الستة) حدثنا علي بن حجر السعدي (ثقة ثبت أخرج له الشيخان) حدثنا إسماعيل بن علية (ثقة حافظ أخرج له الستة) كلاهما عن سعيد بن زيد (ثقة أخرج له الستة) عن أبي نضرة (ثقة) عن أبي سعيد الخدري، فالرواية صحيحة علىٰ مبنىٰ القوم.

ومتنها: قال رسول الله ﷺ: «من خلفائكم خليفة يحثو المال حثواً لا يعده عداً»[1].

وقد ذكر المهدي عجل الله فرجه بالوصف لا بالاسم.

والرواية الرابعة: ما رواه بسنده عن عبيد الله بن القبطية، عن أم سلمة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: يعوذ عائذ بالبيت، فيُبعث إليه بعثٌ فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم[2].

---

١. صحيح مسلم ٨: ١٨٥.

٢. صحيح مسلم: ج٨، ص٦٦١، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، المكتبة الإسلامية: ج٤، ص٢٢٠٩.

والعائذ هو الإمام المهدي عليه السلام وفق مرويات القوم في سنن أبي داود[١]، وابن أبي شيبة في الفتن[٢] ومسند أحمد بن حنبل[٣] وكنز العمال[٤] ومستدرك الحاكم[٥] وغيرها من المصادر.

٢ - إنَّ هذا الإشكال مبني علىٰ أن كلاً من مسلم والبخاري قد بنيا علىٰ ذكر كل حديث صحيح في زمانهما، وهذا أمر غير صحيح لاعتبارات عدة:

أ - أنَّهما صرَّحا بعدم استيعابهما لكل الأحاديث الصحيحة، فقد نقل عن البخاري قوله: وقد تركت من الصحاح لحال الطول[٦].

وروىٰ الإسماعيلي عنه أنَّه قال: وما تركت من الصحيح أكثر[٧].

ونقُل عنه أنَّه قال: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح، وما نقله في كتابه سبعة آلاف ومائتان وسبعون حديثاً بالأحاديث المتكررة[٨].

واشتهر عن مسلم أنَّه قال: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هنا، إنَّما وضعت ما أجمعوا عليه.

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: فإنهما (البخاري ومسلم) لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل صحيح عنهما تصريحهما بأنَّهما لم يستوعباه، وإنَّما قصدا جمع جمل من الصحيح...[٩].

---

١. ح٤٢٨٦.

٢. ح١٩٠٧٠.

٣. ح٢٦٧٣١، ج٦، ص٣١٦.

٤. ح٣٨٦٩٨.

٥. ح٨٥٨٦.

٦. مقدمة صحيح البخاري: ج١، ص٢٢ وعلىٰ بعض طبعاته: ص٢٠.

٧. ابن حجر مقدمة فتح الباري: ص٧.

٨. ابن الصلاح علوم الحديث: ص٢٠.

٩. صحيح مسلم بشرح النووي: ج١، ص٣٢.

وقال الحاكم النيسابوري: صنَّفا في صحيح الأخبار كتابين مهذبين انتشر ذكرهما في الأقطار ولم يحكما ولا واحد منهما أنَّه لم يصح من الحديث غير ما أخرجه[1].

ب - وجود المستدركات، وأهمها مستدرك الحاكم النيسابوري الذي أودع فيه أحاديث صحيحة علىٰ شرط الشيخين أو أحدهما.

وقد استعرضنا في مواد من البحث جملة من الروايات في موضوعنا والتي توفرت علىٰ شرائط الشيخين ولم ينقلاها.

فإذا كان البخاري ومسلم يصرحان بأنهما لم يستجمعا كل الروايات الصحيحة، بل يصرّح البخاري بأن ما ضمنه كتابه (٧٢٧٥) قد اختاره من مائة ألف من الصحاح التي حفظها، فهذا يعني أن ما دوّنه من الصحاح ما نسبته واحد إلىٰ (٧٤٥٧, ١٣) تقريباً، فما تركه من الصحاح يقرب من ثلاثة عشر ضعفاً مما ذكره، ويأتي بعض متتبعي علمائهم ويجد مجموعة روايات في موضوع واحد صحيحة علىٰ شرط الشيخين، فلماذا لا نقبل هذه الروايات؟ وكيف يسوغ لنا التشكيك فيها أو تضعيفها اعتماداً علىٰ عدم ذكرها في الصحيحين؟

ج - وجود روايات صحيحة في غيرهما، وإن لم يتعرض لها من استدرك.

٣ - هناك شواهد علىٰ أن نسخ الصحيحين المتداولة قد جرىٰ حذف بعض رواياتها مما يرتبط بموضوع البحث، مثل حديث المهدي حق، وهو من ولد فاطمة.

وقد نقله عن صحيح مسلم وابن حجر الهيثمي الذي قال في الصواعق المحرمة ب١١ الفصل الأول، ص١٦٣، بعد ذكر الحديث (المهدي من عترتي من ولد فاطمة): أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة وآخرون.

---

١. المستدرك - المقدمة: ج١، ص٤١.

وجاء في كنز العمال: أخرجه داود ومسلم عن أم سلمة: المهدي من عترتي من ولد فاطمة[١].

وقال الصبان عنه: أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة والبيهقي وآخرون[٢].

٤ - من أين لنا الجزم بصحة كل ما أسس له الشيخان لو أنَّهما أسسا أنَّ ما لم يذكر في كتابيهما فهو ضعيف، أن هذه دعوىٰ دون إثباتها خرط القتاد، بل التتبع إذا وافق الدعوىٰ فإنَّه يكون شاهداً عليها لا دليلاً لها، والتتبع أثبت خلاف ذلك، ولذا كتبت المستدركات.

علىٰ أنَّ غير المقبولات - بل غير المعقولات - تملأ الكتابين، كالتجسيم والنزول - نزول الله جل شأنه - إلىٰ الدنيا كل ليلة[٣].

وغير ذلك.

كان النبي صلى الله عليه وآله معروفاً عند قريش بأنه الصادق الأمين، لكن ذلك لم يستدع أن تصدق الناس بكل ما يقول، ولذلك كان حقاً لهم أن يطالبوه بآية ودليل علىٰ ما يقول، وهكذا كان حال الأنبياء عليهم السلام، فصارت الآيات والمعجزات شاهد الحق علىٰ ما يقوله الأنبياء عليهم السلام، ومتمم الحجة لهم علىٰ أقوامهم.

ولم يحصل أن يرسل رسول أو يبعث نبي إلىٰ قومه بدون أن يقترن ذلك بمعجزة تقطع منابت الشك في نفوس الناس الذين يطلبون الحق، ولا يدَّعي منتسب للدين أن المعجزة لم تكن ضرورية في التصديق وإتمام الحجة علىٰ الناس.

---

١. ج١٤، ص٢٦٤، ح٣٨٦٦٢.

٢. إسعاف الراغبين: ١٣١/ ١.

٣. قيل بتواتر هذه الروايات في الصحيحين وغيرهما وفي صحيح البخاري: ١٠٢٠.

فكيف يقبل دعوىٰ مدَّعٍ (لو ادَّعىٰ) أنَّ كل خبر يخبر به فهو متوفر علىٰ شرائط الصحة، وأن كل ما تركه فهو فاقد لبعضها؟

هذا والنبي ﷺ يخبر عن الغيب بلا واسطة، فاحتمال المخالفة للواقع لا منشأ له إلَّا خطأ الحس أو تعمد الخطأ، وهما أمران يمكن بسهولة إحراز عدمهما، والبخاري يصحح الأخبار عن النبي ﷺ بالوسائط المتعددة التي تتصل ببعضها إلىٰ أكثر من قرنين من الزمان، ومن جزئيات موضوع صحة استناد المعرفة بأحوال الرواة، وجيل الصحابة الأول فقط قد تجاوز عددهم مائة ألف، فضلاً عن الطبقات اللاحقة إلىٰ أكثر من مائتي عام.

وأحوال الرجال ليست بالأمر الذي يمكن الاتفاق عليه بسهولة، لأن الوثاقة والصدق والأمانة والعدالة ليست من المدركات الحسية، بل تُعرف بلوازمها وآثارها، ومن هنا كثيراً ما وقع الاختلاف في وثاقة رجل، وكتب أحوال الرجال تعجّ بالرواة الذين اختُلف في وثاقتهم.

فأية فضيلة نسبها القوم للرجلين حتَّىٰ استغنيا في دعواهما عن شواهد الحق واتّبعتهم أجيال المسلمين بعلمائهم وعوامهم، ولم يستغن الأنبياء عن ذلك؟

أتعرف أن من مستندات الوثاقة وشواهدها عندهم أن يكون الرجل ذا صحبة للنبي ﷺ، وتتحقُّق الصحبة عند البخاري للمسلم المصدق بالنبي ﷺ بمجرد رؤيته، والتاريخ يحدثنا ما فعله الصحابة، ألم يُقتل مِن حرب الصحابة مع بعضهم في الجمل (خمسة وعشرون ألفاً) علىٰ بعض النقول التاريخية؟ ألم يرتد الكثير ممن رأىٰ النبي ﷺ لتبدأ حروب الردة؟ ألم تكن المدينة وما حولها تعجّ بالمنافقين، والمنافق في الدرك الأسفل من النار؟ ألم ينادِ بعض المخصوصين من الصحابة ومن يوصف بخال المؤمنين وكاتب الوحي بأن الذمة قد برئت ممن يروي فضيلة لأبي تراب؟ ألم يقف أمام الملأ ليقول: إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم.

ألم يتردد النبي ﷺ في تبليغ أمر الولاية حذراً من تكذيب صحابته! حتَّىٰ أُلزِم بالبيان وضمنت له السماء دفع ضررهم؟

﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧).

أم يقولون: إنه كان يخشىٰ من الكفار؟

ألم يرفض بعض هؤلاء الصحابة إبدال نخلة له في بستان أنصاري بالجنة، والنبي ﷺ - الذي هو أولىٰ به من نفسه - يدعوه للتخلي عنها بل يضمن له الجنة إن تخلىٰ عنها؟

أليس أبو سفيان قد رأىٰ النبي وقد أسلم، ونقل عنه البخاري حواره مع ملك الروم، وأبو سفيان هذا الذي يقول لبني أمية عندما ولي عثمان: تلاقفوها يا بني أمية، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار؟

لا نريد أن نكشف سوءات القوم، لكننا لا نريد أن نُستَغفل تحت عنوان صحابة النبي، ومن نقلوا لنا القرآن، وأن الطعن في أحدهم يراد به إبطال القرآن والإسلام، كما يقول أبو زرعة وغيره، علىٰ أن سوءات القوم لا تحتاج إلىٰ مهارة وبذل جهد للوقوف عليها، فكتب المبجِّلين لهم المعظِّمين لأمرهم مليئة بالمفردات المخزية.

فإذا كان هذا أساس الحديث ومنطلقه، فكيف نقبل بمصحح الأخبار الصادرة من أي منهم؟

قلة ما رواه البخاري ومسلم عن علي عليه السلام:

أجمعت الأُمَّة علىٰ علم علي عليه السلام حتَّىٰ قال أعلامهم: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن، لولا علي لهلك فلان.

ونقل جملة من محدثيهم عن النبي صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومن أراد المدينة فليأت الباب»[١].

والخطيب في تاريخه ٤/ ٣٤٨، ٧/ ١٧٢، و١١/ ٤٨-٤٩ بطرق مختلفة، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٧، وابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ٢٣، والمتقي في كنز العمال ح٣٢٩٧٨ و٣٢٩٧٩ و٣٦٤٦٣، وابن عبد البر في الاستيعاب...، وذكر في الغدير من مصادره ١٤٣ مصدراً، كما ذكر كلمات الأعلام المصرحين بصحة الحديث.

ونقلوا عنه عليه السلام قوله: «علمني رسول ألف باب كل باب يفتح ألف باب»[٢].

ونحوه ما رواه الفخر في تفسير ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفىٰ﴾ (البقرة: ١٣٢؛ آل عمران: ٣٣)[٣]، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعلم الناس من بعدي علي بن أبي طالب»[٤].

وقوله صلى الله عليه وآله: «علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه إيمان وبغضه نفاق والنظر إليه رأفة»[٥].

وقوله صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار».

وقوله صلى الله عليه وآله: «علي مع القرآن والقرآن معه لن يفترقا (لن يتفرَّقا) حتَّىٰ يردا عليَّ الحوض».

---

١. أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ١٢٦-١٢٧.

٢. أخرجه أبو نعيم والإسماعيلي في معجمه فتح الملك العلي ص١٩، كنز العمال ٦/ ٣٩٢.

٣. نظم درر السمطين ١١٣، فرائد السمطين ص٨٦.

٤. عن سلمان كنز العمال ٣٢٩٧٧.

٥. كنز العمال ١٢/ ٢١٢ و٦/ ١٥٦، القول الجلي ح٣٨ ونحوه ما روي في كنوز الحقائق ص١٨٨ وحلية الأولياء ١/ ٦٣.

وغير ذلك كثير، ولأجل هذه كان ابن عباس يقول: والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله، لقد شارككم في العشر العاشر[١].

وكان يقول: ما علمي وعلم أصحاب محمد ﷺ في علم علي إلَّا كقطرة من سبعة أبحر[٢].

في ينابيع المودة عن أبي الحسن بن سعيد:

يا أهل بيت المصطفىٰ عجباً لمن ... يأبىٰ حديثكم من الأقوام

والله قد أثنىٰ عليكم قبلها ... بهداكم شدت عرىٰ الإسلام[٣]

وحتَّىٰ قال معاوية حين بلغه قتل علي: ذهب الفقه والعلم بموت علي بن أبي طالب[٤].

وقيل لعلي: مالك أكثر أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً؟ فقال: إني كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني[٥].

ويروي القوم علىٰ ما ذكره ابن حزم في مسند بقي بن مَخْلَد[٦] عن أبي هريرة (٥٣٧٤) حديثاً، روىٰ البخاري منها (٤٤٦)، هذا وأبو هريرة مع تأخر إسلامه وإدراكه من بقية عمر النبي ﷺ سنة وتسعة أشهر.

وعلي أول من أسلم وتربىٰ في حجر النبي ﷺ وعاش تحت كنفه قبل البعثة وظل معه حتَّىٰ انتقل ﷺ إلىٰ جوار ربه لم يفارقه في سفر أو حضر ولا

١. الاستيعاب وأسد الغابة في ترجمته، فتح الملك العلي: ص٣٦؛ ذخائر العقبىٰ: ص٧٨.

٢. الشرف المؤبد: ص٦٤.

٣. ينابيع المودة: ٣/ ٤، ب٦٢.

٤. الشرف المؤبد: ص٦٥.

٥. الطبقات الكبرىٰ: ٢/ ٣٣٨، تاريخ الخلفاء: ص١١٥، كنز العمال: ٦/ ٣٩٦.

٦. قيل إنَّه من عيون المصنفات القديمة، روىٰ فيه عن (١٣٠٠) صحابي ونيف ورتَّب حديث كل صحابي علىٰ أبواب الفقه، فهو مسند ومصنف، وهو صاحب تفسير أيضاً.

في سلم أو حرب إلَّا في تبوك حيث استخلفه النبي صلى الله عليه وآله على المدينة، وهو زوج ابنته وصنوه وابن عمه، عاش معه ثلث قرن تتلقف إذنه ما يقول وتعي وتفهم ما عنىٰ.

وعَبَدَ الله قبل أن يعبده أحد من الأمة سبع سنين[١].

ولم يرو مسلم والبخاري من كل ذلك إلَّا عشرين حديثاً اتفقا عليها، وانفرد مسلم بـ(١٥ رواية) والبخاري بقليل.

يفعلون ذلك وبين أيديهم علم علي من جهة، وبيانات النبي صلى الله عليه وآله ووصاياه من جهة أخرىٰ، التي أرغمت قوماً منهم علىٰ الإقرار بفضله، ففي حديث الثقلين يقول التفتازاني في شرح المقاصد:

ألا ترىٰ أنه (عليه الصلاة والسلام) قد قرنهم بكتاب الله في كون التمسك بهما منقذاً عن الضلال، فكما لا معنىٰ للتمسك بالكتاب دون الأخذ بما فيه من العلم والهداية، فكذا في العترة[٢].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي:

وقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وآله عترته من هي لمّا قال: «إني تارك فيكم الثقلين»، فقال: «عترتي أهل بيتي»، وبيَّن في مقام آخر من أهل بيته حين طرح عليهم الكساء وقال حين نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ﴾ (الأحزاب: ٣٣): «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس»[٣].

وقال ابن حجر: ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثم قال أبو بكر: علي عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، أي الذين حث علىٰ التمسك بهم، فخصّه لما قلنا، وكذلك خصّه صلى الله عليه وآله بما مرّ يوم غدير[٤].

---

١. شرح نهج البلاغة: ١/ ٥.
٢. عبقات الأنوار: ٢م، ١٢/ ٦.
٣. شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٣٠.
٤. الصواعق المحرقة: ص١٤٩.

هل تعلمون كم هي الروايات التي رووها عن عائشة؟

عائشة زوجة للنبي ﷺ، تزوجها وهي صبية[١] في السنة الثانية للهجرة وشاركتها في الزوجية نساء، كان النبي خلال مدة حياته معها زعيماً لأمة يرجع الناس إليه في كل شيء، يؤسس اعتقادها، ويعلم القرآن، وينمّي الأخلاقُ ويقوّم سلوك الأُمة، وينظِّم علاقاتها مع الأُمم، ويجيّش الجيوش، ويشارك في الحروب، ولكل امرأة من نسائه ليلة خاصة بها، وهذا يعني أنَّه لم يكن لديه الوقت الكثير للحديث مع كل زوجة، وعادة ما يغلب علىٰ أحاديث الزوجين شؤون الدار وشكوىٰ الضرائر وكيدهن، ولا يعطىٰ للعلم من الوقت إلَّا القليل، فهل كان الوقت الذي أعطي لتعليم عائشة أكثر مما أخذ علي عليه السلام، أم كان وعيها لما يحدّثها النبي أكبر، أم كانت محل الوثوق الذي يسوغ الاعتماد علىٰ حديثها؟ وآية التحريم تصدح بالحق فيما يرجع إلىٰ اثنتين من نسائه ﷺ.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝٣ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ (التحريم: ٣-٤).

أليس غريباً أن يكون الحديث بضمير المثنىٰ ونساؤه ﷺ كثر؟

ثم أليس غريباً أن يضرب للذين آمنوا مثلاً في امرأتين وللذين كفروا مثلاً في امرأتين زوجاهما نبيان؟ ألم يكن نمرود وفرعون وإبليس و... أحرىٰ بأن يضرب المثل بهم دون نساء الأنبياء؟

ثم ألم يكن الأنسب أن يضرب الأنبياء مثلاً للذين آمنوا لا نساء مستقيمات؟

---

١. كان عمرها تسع سنوات علىٰ ما نسب إلىٰ مسلم والبخاري.

نعم، إنَّما كان الاختصاص بالنساء ولكلٍ ضُرِبَ مَثلان من النساء، لأنَّ الحديث عن نساء النبي ﷺ وبالخصوص اثنتين منهما، والروايات تحدثنا أنَّ إحداهما عائشة.

ثم ألا يكفي خروجها تجيّش الجيوش علىٰ إمام زمانها وتشارك في ساحة المعركة، تُقطَع أيدي بني ظبة دفاعاً عن خطام جملها، وتتسبب في مقتل (٢٥ ألفاً) من المسلمين؟

ومع ذلك يروي البخاري ومسلم عنها أكثر مما يروون عن علي عليه السلام؟!

هل بعد ما ذكر من اعتماد علىٰ نقل أو عدم نقل أحدهما لأمر؟

مما أخرجه مسلم وأحمد وغيره من طرق عن عائشة قالت:

قال لي رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: ادعي لي أباك وأخاك حتَّىٰ أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنَّىٰ متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولىٰ، ويأبىٰ الله والمؤمنون إلَّا أبا بكر[1].

هلا قال قائل كقول فاروقهم! إن الرجل ليهجر أو إنَّه قد غلبه الوجع أو حسبنا كتاب الله؟ وأين الاستناد إلىٰ إجماع الأُمَّة (المفترىٰ) علىٰ الأول إذا كان النبي قد أوصىٰ له بشهادة أم المؤمنين؟ وهل كان الاختيار لسابقة في دين أو لباع في علم أو لموقف في ساحة وغىٰ، ويداه صفرات من أي شيء من ذلك؟

إنَّ شهادة المرأة لا تقبل منفردة في أي شيء، وتقبل مع نساء أخريات فقط فيما يعسر علىٰ الرجال الاطلاع عليه كبكارة النساء، وفي الأمور المالية تقبل منضمة إلىٰ امرأة أخرىٰ ورجل ولو كان المبلغ درهماً، فكيف تقبل في أمر خلافة المسلمين؟ قاتل الله الوضاعين.

وأين هذا مما صححه القوم من أن النبي ﷺ مات ولم يستخلف؟ وأين هذا مما صححوه من أن أبا بكر قال في مرضه الذي توفي فيه: وددت أني

١. صحيح مسلم: ٥/ ١٠، ح١١، كتاب فضائل الصحابة.

سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر، فلا ينازعه أحد، ووددت أني سألته هل للأنصار في هذا نصيب؟[١].

وهذا يعني أنه لم يسمع، أو لم يرتب أثراً علىٰ ما نسب إلىٰ عائشة.

بل حتَّىٰ عائشة قد صححوا عنها أنها قالت: لو كان رسول الله مستخلفاً لاستخلف أبا بكر وعمر[٢].

مثل هذه الرواية يرويها مسلم في صحيحه، ويترك روايات المهدي الشائعة في كتب قومه، هل ذلك أمر طبيعي؟

وقد عدَّ الذهبي علىٰ ما نقل عنه أحاديث عائشة بـ(٢٢١٠) أحاديث منها (١٧٤) حديثاً متَّفقاً عليه وانفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثاً ومسلم بتسعة وستين حديثاً[٣]، وقال علماء السُنَّة إنَّ روايات البخاري عن علي عليه السلام من غير المكرر (٣٤ رواية) وفي صحيح مسلم (٣٨ رواية، هل يوجد بحال للمقارنة بين ما حمله علي عليه السلام ووعاه من علم وبين ما اطَّلعت عليه عائشة؟ لينقل عنها أكثر مما نقل عنه عليه السلام؟

ولا أعهد رواية عن الحسن أو الحسين عليهما السلام في البخاري.

أمّا السجاد عليه السلام فقد روىٰ البخاري عنه ثمانية أحاديث، بينما روىٰ لعروة بن الزبير (٦١٢ حديثاً)، وروىٰ مسلم للسجاد عليه السلام ستة أحاديث ولعروة (٣٧٩ حديثاً)، وعروة هذا كان مبغضاً لعلي عليه السلام.

(وقد تظاهرت الرواية عن عروة أنَّه كان يأخذه الروع عند ذكر علي عليه السلام فيسبّه ويضرب بإحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ ويقول: وما يعني أنَّه لم يخالف إلىٰ ما نهي عنه وقد أراق من دماء المسلمين ما أراق؟)[٤].

١. تاريخ الطبري: ٤/ ٥٣ [٣/ ٤٣١].

٢. صحيح مسلم: ٥/ ٩، ح٩، فضائل الصحابة.

٣. وفي دراسة للدكتور عبد المنعم الحنفي يقول في مقدمة (موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر): وتتضمن المجموعة نحو (٥٦٣٦ رواية).

٤. التستري – قاموس الرجال: ج٦، ص٣٠٠، الطبعة القديمة طهران.

وقد صحَّ عند القوم أنَّه لا يحب علياً إلَّا مؤمن ولا يبغضه إلَّا منافق، هلّا منع ذلك من النقل عنه؟

بل هلّا منع من الإكثار من النقل عنه؟ هلّا ساووا النقل عن السجاد بالنقل عنه؟

فهو في ذلك مثل عكرمة مولىٰ ابن عباس الذي قيل: إنَّ البخاري قد روىٰ عنه مائة رواية، وقد أحصىٰ بعض من تتبع (٦٧ رواية) له في البخاري، وقد ذكر العلامة شرف الدين في كتابه (الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء):

كان عكرمة ينادي في الأسواق تحاملاً علىٰ أصحاب الكساء، ولا عجب فإنَّ عكرمة من الدعاة إلىٰ عداوة علي والسعاة في تضليل الناس عنه بكل طريق... وعن خالد بن عمران قال: كنا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم، فقال: وددتُ أن بيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً، لبنائه الكفر من عدا الخوارج من أهل القبلة، وعن يعقوب الحضرمي عن جده، قال: وقف عكرمة علىٰ باب المسجد فقال: ما فيه إلَّا كافر...[1].

ومثله يروي البخاري عنه بمقدار أكثر مما روىٰ عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو بحر العلم، والسيدة الزهراء عليها السلام (لها رواية واحدة)، والحسن والحسين عليهما السلام (وقد قيل: إنه لا توجد رواية واحدة في البخاري عنهما)، أفلا يؤشر ذلك علىٰ شيء من أجندات صاحب أصح كتاب بعد القرآن عند القوم؟

أو مثل الزهراء عليها السلام التي وعت علماً جماً يُترك النقل عنها ويُنقل عن عائشة هذا الكم من الروايات، ولا أدل علىٰ علمها من كلامها في خطبتها، وقد اخترت مقطعين من خطبتها لأذكّر القاري بتفردها في فهمها عليها السلام تقول في وصف الله تعالىٰ:

«وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص

١. الكلمة الغراء: ص١٧.

تأويلها وضمن القلوب موصولها وأنار في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته ومن الأوهام كيفيته ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كونها بقدرته وذرأها بمشيته من غير حاجة منه إلىٰ تكوينها ولا فائدة له في تصويرها إلَّا تثبيتاً لحكمته وتنبيهاً علىٰ طاعته وإظهاراً لقدرته وتعبداً لبريته وإعزازاً لدعوته ثم جعل الثواب علىٰ طاعته ووضع العقاب علىٰ معصيته ذيادة لعباده عن نقمته وحياشاً منه إلىٰ جنته».

وفي كلامها عن أبيها عليه السلام ثم عن الأنصار تقول:

«فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم آخذاً بأكظامهم، داعياً إلىٰ سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام وينكث الهام حتَّىٰ انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتَّىٰ تفرىٰ الليل عن صبحه وأسفر الحق عن لحضه ونطق زعيم الدين وفرست شقاشق الشياطين وطاح وشيظ النفاق وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهمتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص وكنتم علىٰ شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطىء الأقدام، تشربون الطرق وتقتاتون الوَرَق أذلة خاسئين ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦] من حولكم فأنقذكم الله تبارك وتعالىٰ بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ [المائدة: ٦٤] أو نجم للشيطان قرن وفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في سهواتها فلا ينكفي حتَّىٰ يطأ صماخها بأخمصة ويُخمد لهبها بسيفه.

يا معاشر الفتية وأعضاد الملة وأنصار الإسلام، ما هذه الغميزة في حقي والسِّنةُ عن ظلامتي؟

أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟ سرعان ما أحدثتم

وعجلان ذا إهالة ولكم طاقة بما أحاول وقوة علىٰ ما أطلب وأزاول! أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله؟ فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه وانفتق رتقه واظلمت الأرض لغيبته وكسفت النجوم لمصيبته وأكْدَت الآمال وخشعت الجبال وأضيع الحريم وأزيلت الحرمة عند مماته فتلك والله النازلة الكبرىٰ والمصيبة العظمىٰ، لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله حكم فصل وقضاء حتم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ[1] مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ألا وقد قلت ما قلت علىٰ معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم والغذرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيظ وخور القنا وبثة الصدور وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دَبِرةَ الظهر نَقِبة الخف باقية العار موسومة بغضب الله وشنار الأبد موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع علىٰ الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فـ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [هود: ١٢١-١٢٢]».

وإن تعجب فعجب ترك الأخذ منها (صلوات الله عليها) وهي هي هذا منطقها ومن ورائه فهمها وإدراكها، لم تخْفَ عليهم منزلتها، ولا غابت عنهم حيثيتها، حاضرٌ فيهم شرف نسبها ونجابة أصلها، وذكْرُ القرآن لفضها في آية التطهير والمباهلة وسورة الإنسان، ليصفع من تنكّر لها ويذكّر من غلب عليه نسيان أمرها، ويخلّد للدنيا بتوارد الأيام وتتابع السنين أن لا امرأة - بل ولا رجل - يمكن أن يقاس بها.

---

١. في المصدر (أفأين).

ومع ذلك لا يروي عنها القوم إلَّا رواية واحدة، هل لذلك تفسير غير أن صدور القوم قد أوغرت علىٰ بيتها وحسد الداني لعلو بعلها.

مَن مِن المهاجرين والأنصار بل والتابعين يمكنه أن يتحدث بمنطقها ويعي مثل وعيها ليقدم عليها في النقل لشريعة أبيها؟

وإنما نقلت مقداراً كبيراً من كلامها في خطبة واحدة ليتبين للقاري أي فهم وعاه صدرها وأي علم حواه قلبها وأية روح حملت جسدها قدست من نفس زكية وروح طاهرة.

وزياد بن أبيه من رجال البخاري في الرواية (١٦٢٦)، وزياد هذا كان يتتبع الشيعة تحت كل حجر ومدر فيقتلهم وكان يقتل علىٰ الاسم ويسمل العيون.

ومادام الحديث عن خارجي اعتمد البخاري نقله في عشرات الروايات، فقد قيل: إن البخاري يروي عن (١٢٠٠) من الخوارج.

كان عمران بن حطان رأس الخوارج صاحب الشعر المعروف في ابن ملجم المرادي:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلَّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفىٰ البرية عند الله ميزانا

جعله البخاري من رجاله وأخرج عنه.

* وإسحاق بن سويد العدوي البصري كان يحمل علىٰ علي بشكل شديد، وقال: لا أحب علياً، وهو من رجال صحاح البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي[1].

* وحريز بن عثمان الذي كان يصلي في المسجد ولا يخرج منه حتَّىٰ يلعن

١. تهذيب التهذيب: ج١، ص٢٣٦.

علياً سبعين لعنة كل يوم، قال إسماعيل بن عياش: رافقت حريزاً من مصر إلىٰ مكة، فجعل يسب علياً ويلعنه، وقال لي: هذا الذي يرويه الناس أن النبي ﷺ قال لعلي: (أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ) حق، ولكن أخطأ السامع، قلت: فما هو؟ قال: إنما هو: أنت مني بمكان قارون من موسىٰ، قلت: عمن ترويه؟ قال: سمعت الوليد بن عبد الملك يقوله علىٰ المنبر[١].

وقد احتج البخاري بحديثه وأبو داود والترمذي.

* وعبد الرحمن بن إبراهيم الشهير بدحيم الشامي القائل بأن من قال: إنَّ الفئة الباغية هم أهل الشام فهو ابن الفاعلة، يروي عنه البخاري وغيره وعرف بالثقة وأنه حجة[٢].

* ثم مروان بن الحكم كان من رجال البخاري ومروان طريد رسول الله ﷺ ومبغض علي عليه السلام وهو الذي رمىٰ طلحة وهو في جيشه، وقد قال المصلح الحضرمي في العتب الجميل ص١٠١ بعد ما ذكر قليلاً من أعمال مروان: وأنَّ النبي ﷺ قال فيه: «هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون».

* ثم سمرة بن جندب من رجال البخاري وربما مسح اسمه ووضع بدله فلاناً، وقصته في قضية (لا ضرر) معروفة، وقد رفض إبدال نخلة له بنخلة في الجنة، وقد روىٰ الطبري في حوادث سنة (٥٠هـ) قال: عن محمد بن سليم، قال: سألت أنس بن سيرين، هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يحصىٰ من قتله سمرة بن جندب؟ استخلفه زياد علىٰ البصرة وأتىٰ الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف، فقال له: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت[٣].

---

١. تاريخ ابن عساكر: رقم ١٢٥٤، ج١٢، ص٣٣٦.
٢. تهذيب التهذيب: ج٦، ص١٢٠.
٣. الطبري: ج٥، ص٢٩٢.

ولنقف هنا، فقد تبين لمسترشد ما قيمة نقل البخاري ومسلم وما قيمة تركهما.

والتفاصيل هنا كثيرة تجعل الحسرة تتملكك علىٰ ما بنىٰ عليه القوم من أن صحيح البخاري أصح كتاب بعد القرآن.

المبالغة في شخصية البخاري وحفظه للحديث:

جاء في سورة الأعلىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسىٰ﴾ (الأعلىٰ: ٦).

وهي وعد منه تعالىٰ لنبيه ﷺ أن يمكّنه من العلم بالقرآن وحفظه علىٰ ما أنزل بحيث يرتفع عنه النسيان فيقرؤه كما أنزل وهو الملاك في تبليغ الوحي كما أوحي إليه[١].

وقد ذكر في مجمع البيان أن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبرائيل بالوحي يقرأه مخافة أن ينساه، فكان لا يفرغ جبرائيل عليه السلام من آخر الوحي حتّىٰ يتكلّم هو بأوله، فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئاً[٢].

فهاجس النسيان لم يفارق رسول الله ﷺ حتّىٰ أعلمه الله تعالىٰ بأنه لا ينسىٰ شيئاً من كتابه؛ لأنّه تعالىٰ شاء ذلك، وأن عدم نسيانه ليس شيئاً مستحيلاً في نفسه، بل مشيئة الله تعالىٰ حكمت فيه أن لا تجري فيه سنة النسيان، وكأن هؤلاء يقولون: إن البخاري قد عبر علىٰ هذه السنة دون أن يخشىٰ منها أن تأخذ شيئاً مما حفظ، ولذلك كان يحفظ الأحاديث ويكتبها في طريق رجوعه.

وفي الحديث رقم (٤٧١١) في صحيح البخاري: حدثنا يحيىٰ بن قزعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر

١. الميزان: ج٢٠، ص٢٦٦.

٢. مجمع البيان: ج٥، مطبعة العرفان، ص٤٧٥.

رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتَّىٰ ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة.

وفي الصحيح عندهم عنه ﷺ: أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلَّا حضر أجلي... الخبر.

روته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام[1].

وروته عائشة في البخاري برقم ٣٦٢٣، ٣٦٢٤، وفي صحيح مسلم ٢٤٥٠.

والذي كان يحصل وفق تفسير القوم أن جبرئيل كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن ويراجعه معه، أليس ذلك لدفع احتمال الاشتباه والنسيان وفق السنن الكونية في الإنسان؟

فكيف ثبت للبخاري أنه يحفظ ثلاثمائة ألف حديثٍ بأسنادها ثم يكتبها في طريقه إلىٰ بخارىٰ؟

فهل احتاج النبي ﷺ لمدارسة القرآن مع جبريل أو سماعه منه كل عام مرة لئلا ينسىٰ واستغنىٰ البخاري عن ذلك في ثلاثمائة ألف حديث؟

هكذا هم القوم إذا أرادوا مدح شخص فضَّلوه علىٰ الأنبياء عليهم السلام، فالأنبياء يمكن أن يقعوا في المعاصي وكل الصحابة عدول لا يجوز الطعن في أحد منهم ولو رأىٰ النبي ﷺ مرة، والبخاري الذي كانت أحاديثه بقدرة قادر علىٰ رأس المائة ألف وأضعافها، إذ يقولون: إنه يحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث ضعيف، وأنَّه انتقىٰ أحاديثه من ستمائة ألف حديث، وكم ملفت ما ذكره بعض باحثيهم من أن الأيام تُنسي بعض الأحاديث فيفترض أن تنقص الأحاديث في الكتب التي دوّنت متأخراً، مع أن العكس هو الحاصل، فمالك الذي كتب موطأه متقدماً علىٰ غيره لأنَّه توفي عام (١٧٩هـ) حوىٰ بحسب

١. الألباني - صحيح الجامع: الصفحة أو الرقم ٢٠٥٤.

كلامه (١٠٠٠ حديث) والبيهقي (٤٥٨هـ) في السنن الكبرىٰ جمع الآلاف، وهكذا تزداد الأحاديث بدل أن تنقص ويصدقون أنها صحيحة (علىٰ حد قوله).

من مبالغتهم في البخاري ومسلم أن الحاكم ذكر أنهما اشترطا في قبول الرواية أن يرويها عدلان عن عدلين، وردّه ابن الجوزي بقوله: ليس بصحيح فإنهما ما اشترطا هذا، وإنما ظَنَّه الحاكم وقدره في نفسه (ونحن نقول بل افتراه) وظنه غلط، وإنما قد يتفق مثل هذا، وقوله: تركا رواية من ليس له غير راوٍ واحد غلط أيضاً، فإنَّ البخاري ومسلماً قد أخرجا حديث المسيب بن حزن في وفاة أبي طالب، ولم يرو عن المسيب عن ابنه سعيد، وأخرج البخاري حديث قيس بن أبي حازم عن مِرداس الأسلمي يذهب الصالحون أولاً فأولاً وليس لمرداس راوٍ غير قيس...[1].

واستمر ابن الجوزي في ذكر نقوض متعدِّدة علىٰ هذه الدعوىٰ في كل من البخاري ومسلم.

إيراد علىٰ دلالة ترك نقل الحديث علىٰ ضعفه:

ثم إن من اللافت أن بعض الأحاديث قد انفرد بها البخاري (أي لم يذكرها مسلم).

وبعضها انفرد بها مسلم، فإذا كان ترك أحدهما ذا دلالة علىٰ خلل في الحديث تُعارِضُ نقل الناقل (لأنَّه لا ينقل إلَّا الصحيح) مع ترك التارك (لدعوىٰ أن ترك النقل يدل علىٰ ضعف الحديث).

وبغض النظر عن ذلك كما يصح أن يترك أحدهما خبراً صحيحاً ويرويه الآخر فإنه يمكن أن يتركا معاً خبراً صحيحاً، فلا يكون ترك نقل الحديث منهما معاً دالاً علىٰ ضعف الحديث.

١. الموضوعات من الأحاديث المرفوعات: ج١، ص١١-١٢، طبعة أضواء السلف (محقق).

الشبهة الثانية: تضعيف ابن خلدون لروايات المهدي عجل الله فرجه:

لقد تعرض ابن خلدون في مقدمته إلىٰ روايات المهدي عجل الله فرجه وردَّ أكثرها وشكَّك في مؤداها، وقد تبعه علىٰ ذلك بعض المتأخرين عنه.

قال ابن خلدون:

اعلم أنَّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام علىٰ ممر الأعصار أنَّه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي علىٰ الممالك الإسلامية، ويسمىٰ بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح علىٰ أثره، وأن عيسىٰ ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده علىٰ قتله ويأتم بالمهدي في صلاته، ويحتجون في هذا الشأن بأحاديث خرجها الأئمة وتكلم فيها المنكرون لذلك، وربما عارضوها ببعض الأخبار... ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة في هذا الشأن وما للمنكرين فيها من المطاعن وما لهم في إنكارهم من المستند.

إنَّ جماعة من الأئمة خرجوا أحاديث المهدي منهم الترمذي وأبو داود والبزاز وابن ماجة والحاكم والطبراني وأبو يعلىٰ الموصلي وأسندوها إلىٰ جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث بن جَزْء، بأسانيد ربما يعرض لها المنكرون كما نذكره، إلَّا أن المعروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم علىٰ التعديل، فإذا وجدنا طعناً في بعض رجال الأسانيد بغفلة أو بسوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي تطرق ذلك إلىٰ صحة الحديث وأوهن منها[1].

---

١. مقدمة ابن خلدون: طبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية (المحقق).

وفي آخر بحثه يقول:

فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلَّا القليل أو الأقل منه[١].

لا يمكن الاستناد إلىٰ ابن خلدون لتضعيف الروايات الواردة في المهدي عجل الله فرجه لوجوه:

الأول: عدم التخصص في نقد الأسانيد وتقييمها:

إنَّ متابعة سيرة الرجل وتاريخه يعطي الناظر أنه لم يكن متخصصاً في تقييم الأسانيد، إذ لم يتح له الاشتغال بهذا العلم لتحصيل قواعد الرد والقبول والجرح والتعديل للرواة، وليكون ذا مهارة في النقد الحديثي.

كانت ولادة ابن خلدون عام (٧٣٢هـ) ووفاته عام (٨٠٨هـ) وقد أنهىٰ خمسةً وعشرين عاماً في الوظائف الديوانية من عمر (٢٠ إلىٰ ٤٥) وفي العشرين الأولىٰ كان في طور التعلم ثم تحول إلىٰ التأليف وصفته الأولىٰ في التخصص أنه مؤرخ.

في عمر العشرين استدعاه محمد بن تافراكين إلىٰ البلاط الملكي لكتابة العلامة عن السلطان أبي إسحاق، ثم خرج مع ابن تافراكين لملاقاة صاحب قسنطينة الأمير أبي زيد، فالتقىٰ الجيشان وهزم جيش السلطان، مما حدا بابن خلدون إلىٰ السفر إلىٰ المغرب، وطلب المساعدة من السلطان أبي عنان صاحب تلمسان، حيث رحّب به وأكرمه وقدّم له الحماية، ودعاه إلىٰ مجالس العلم، وألزمه بشهود الصلاة معه، ثم إنه قد شغل في المغرب أكثر من منصب، ومنها خطة المظالم التي هي تولّي القضاء بين الناس.

وفي الأندلس كان قد عيّن حاجباً لدىٰ السلطان بجاية بن أبي عبد الله، وابن خلدون قد عرف الحجابة في المغرب بالقول: (الاستقلال بالدولة

١. مقدمة ابن خلدون: ص٩١٥، طبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية (المحقق).

والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته) وهذا يعني أن الحجابة مانعة من ممارسة أي نشاط علمي يُكسب صاحبه جنبة تخصصية.

كما عُيّن حاجباً لدىٰ صاحب قسنطينة بعد مقتل أمير بجاية، كما عيّنه سلطان المغرب عبد العزيز سفيراً في بلاد رياح، وعمل سفيراً للسلطان أبي حمو في منطقة الدوادة.

وفي مصر تولّىٰ بعض المناصب منها القضاء للمالكية عام (٧٨٦هـ) من قبل الملك برقوق ثم أعيد تعيينه عام (٨٠١هـ) ثم عام (٨٠٣هـ) من قبل السلطان فرج، وفي المرة الرابعة عام (٨٠٤هـ) والخامسة عام (٨٠٧هـ) لكنها لم تستمر إلَّا أشهر توفي بعدها.

وهذا يعني أنَّه اشتغل بعد عمر العشرين إلىٰ ٤٥ من عمره ثم في أواخر عمره لمدة ٢٤ عاماً في القضاء وهذا يعني أنه لم يتفرغ بشكل كامل بعد العشرين إلَّا عدَّة سنوات، وكل ذلك يؤثر علىٰ الجنبة التخصصية خصوصاً في العلوم التي تقتضي كثرة التتبع والبحث ليصل إلىٰ التخصص، ومن أبرز تلك العلوم في ذلك علم الرجال.

وبالأخص مع أنَّه كان مشغولاً في فراغه من مناصب الدولة بكتابة التاريخ وتدوين بعض ما يرجع إلىٰ علم الاجتماع.

وهذا التحليل يدعمه التتبع في الجانب التطبيقي للرجل.

الثاني: اعترافه بأن بعض الأخبار التي ذكرها صحيحة:

اعترف ابن خلدون بأن بعض الأخبار التي أوردها في المهدي صحيحة، في الوقت الذي أنكر وجود خبر صحيح فيه عجل الله فرجه، وهذا يدلك علىٰ التخبط الذي أوقع الرجل نفسه فيه.

فعند نقل حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة

حتَّىٰ تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً ثم يخرج من أهل بيتي من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وعدواناً»[١].

* لم يردّ الخبر واكتفىٰ بنقل تعليق الحاكم علىٰ الحديث (صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه).

كما نقل حديثاً ثانياً عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «يخرج في آخر أُمَّتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطىٰ المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظُم الأُمَّة، يعيش سبعاً أو ثمانياً (يعني حججاً)».

ثم نقل تعليق الحاكم عليه (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه - أي البخاري ومسلم -)[٢].

نعم حاول التشكيك من خلال الإيراد علىٰ أحد رجال السند وهو سليمان بن عبيد إذ قال: لم يخرج له أحد من الستة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد أن أحداً تكلم فيه[٣].

وإن تعجب فعجب قوله في الطعن علىٰ رجل نصَّ علىٰ أنَّه من الثقات إنَّه لم يخرج له أحد من الستة.

وعن حديث علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنَّه قال:

«لو لم يبق من الدهر إلَّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»[٤].

قال في نقد السند وقطن [فطر] بن خليفة وإن وثقه أحمد ويحيىٰ بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم إلَّا أن العجلي قال: (حسن الحديث وفيه تشيع قليل)، وقال ابن معين: (ثقة شيعي) إلىٰ آخر ما ذكره.

١. الحاكم - المستدرك: ج٢، ص٥٥٧، كتاب الفتن والملاحم.
٢. مقدمة ابن خلدون: ص٩٠٤، طبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية (المحقق).
٣. مقدمة ابن خلدون: ص٩٠٤، طبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية (المحقق).
٤. سنن أبي داود: ج٤، ص١٠٧؛ كتاب المهدي: ح٤٢٨٣.

وأعجب لتوهين راوٍ يبدأ بـ(فيه تشيع قليل) وأعجب من إسقاط كلمة ثقة في كلام العجلي التي نصها: (كوفي ثقة حسن الحديث وكان فيه تشيع قليل).

وقد ذكر بعض باحثي العامة[١] أن الحديث صحيح علىٰ شرط الشيخين.

والراوي المذكور قد وثقه العديد من رجاليي العامة.

الثالث: عدم صحة بعض مستندات رد الرواية عنده:

ومما اعتمد عليه ابن خلدون في رد بعض الروايات الاختلاف في وثاقة راوٍ بناء علىٰ أن الجرح مقدم علىٰ التعديل وهي قاعدة ليست صحيحة علىٰ إطلاقها.

بعد أن ذكر ابن خلدون أن المعروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم علىٰ التعديل، ثم تعرض لذكر بعض مفردات الجرح وتطرق ذلك (مفردات الجرح) إلىٰ صحة الحديث، قال: ولا تقولن مثل ذلك ربما يتطرق إلىٰ رجال الصحيحين، فإن الإجماع قد اتصل في الأمة علىٰ تلقيهما بالقبول والعمل بما فيهما، وفي الإجماع أعظم حماية وأحسن دفع وليس غير الصحيحين بمثابتهما في ذلك، فقد نجد مجالاً للكلام في أسانيدها بما نقل عن أئمة الحديث في ذلك[٢].

ونحن نقول: إن معرفة الشيخين بالرجال ليست حسية لا تقبل الخطأ مع الوثاقة العالية والدقة!

بل إن كثيراً من مفرداتها اجتهادية تلقاها الشيخان من أفواه الرجال الذين إن أُحرزت وثاقتهم لم يُحرز عدم الخطأ منهم، ولا مجال للقول: إن كل رجل ذكر في صحيحيهما، قد وصلا إلىٰ العلم الذي لا يخالف الواقع بوثاقته.

فعدد رجال الصحيحين علىٰ تعدد الطبقات هائل، إن تيسر للإنسان

١. الغماري في إبراز الوهم: ص٤٩٠.

٢. مقدمة ابن خلدون: ص٨٩٦-٨٩٧، طبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية (المحقق).

الاطلاع علىٰ كل ما ورد في كل واحد منهم لم يتيسر في كل واحد ما يوجب الجزم بالوثاقة.

فلابد من أن بعض توثيقاتهما قد جاء من طريق ظني.

وثبوت الحجية لطريق الظن لا يعني أنه لا يخطئ الواقع، فكل الحجج التعبدية يمكن أن تخالف الواقع، لأن ثبوت الحجية غير مشروط بقطعية الكشف.

فدعوىٰ عدم تطرق الشك إلىٰ رجال الصحيحين دعوىٰ زائفة، خصوصاً مع كثرة النقوض عليها، وقد يكون الفاصل الزمني بين الشيخين وأحد رجال صحيحيهما أكثر من قرنين من الزمان.

إنَّ المستدِل علىٰ هذه الدعوىٰ إنما استدل بالإجماع، فلابد أن يكون إجماع العلماء بعد الشيخين، أي إجماع علماء القرن الثالث الهجري وما بعده، وليس في هذا الإجماع أية حجية ولا له أي مستند.

وأمّا ما ذكره من أن المعروف عند أهل الحديث من أن الجرح مقدم علىٰ التعديل فليس مقبولاً علىٰ إطلاقه؛ إذ إن بعضاً قد جرح اعتماداً علىٰ المعتقد والمذهب، ولا ملازمة بين خطأ اختيار المذهب وسقوط الخبر منه عن الاعتماد.

خصوصاً وأنَّ كثيراً من الرؤىٰ الاعتقادية لم تكن ثابتة، وإنَّما تغيَّرت وانكشف خلافها.

ويمكن أن ينكشف خطأ المستند في التضعيف كما كان علماء قم يضعّفون من يُكثر النقل عن الضعفاء ويسقطون نقله عن الاحتجاج ولو نقل عن ثقة.

نعم، لو كان التصحيح والتوثيق اعتماداً علىٰ أصل - كأصالة حمل فعل المسلم علىٰ الصحة -، أمكن تقديم الجرح علىٰ التعديل.

كما يقدّم الجرح باعتبار أنَّه ناتج من الاطلاع على ما ينافي الاعتماد على خبره، والتوثيق ناشئ من عدم الاطلاع على مثل هذه الجزئية.

الرابع: اعترافه بأنَّ جماعة من الأئمة خرَّجوا أحاديث المهدي عجل الله فرجه:

اعترف ابن خلدون بأن [جماعة من الأئمة خرَّجوا أحاديث المهدي، منهم الترمذي وأبو داود والبزار وابن ماجه والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي][1]، وقد تقدمت عبارته.

ولذا قال الغماري: فاتفاق هؤلاء الحفّاظ الكبار وغيرهم - كالإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحافظ ضياء الدين - لا يسمح مجالاً للنفي والإنكار، ولو حصل ذلك فهو تهوُّر عظيم[2].

الخامس: بطلان ادعائه استيفاء أخبار المهدي عجل الله فرجه:

إنَّ ادِّعاء الرجل أنه استوفى أخبار المهدي ليس صحيحاً، ولذلك ردّه الغماري بالقول: وها أنا مُورِدٌ من أخباره ما أُكمل به المائة من مرفوعات وموقوفات، دون المقطوعات، إذ لو تتبعتها - خصوصاً الوارد عن أهل البيت - لأتيت منها بعدد كبير وقدر غير يسير مما ينبغي أن يفرد بالتأليف، ولكن فيما سأذكره كفاية[3].

وقد روى أحمد بن حنبل في مسنده جملة روايات صحيحة السند، إحداها عن علي عليه السلام والثانية عن عبد الله بن مسعود، وثلاثة عن أبي سعيد الخدري، جميع رواة هذه الروايات من الثقات عند القوم، وأحمد بن حنبل أحد الأئمة الأربعة للمذاهب المعروفة.

كما روى غيره بأسانيد صحيحة، كالحافظ عثمان بن أبي شيبة، ونعيم بن

١. مقدمة ابن خلدون: ص٣١١، ف٥٣، طبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية (المحقق).
٢. إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون: ص٤٤٩.
٣. الغماري إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون: ص٥٦٢.

حماد في روايات صحيحة عديدة، والصنعاني، وابن ماجة في سننه عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي عليه السلام وعن ثوبان وعن أُم سلمة وكلها صحيحة سنداً، وأبو داود في سننه عن علي عليه السلام وأخرىٰ عن عبد الله بن مسعود وثالثة عن أم سلمة ورابعة عن أبي سعيد الخدري وكلها تامة سنداً.

وروىٰ الترمذي في سننه عن عبد الله بن مسعود روايتين، وعن أبي سعيد الخدري روايتين كلها صحيحة السند.

كما روىٰ الحافظ أحمد بن علي التميمي في مسند أبي يعلىٰ رواية صحيحة عن أبي هريرة في ذلك.

وغير هؤلاء ممن سبقوا ابن خلدون، فهل لهذا الرجل بعد الإغماض عن الروايات الكثيرة الصحيحة سنداً عذر في التشكيك في عقيدة المهدي، وهل نقبل ترك التعرض لها، مع أنَّه كان في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وأغلب المتقدم ذكرهم من المصنفين قد ألفوا مصنفاتهم في القرن الثالث والرابع الهجريين؟

الحب يعمي ويصم:

هناك جملة من الروايات الصحيحة علىٰ شرط الشيخين لكنهما لم يخرجاها:

١ - ما روي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يخرج في آخر أُمَّتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الأُمَّة يعيش سبعاً أو ثمانياً.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

٢ - ما روي عن الخدري أيضاً عنه صلى الله عليه وآله:

«لا تقوم الساعة حتَّىٰ تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً ثم يخرج من أهل بيتي من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً».

١. الحاكم المستدرك علىٰ الصحيحين: ٤: ٥٥٧-٥٥٨؛ كتاب الفتن والملاحم.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه[١].

٣ - ما روي عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلىٰ واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يُقْتَلَه قوم، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال: إذا رأيتموه فبايعوه، ولو حبواً علىٰ الثلج فإنَّه خليفة الله المهدي.

ذكره البوصيري في الزوائد وقال: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين[٢].

٤ - ما رواه الصنعاني عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هذه الأُمَّة حتَّىٰ لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي فيملأ به الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً يرضىٰ عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلَّا صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من مائها شيئاً إلَّا أخرجته، حتَّىٰ تتمنىٰ الأحياءُ الأموات، يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان أو تسع سنين.

هذا الحديث أخرجه (مع اختلاف) الحاكم في المستدرك وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ويبدو أنه صحيح علىٰ شرطهما.

بل رووا رواية قال عنها الإمام ابن الحافظ مرضياً سنداً إلىٰ جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كذّب بالدجّال فقد كفر، ومن كذّب بالمهدي فقد كفر»[٣].

وأشار إليها السيوطي بقوله: وأخرج أبو بكر الإسكاف في فوائد الأخبار عن جابر بن عبد الله وأتىٰ بنفس النص.

---

١. المستدرك ٤: ٥٥٧.

٢. الحاكم - المستدرك: ٤: ٤٦٣-٤٦٤، كتاب الفتن والملاحم.

٣. المقدسي الحنبلي - فرائد فوائد الفكر: ص٢١٩-٢٢٠.

وقد ذكر ابن خلدون هذه الرواية فقال: وحسبك هذا غلواً، والله أعلم بصحة طريقه (أبو الإسكاف في فوائد الأخبار) إلىٰ مالك بن أنس) علىٰ أن أبا بكر الإسكاف عندهم متهم وضاع[١].

ولا يخفىٰ ما في ردّ الأول، إذ الغلو هو تجاوز الحد، وأين هو الحد الذي تجاوزته الرواية ليكون مضمونها غلواً؟ هل حقق الحد وعيّنه؟

أخبار المهدي متواترة عند القوم:

لقد صرَّح بعض علماء العامة بأنَّ روايات المهدي متواترة، والمتواتر لا يحتاج إلىٰ الإثبات السندي، قال ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب:

وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفىٰ ﷺ في المهدي وأنَّه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين ويملأ الأرض عدلاً وأن عيسىٰ يخرج فيساعده علىٰ قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسىٰ خلفه... والأحاديث في التنصيص علىٰ خروج المهدي أصح البتة إسناداً[٢].

وقال ابن حجر الهيتمي: الأظهر أن خروج المهدي قبل نزول عيسىٰ وقيل بعده، قال أبو حسين الأجري [الأبري]: (وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفىٰ ﷺ بخروجه وأنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً وأنه يخرج مع عيسىٰ علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فيساعده علىٰ قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسىٰ خلفه) انتهىٰ، وما ذكره من أن المهدي يصلي بعيسىٰ هو الذي دلت عليه الأحاديث كما علمت[٣].

---

١. مقدمة ابن خلدون: ص٨٩٧، طبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية (المحقق).

٢. ج٥، ص٨٧.

٣. الصواعق المحرقة: ص١٦٢.

وقال المحقق في هامش الصواعق:

أحاديث المهدي كثيرة متواترة، ألَّف فيها كثير من الحفاظ منهم أبو نعيم، وقد جمع السيوطي ما ذكره أبو نعيم وزاد عليه في (العرف الوردي في أخبار المهدي) وللمؤلف ابن حجر في كتابه المختصر في علامات المهدي المنتظر[١].

وقال شمس الدين السفاريني في لوائح الأنوار البهية:

قد كثرت الأقوال في المهدي حتَّىٰ قيل: لا مهدي إلَّا عيسىٰ، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسىٰ وأنه يخرج قبل نزول عيسىٰ، وقد كثرت بخروجه الروايات حتَّىٰ بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتَّىٰ عد من معتقداتهم.

وجاء في رسالة الشوكاني الزيدي الموسومة بالتوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح (والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن والضعيف والمنجبر، وهي متواترة بلا شك وشبهة، بل يصدق وصف التواتر علىٰ ما هو دونها علىٰ جميع الاصطلاحات المقررة في الأصول).

وقال محمد صديق القنوجي في باب الفتن التي تكون بين يدي الساعة:

منها المهدي الموعود المنتظر الفاطمي وهو أولها والأحاديث الواردة فيه علىٰ اختلاف رواياتها كثيرة جداً وتبلغ حد التواتر، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد[٢].

وفي كتاب العطر الوردي قول المحدث البُلبَيسي: وقال الحافظ بن الحسين: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها في المهدي وأنه من أهل

١. عبد الوهاب عبد اللطيف هامش الصواعق المحرقة: ص١٦٣.

٢. الإذاعة: ص١١٣.

بيت المصطفىٰ ﷺ وأنه يملك سبع سنين ويملأ الأرض عدلاً وأنه يخرج في زمنه عيسىٰ ويصلي خلفه[١].

وقال محمد بن جعفر الكتاني الفاسي المالكي:

والحاصل أنَّ الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة وكذا الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسىٰ بن مريم عليهما السلام[٢].

ونسب شيخ الأزهر محمد الخضر حسين المصري إلىٰ الشوكاني أنه يقول بتواترها[٣].

وقال الغماري:

بيَّنت أن أحاديث المهدي متواترة وأن منكرها يعتبر مبتدعاً ضالاً من جملة الفرق المبتدعة الضالة[٤].

السادس: سلبية موقف ابن خلدون من أهل البيت عليهم السلام:

إنَّ للرجل موقفاً سلبياً من أهل البيت عليهم السلام رغم شواهد الحق التي لم ينكرها، فهو يقول: ولو صح السند إلىٰ جعفر الصادق لكان نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه.

فهم (يعني أهل البيت عليهم السلام) أهل الكرامات، وقد صح عنه (يعني الصادق عليه السلام) أنَّه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصح كما يقول، وقد حذر يحيىٰ ابن عمه من مصرعه وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنك بهم علماً وديناً وآثاراً[٥].

---

١. القطر الشهدي في أوصاف المهدي وشرحه العطر الوردي.

٢. نظم المتناثر: ص١٤٧.

٣. مجلة الهداية الإسلامية، محرم ١٣٦٩.

٤. الغماري المهدي المنتظر: ص٥، ١٧.

٥. المقدمة: ص٢٧٧-٢٨٠، فصل ٤.

ولكن ذلك لا يخرجه عن دائرة الاتِّهام، فما أكثر من روىٰ عن الصادق وأهل بيته عليهم السلام ومن رووا عنه عليه السلام لم يكونوا من أتباعه فقط، فما أكثر من روىٰ عنه من العامة وقد ذاع صيته بين طلاب العلم وبلغ عدد الناقلين عنه بالآلاف، فهل نتعقَّل أنَّه لم يقف علىٰ طريق واحد سليم ولو وفق موازينه إلىٰ الصادق عليه السلام؟

هلّا نظر في رواية من روايات الصادق عليه السلام في المهدي عجل الله فرجه وما أكثرها، وهو يقول عنه ما ذكرناه من نص كلامه.

فما ذكره في كلامه السابق من أن المشكلة عنده في الطريق الموصل للأئمة عليهم السلام والناقل عنهم لا يبدو أنه صحيح خصوصاً وأنَّه يقول في كلام آخر عن ابتداع مذهب من قبل أهل البيت وتفرد في فقه وليس من شيعتهم.

يقول عن مذهب أهل البيت في الفقه، وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به[1]، وبنوه علىٰ مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلىٰ قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم وهي كلها أصول واهية وشذ بمثل ذلك الخوارج... إلىٰ آخر كلامه.

فكيف تسمح له نفسه بالتسليم لقيام دولة الحق علىٰ يد حفيد لهم ادَّخرته السماء لهذه المهمة العظيمة؟

وقد توهم بعضٌ[2] أنَّ ابن خلدون أراد أن يدلس فقال:

[وربما عارضوها (الروايات الواردة في المهدي عجل الله فرجه) ببعض الأخبار] وقد تقدمت عبارته حيث لا يوجد وفق بعض متتبعي العامة إلَّا حديث واحد موضوع متفق علىٰ وهنه ونكارته بين أهل الحديث وهو ما رواه محمد بن خالد الجندي وتفرد به عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لا مهدي إلَّا عيسىٰ بن مريم.

١. تاريخ ابن خلدون: ج١، ص٤٤٦.

٢. السيد الغريفي في كتابه.

وقد ذكر ابن خلدون في الراوي أنه ضعيف مضطرب.

قال ابن خلدون في تعليقه علىٰ الخبر[١]:

وقال يحيىٰ بن معين في محمد بن خالد الجندي: إنَّه ثقة، وقال البيهقي: تفرد به محمد بن خالد، وقال الحاكم فيه: إنه رجل مجهول واختلف عليه في أسناده، فمرة يقول كما تقدم وينسب ذلك لمحمد بن إدريس الشافعي، ومرة يروي عن محمد بن خالد عن أبان عن الحسن عن النبي [صلى الله عليه وآله] مرسلاً، قال البيهقي: فرجع إلىٰ رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن أبان أبي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي [صلى الله عليه وآله] وهو منقطع، وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب.

وقد قيل في (أن لا مهدي إلَّا عيسىٰ) أي لا يتكلم في المهد إلَّا عيسىٰ، يحاولون بهذا التأويل أو الجمع بينه وبين الأحاديث، وهو مدفوع بحديث جُرَيح[٢] ومثله من الخوارق.

لا مهدي إلَّا عيسىٰ:

قال الألباني[٣]:

منكر أخرجه ابن ماجة[٤] والحاكم[٥] وابن الجوزي[٦]... من طريق محمد بن خالد الجَنَدي عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس مرفوعاً بلفظ لا

١. مقدمة ابن خلدون: ص٩١٥-٩١٦، طبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية (المحقق).

٢. المقصود رواية جريح الراهب، الذي اتُّهم بالزنا بمومسة بعد أن ادَّعت عليه أنه أبو ولدها، فخاطب الولد وسأله من أبوك؟ فقال: هذا الراعي، والقصة طويلة، والرواية تحدثت عن ثلاثة تكلموا في المهد: عيسىٰ عليه السلام والطفل الذي برَّأ يوسف عليه السلام من دعوىٰ زليخا ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ...﴾ (يوسف: ٢٦)، والصبي في قصة جريح.

٣. الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني: ج١، ص١٧٥، رقم الحديث ٧٧.

٤. ٢/ ٤٩٥.

٥. ٤/ ٤٤١.

٦. الواهيات: ١٤٤٧.

يزداد الأمر إلَّا شدة، ولا الدنيا إلَّا إدباراً، ولا الناس إلَّا شحاً، ولا تقوم الساعة إلَّا على شرار الناس، ولا مهدي إلَّا عيسىٰ بن مريم.

ثم قال الألباني: وهذا إسناد ضعيف فيه علل ثلاث:

الأولىٰ: عنعنة الحسن البصري، فإنَّه كان يدلِّس.

الثانية: جهالة محمد بن خالد الجَنَدي فإنَّه مجهول، كما قال الحافظ في (التقريب) تبعاً لغيره كما يأتي.

الثالثة: الاختلاف في سنده، قال البيهقي: قال أبو عبد الله الحافظ:

(محمد بن خالد مجهول واختلفوا عليه في أسناده، فرواه صامت بن معاذ، قال: ثنا يحيىٰ بن السكن: ثنا محمد بن خالد... فذكره، قال صامت: عدلت إلىٰ الجند مسيرة يومين من صنعاء فدخلت علىٰ محدث لهم فوجدت هذا الحديث عنده عن محمد بن خالد عن أبان بن أبي عياش عن الحسن مرسلاً، قال البيهقي: فرجع الحديث إلىٰ رواية محمد بن خالد الجندي وهو مجهول، عن أبان بن أبي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي ﷺ وهو منقطع، والأحاديث في التنصيص علىٰ خروج المهدي أصح إسناداً.

وقال الذهبي في الميزان: إنه خبر منكر، ثم ساق الرواية الأخيرة عن ابن أبي عياش عن الحسن مرسلاً، ثم قال: فانكشف ووهىٰ.

وقال الصغاني: موضوع، كما في الأحاديث الموضوعة للشوكاني[١].

ونقل السيوطي في العرف الوردي في أخبار المهدي[٢] عن القرطبي أنه قال في التذكرة: إسناد ضعيف والأحاديث عن النبي ﷺ في التنصيص علىٰ خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث، فالحكم بها دونه[٣].

---

١. ص١٩٥.

٢. ٢/ ٢٧٤، من الحاوي.

٣. انتهىٰ كلام الألباني: ص١٧٥-١٧٦.

ثم يرد على هذا الحديث على مبنى المشكلين بالإشكال الأول، وهو عدم نقل البخاري ومسلم لأخبار المهدي أن هذا الحديث لم يروه الشيخان، فكيف يعتمد عليه في رد روايات قد روى الشيخان بعضها ولو بدون ذكر الصفة؟

والحاصل من مجموع ما تقدم: أن ابن خلدون غير متخصص في نقد الأحاديث وغير مأمون في نفس النقل واستيعاب النقل ومن السهل عليه التشكيك بما تظافرت الكلمات في تواتره، مضطرب الكلمات في تقييم أسانيد الروايات، متحامل على أهل البيت عليهم السلام.

فكيف يكون تضعيفه للروايات وتحديد عددها مستنداً لباحث عن الحقيقة؟

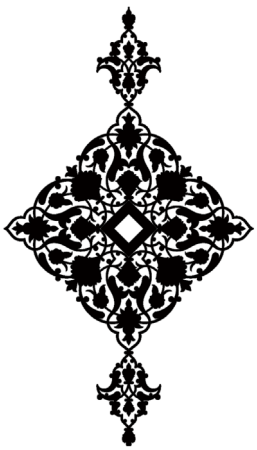

المعود
ALMAUOOD

دلائل العصر
تصاعد الاهتمام بالمخلّص الموعود في وجدان شعوب العالم

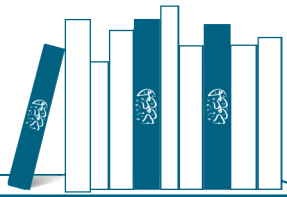

مجتبىٰ السادة

في ظل التحديات المتزايدة التي تواجه البشرية في العصر الحديث، والتي تتجسد في الصراعات والحروب والأوبئة والاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية والأزمات الكبرىٰ، يتجدَّد البحث عن الأمل والخلاص، وتعتبر عقيدة المخلِّص من المفاهيم الدينية العميقة التي جذبت اهتمام البشر عبر العصور، وفي السنوات الأخيرة لوحظ ازدياد ملحوظ في الاهتمام بهذه العقيدة في شتَّىٰ بقاع العالم، هذا الاهتمام يتجاوز الحدود الدينية والمذهبية، ليصبح ظاهرة ثقافية لها منحني متصاعد وتأثير علىٰ الرأي العام العالمي، مما يجعلها تستحق الدراسة والتحليل.

وقد تجلَّت هذه الدراسة بشكل واضح في تسليط الضوء علىٰ مدىٰ ازدياد الاهتمام بفكرة المخلِّص الموعود، تلك الفكرة التي رافقت البشرية منذ القِدَم، ونهدف من هذا البحث إلىٰ التعرُّف علىٰ الدلائل والمؤشرات لمكانة المخلِّص الموعود في وجدان شعوب العالم المعاصرة، وتحديد الأسباب والدوافع التي تقف وراء هذا الاهتمام، كما يسعىٰ البحث إلىٰ تحليل الآثار المترتبة علىٰ انتشار شعبية المخلِّص في الأُمم ومن منظور فكري واستراتيجي.

سيتم الاعتماد في هذه الدراسة علىٰ مجموعة متنوِّعة من المصادر والمنهجيات، بما في ذلك الدراسات الاستطلاعية والإحصائيات الأكاديمية،

ومن المتوقع أن تساهم هذه الورقة البحثية في فهم أعمق لطبيعة العلاقة بين قضية هي في الأصل: فطرية، عقلية، سماوية (فكرة المخلِّص) وبين الرأي العام العالمي في العصر الحديث.

تشكِّل الأزمات العالمية المتتالية - كجائحة كورونا والنزاعات المستمرة - أرضية خصبة لتجدّد الحنين الإنساني العميق نحو الخلاص والمخلِّص، وأنَّ هذا الحنين المتجذِّر في أعماق الأديان والثقافات، يعكس حاجة البشرية الأساسية إلىٰ الأمل والتغيير الإيجابي في مواجهة الظلم والمعاناة، ففكرة المخلِّص الموعود سواء في الأديان السماوية أو في الفلسفات الإنسانية تجسِّد هذا الحنين وتقدِّم رؤية لمستقبل أفضل.

اليوم نشهد تجدّد الاهتمام بهذه الفكرة علىٰ نطاق واسع، مما يدل علىٰ عمقها في النفس البشرية وقدرتها علىٰ تجاوز الحواجز الثقافية والدينية، وأنَّ هذا التصاعد الملحوظ يشير إلىٰ أنَّ البحث عن المعنىٰ والخلاص هو سمة جوهرية للتجربة الإنسانية.

من الملفت في الآونة الأخيرة أنَّ هناك تحوُّلاً كبيراً واهتماماً متزايداً في الثقافة الإنسانية نحو مستقبل البشرية، حيث تتجاوزت النقاشات الثقافة في الإطار التقليدي، ودخلت في حوار مع الحضارات الأخرىٰ، وفي إطارات وعناوين مختلفة كـ(المهدوية أو الخلاص أو المخلِّص أو نهاية التاريخ أو أحداث آخر الزمان أو...) وكل هذه الأفكار تتلاءم مع الفطرة الإنسانية والعقل السليم والإرشاد السماوي، وتجد صدىٰ بارزاً عند جميع شعوب العالم، مما يجعل الموضوع خَلّاقاً ومهماً لدىٰ الرأي العام العالمي.

المهدوية رسالة ربانية خالدة (البشرية تنتظر):

عقيدة الخلاص عبارة عن مفهوم ديني وفلسفي عميق، له جذور في كل الأديان السماوية والعديد من الثقافات الإنسانية حول العالم، وهذا الاعتقاد

يعني: أنَّ هناك قوة عليا قادرة (الخالق) سيخلِّص البشرية من المعاناة والظلم والشر، وسيأتي بهم إلىٰ حالة مثالية من السعادة والعدل والسلام، أمّا المخلِّص فهو الشخصية المركزية في هذه الأيديولوجية، الذي سيقود هذا الخلاص.

إنَّ فكرة (المخلِّص الموعود) مترسِّخة في الفكر الإنساني منذ فجر التاريخ، وعلىٰ طول وامتداد المسيرة الإنسانية، وفي السنين الأخيرة، هذا المفهوم أصبح أكثر بروزاً لدىٰ الكثير من شعوب العالم بسبب تزايد الأزمات العالمية الكبرىٰ، وعلاوة علىٰ ذلك فإنَّ أصل عقيدة المخلِّص هي: حاجة بشرية (الفطرة)، وفكرة واقعية (العقل)، وضرورة إلهية (الإرشاد السماوي)، وهذا يمنحنا بشارة قطعية بأنَّ البشرية ينتظرها عصر مثالي يسوده التوحيد والكمال، وتتحقق فيه جميع متطلّبات الفطرة الإنسانية بنسبة كاملة.

إنَّ فكرة الخلاص في الأساس رؤية إنسانية شاملة، وجوهرها يتعلَّق بقضية القلق الإنساني العميق حول الظلم والحروب والقتل والفساد، ومن المؤكَّد أنَّ هناك علاقة ارتباط وثيقة بين فكرة الخلاص والمخلِّص والاعتقاد بنهاية التاريخ وأحداث آخر الزمان لدىٰ شعوب العالم.

ومن المحتَّم كفكرة قديمة وعميقة في التاريخ البشري أن نجدها متعدِّدة الأوجه وتختلف تفسيراتها باختلاف السياقات الثقافية والدينية والفلسفية، ونتيجة لذلك من المهم التعرُّف علىٰ معنىٰ الخلاص والفلسفة القائمة عليه، وخاصةً في سياق الأطر الدينية، حيث إنَّ جميع الأديان السماوية تتشارك في فكرة الخلاص، ولكن تختلف في مفهومه وكيفية تحقيقه، وتصورهم للمخلص كالآتي:

١ - الإسلام:

- فكرة الخلاص: علىٰ الصعيد الفردي تتعلق بالنجاة من عذاب يوم القيامة، وطريقها التوبة الصادقة، أمّا علىٰ صعيد البشرية فتتعلَّق بتحرُّر

المجتمعات من براثن الظلم، ونشر التوحيد والعدل على كافة المعمورة.

- المخلص الموعود: يؤمن المسلمون بمجيء الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، الذي يُعدّ مخلِّصاً سيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وإقامة دولة السماء في الأرض.

٢ - المسيحية:

- فكرة الخلاص: قائمة على أساس أنَّ الإنسان متلبِّس بالخطيئة (آدم)، وأنَّ الطريق الوحيد للخلاص يتمثَّل في أنَّ ابن الله (المسيح) يتجسَّد ويُصلب ويُقتل، ومن ثم يكون قد أعاد مصالحة الإنسان مع الله.

- المخلص الموعود: هو عودة المسيح مرة ثانية إلى الأرض في آخر الزمان، وإقامة حكم الله وملكوته في المستقبل، وتحقيق العدالة النهائية للبشرية وإسعاد الناس.

٣ - اليهودية:

- فكرة الخلاص: تقتصر على الشعب اليهودي فقط، وتتعلق بالتحرر من المعاناة والوهدة السياسية التي يمر بها اليهود، يُنظر إلى الخلاص على أنَّه تحقيق لرفعة شأن ومجد بني إسرائيل في العالم.

- المخلص الموعود: يؤمن اليهود بمجيء مخلِّص (المسيّا / قائد عسكري وملك مميز) والذي سيعيد بناء الهيكل في القدس ويجمع الشتات اليهودي، ويقيم مملكة إسرائيل الكبرى ويجعل اليهود أسياداً للعالم.

واستخلاصاً لما سبق نستنتج أن الخلاص الذي يلبي مصالح شريحة معيَّنة من البشر فقط (اليهود)، فمثل هذه الرؤية للخلاص لا تتمناها الإنسانية ولا أحد ينتظر تحققه، لأنَّه يفتقد لأبسط مبادئ العدل والمساواة؛ وكذلك الخلاص القائم على عقاب غير المخطئ (المسيح) والذي يفتقد لأبسط مبادئ العدالة

والرحمة والمحبة، لا يطلبه الناس ولا ينتظرونه؛ أمّا حين يكون الخلاص قائماً على ثوابت العدل والمساواة ويتم تطبيقها في المجتمع البشري كافة، وينظر للناس جميعاً سواسية من دون تفاضل أو تمايز، فإنَّ هذا الخلاص (المتمثل بالمهدوية) يرسم أسمىٰ ما تطمح إليه الإنسانية وأكمل صورة للمستقبل ونهاية التاريخ.

العلاقة بين الإيمان بالمخلِّص الموعود والاعتقاد بقرب نهاية العالم تكمن في النبوءات الدينية وتفسير البشارات التي تخبر بظهور شخصية (المخلِّص) في آخر الزمان لإنقاذ العالم من الظلم والفساد، وهكذا يتبيَّن أنَّ هذه العلاقة تتجلّىٰ في جوانب عدَّة:

- التفسيرات العقائدية: العديد من الأديان تؤمن بأنَّ ظهور المخلِّص هو علامة علىٰ قرب نهاية العالم، وهذه الفكرة تعززها النصوص الدينية التي تشير إلىٰ فترة من الأزمات والمشاكل تسبق ظهور المخلص، والتي تعني ضمنياً آخر الزمان.

- المفاهيم الحديثة في الثقافة الشعبية: يتم تناول فكرة المخلِّص ونهاية العالم بشكل متكرر في الأفلام والبرامج التلفزيونية والكتب، مما يعكس ويعزِّز هذه المعتقدات في الوعي الجماعي، وهذه الأعمال غالباً ما تصوِّر مجيء المخلِّص كَحَلٍّ للأزمات الكبرىٰ التي تواجه البشرية، مما يربط بشكل مباشر بين الإيمان بالمخلِّص والاعتقاد بقرب نهاية العالم.

- الأحداث العالمية: بعض الناس يفسرون الأحداث العالمية - مثل الكوارث الطبيعية والحروب والأزمات الاقتصادية - كعلامات علىٰ قرب نهاية العالم وظهور المخلص، هذه التفسيرات تتوافق مع النبوءات الدينية التي تشير إلىٰ ظهور المخلِّص في أوقات الأزمات الكبيرة.

- الأمل في المستقبل: الإيمان بقرب نهاية العالم يمنح الإنسانية أملاً

في مستقبل أفضل آخر الزمان، حيث يسود السلام والعدل في كافة الأرض المعمورة على يد المخلِّص الموعود.

- الارتباط بين الخلاص وقرب نهاية العالم: في السياق الديني السماوي، يُنظر إلىٰ نهاية العالم كوسيلة لإحداث التغيير والخلاص النهائي، وأنَّ ظهور المخلِّص الموعود هي البوابة إلىٰ الخلاص المنشود.

- انتظار المخلِّص وآخر الزمان: هناك الكثير من التنبؤات والتوقعات الدينية بشأن قرب نهاية العالم وظهور المخلِّص الموعود، هذه التوقعات زادت في الآونة الأخيرة، خاصةً في أوقات الأزمات السياسية والمشكلات البيئة الكبرىٰ في العالم.

الإيمان بحتمية ظهور المصلح العالمي وإقامة دولة العدل الإلهي، من الحاجات الإنسانية المشتركة والمتَّفق عليها عند كل الأديان والحضارات، وهذه الحقيقة من المسلَّمات لمن درس عقيدة المخلِّص والتاريخ الديني، ومن ثَمّ ما ينتظره المسلمون وما ينتظره المسيحيون وما ينتظره اليهود وما تنتظره البشرية من قديم الزمان وإلىٰ الآن، هو في الحقيقة شخص مستقبلي واحد محدَّد بعينه، وقد تناولت بشارات الأديان السماوية أبرز قضايا وخصوصيات هذا المصلح العالمي، والتي لا تنطبق إلَّا علىٰ ما يميز الأطروحة الإمامية (المهدوية) والواقع التاريخي الذي مرَّت به، وعلىٰ أساس أنَّ المخلِّص المرتقب آخر الزمان شخص واحد فقط لدىٰ جميع الأديان والحضارات، ووحدة الغاية والهدف والمنطلقات، ولذا تؤكد النصوص الدينية المختلفة وجود نقاط مشتركة حول شخصية المخلِّص الموعود، ووجود اتفاق واسع علىٰ أنَّه مبعوث للبشرية كافة، وفي الحقيقة لا تنطبق هذه النبوءات والبشارات إلَّا علىٰ (المهدي المنتظر)[1]، مما يوحي بوجود اعتراف ضمني واسع غير معلن علىٰ هذه الحقيقة.

١. للتوسع أكثر في هذا الموضوع، ارجع إلىٰ كتابنا: (تعريف المهدوية للحضارات الأخرىٰ)، الفصل الثاني: المهدوية قاسم مشترك بين الحضارات، من ص٦٣-١١٠.

دلائل تشير إلىٰ صحوة عالمية بحثاً عن المخلِّص:

شكَّلت الأحداث الدراماتيكية المتسارعة التي يمر بها العالم حالياً صدمةً عميقةً للشعوب، وأعادت إلىٰ الواجهة مخاوف قديمة حول الأوبئة والحروب والكوارث، وتأثيرها علىٰ الاستقرار العالمي ومستقبل البشرية، وفي واقع الأمر أدَّىٰ فشل القادة السياسيين في علاج الأزمات المعاصرة، إلىٰ الكشف عن هشاشة النظام العالمي وتآكل الثقة في المؤسسات الدولية، وكان ذلك بمثابة منبِّه قوي دفع الكثير من الناس إلىٰ زيادة البحث عن قيادة بديلة أو كيان آخر أو قوىٰ عليا توفِّر الحماية والأمل، وقد بدأت شعوب العالم بالفعل بالتفكير في القيم الحقيقية وزيادة الوعي بالقيم الإنسانية الأساسية، مما أدَّىٰ إلىٰ تحوّلات عميقة في نظرة الشعوب للحياة والمستقبل، وزيادة الارتباط بعقيدة الخلاص والمخلِّص.

إنَّ الاهتمام المتزايد بالخلاص والمخلِّص لدىٰ الرأي العام العالمي هو نتيجة لتفاعل معقد بين مجموعة من الأزمات: الاضطرابات السياسية، والمشكلات البيئية، والتحولات الاجتماعية، والكوارث الطبيعية، والأوبئة الصناعية، والفراغ الروحي، والانحراف الأخلاقي، والبحث عن الهوية، والتحديات العالمية المعاصرة؛ هذه الأزمات دفعت الأُمم للبحث عن شخص أو كيان ينقذهم من معاناتهم، مما يعكس تحولاً في كيفية فهم الناس وتفكيرهم للبحث عن وسيلة للخروج من هذه الحالة المزرية والتعيسة التي تعيشها البشرية الآن.

مما لا شك فيه أنَّ قياس ومعرفة مدىٰ زيادة مشاعر انتظار المخلِّص والبحث عن الخلاص في العالم خلال الفترة الأخيرة تتجلّىٰ من خلال عدَّة دلائل ومؤشِّرات مختلفة تتداخل فيما بينها، وتعكس رغبة المجتمع البشري في تغيير الواقع الحالي، ومن جهة أخرىٰ تشير إلىٰ أنَّ هذه القضية والعقيدة

متجـذِّرة في الفكـر الإنسـاني، ويمكـن لمـس هـذه الزيـادة في الاهتـمام والاطِّـلاع عليهـا بعوامـل عـدّة، منهـا:

١ - نهاية العالم والمخلِّص الموعود، نظرة إحصائية عالمية:

لقـد شـهدت السـنوات الأخـيرة إقبـالاً متزايـداً عـلىٰ الأفـكار المرتبطـة بالمخلِّـص والخـلاص في مختلـف أنحـاء العـالم وبالخصـوص في أوروبـا والولايـات المتحـدة الأمريكيـة، والكثـير مـن البيانـات والإحصائيـات الدوليـة تشـير إلىٰ أنَّ فكـرة انتظـار المخلِّـص وتوقّـع قـرب نهايـة العـالم أصبحـت أكثـر انتشـاراً وحضـوراً في الثقافـة الشـعبية والـرأي العـام العالمـي، وبالتأكيـد فـإنَّ الدراسـات الأكاديميـة وبيانـات اسـتطلاعات الـرأي تسـاعد في الكشـف عـن مـدىٰ انتشـار هـذه الأفكار، وتسـاعد في فهـم دورهـا وتأثيرهـا عـلىٰ المجتمعـات المختلفـة، وفي هـذا السـياق ووفقـاً لبيانـات ومعلومـات اسـتطلاع[١] رأي قـام بـه (مركـز بيـو للأبحـاث)[٢] في عـام ٢٠٢٢، فـإنَّ النتائـج تؤكـد أنَّ حـوالي أربعـة مـن كل عـشرة بالغـين في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة يعتقـدون أنَّ البشريـة **(تعيـش في آخـر الزمـان)**، وقـد شـمل الاسـتطلاع عيِّنـة كبـيرة[٣] ممثلـة للبالغـين في الولايـات المتحـدة، بالإضافـة

١. https://www.pewresearch.org/short-reads/2022/12/08/about-four-in-ten-u-s-adults-believe-humanity-is-living-in-the-end-times.

٢. مركـز بيـو للأبحـاث (Pew Research Center) هـو مركـز معلومـات أمريكـي غـير تابـع لأي حـزب سـياسي، يجـري اسـتطلاعات الـرأي العـام والبحـوث الديموغرافيـة وأبحـاث العلـوم الاجتماعيـة الحاسـوبية وغيرهـا مـن الأبحـاث القائمـة عـلىٰ البيانـات، لقـد تـم إنشـاؤه في عـام ١٩٩٠ كمـشروع بحثـي يسـمَّىٰ (مركـز تايمـز مـيرور للنـاس والصحافـة)، وفي عـام ٢٠٠٤ أنشـأت صناديـق بيـو الخيريـة مركـز بيـو للأبحـاث كشركـة تابعـة، وهـو الممـول الرئيـسي للمركـز لدراسـاته التـي تركـز عـلىٰ التركيبـة السـكانية للأديـان في العـالم.

٣. هـذه الدراسـة والتحليـل قـام بـه مركـز بيـو للأبحـاث (د. جيـف ديامانـت Jeff Diamant حاصـل عـلىٰ درجـة الدكتـوراه في التاريـخ مـن مركـز الدراسـات العليـا بجامعـة مدينـة نيويـورك)، وقـد شـمل هـذا الاسـتطلاع ١٠١٥٦ شـخصاً بالغـاً في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فقـط (مـن خـلال أخـذ عينـات ←

لاستطلاعات أخرىٰ في الكثير من دول العالم، نستخلص من نتائجها الدلائل والمؤشرات التالية:

- ٤٠٪ من البالغين الأمريكيين في عام ٢٠٢٢م قالوا: إنَّهم يعتقدون أنَّ (نهاية العالم) ستأتي في حياتهم.

- هذه النسبة تمثل ارتفاعاً ملحوظاً مقارنة بالسنوات السابقة، حيث كانت النسبة أقل من ٣٠٪ في استطلاعات الرأي قبل عام ٢٠٢١م.

- الاعتقاد بقرب نهاية العالم كان أكثر شيوعاً بين الإنجيليين المسيحيين والجمهوريين السياسيين.

- العوامل التي ساهمت في هذا الاعتقاد شملت الأزمات السياسية والصحية والاقتصادية التي شهدها العالم في السنوات الأخيرة.

واستناداً إلىٰ ما سبق فقد قام (مركز بيو) بإجراء استطلاعات مماثلة في عدد من الدول للتعرف علىٰ مدىٰ انتشار المعتقد بقرب نهاية العالم علىٰ المستوىٰ الدولي، إليكم ملخصاً لبعض النتائج المقارنة:

١ - استطلاع في المملكة المتحدة (٢٠٢٢م):

- ٣٥٪ من البالغين في المملكة المتحدة قالوا: إنهم يعتقدون أنَّ نهاية العالم ستأتي في حياتهم.

- هذه النسبة أقل قليلاً من المعدل الأمريكي البالغ ٤٠٪.

٢ - استطلاع في كندا (٢٠٢١م):

- ٢٨٪ من الكنديين قالوا: إنهم يؤمنون بقرب نهاية العالم.

- النسبة في كندا أقل بشكل ملحوظ مقارنة بالولايات المتحدة وبريطانيا.

←عشوائية وطنية من العناوين السكنية)، بالإضافة للعينات الأخرىٰ من الدول المختلفة، وأُجريت هذه الدراسة في الفترة من ١١ إلىٰ ١٧ أبريل ٢٠٢٢م. تم ترجيح الاستطلاع ليكون ممثلاً لمعظم سكان الولايات المتحدة البالغين حسب الجنس والعرق والانتماء الحزبي والتعليم والانتماء الديني وفئات أخرىٰ.

٣ – استطلاع في السويد (٢٠٢٠م):

– فقط ١٨٪ من السكان السويديين عبَّروا عن اعتقادهم بنهاية العالم القريبة.

– السويد لديها أدنىٰ نسبة من بين الدول المشمولة في هذه الاستطلاعات.

One-in-ten U.S. adults believe Jesus will definitely or probably return in their lifetime

% of U.S. adults who ...

	Believe Jesus will return to Earth some day			
	Yes, Jesus will definitely/ probably return in their lifetime	Not sure if Jesus will return within lifetime	No, Jesus will definitely/ probably NOT return in their lifetime	Do not believe Jesus will return to Earth/do not believe in Jesus
	%	%	%	%
All U.S. adults	10	27	19	41
Christian	14	37	25	22
Protestant	16	43	22	15
Evangelical	21	50	21	7
Mainline	6	30	27	32
Historically Black	22	47	17	11
Catholic	7	25	31	34
Other religion	2	10	6	79
Religiously unaffiliated	3	9	8	77
Republican/lean Rep.	12	35	22	28
Democrat/lean Dem.	8	20	17	52
High school or less	14	29	18	35
Some college	10	27	20	40
College graduate	5	24	19	50
White	8	26	19	43
Black	19	41	18	21
Hispanic	14	23	18	41
Asian*	8	15	16	61

* Estimates for Asian adults are representative of English speakers only.
Note: Those who did not answer are not shown. White, Black and Asian adults include those who report being only one race and are not Hispanic. Hispanics are of any race. "Other religion" includes those who identify as Jewish, Muslim, Buddhist, Hindu, or with another world religion or other non-Christian faith.
Source: Survey conducted April 11-17, 2022.

PEW RESEARCH CENTER

نتائج استطلاع:

هل المسيح سيعود إلىٰ الأرض خلال حياتنا؟

U.S. Protestants in evangelical and historically Black traditions especially likely to believe humanity is 'living in the end times'

Do you believe we are living in the end times?

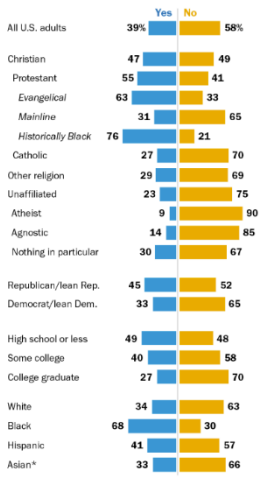

نتائج استطلاع:

هل البشرية تعيش في آخر الزمان؟

سأل (مركز بيو للأبحاث) الأمريكيين عن نهاية العالم أو آخر الزمان كجزء من استطلاع أوسع، وذلك لتقييم ما إذا كانت وجهات النظر حول آخر الزمان مرتبطة بوجهات النظر حول عودة السيد المسيح إلىٰ الأرض، وهو مبدأ أساسي في الديانة المسيحية: الاعتقاد بأنَّ المسيح سيعود في آخر الزمان إلىٰ الأرض، فيما يطلق عليه غالباً (المجيء الثاني).

وكانت نتائج الاستطلاع كالتالي: عند السؤال عما إذا كان المسيح (سيعود إلىٰ الأرض يوماً ما)، قال أكثر من نصف البالغين في الولايات المتحدة (٥٥٪) - بما في ذلك ثلاثة أرباع المسيحيين -: إنَّ هذا سيحدث.

كما قال أفراد العيِّنة: إنَّهم يعتقدون أنَّ المسيح سيعود إلىٰ الأرض، وعن مدىٰ تأكدهم أنَّ هذا سيحدث خلال حياتهم: يقول واحد من كل عشرة أمريكيين: إنَّهم يعتقدون أنَّ المجيء الثاني للمسيح سيحدث بالتأكيد وربما خلال حياتهم، و٢٧٪ ليسوا متأكدين مما إذا كان المسيح سيعود في حياتهم، ويقول ١٩٪: إنَّ عودة المسيح ستحدث بالتأكيد ولكن ربما لن تحدث خلال حياتهم.

نسبة الأمريكيين الذين يقولون: إنَّهم يعتقدون أنَّ المسيح سيعود بالتأكيد وربما خلال حياتهم، أعلىٰ بين البروتستانت (١٦٪) وأقل بين الكاثوليك (٧٪)، ونسبة الأمريكيين السود (١٩٪) واللاتينيين (١٤٪) الذين يعتقدون أنَّ المجيء الثاني للمسيح من المحتمل أن يحدث خلال حياتهم، وهذه النسب في المقابل أكبر من نسبة الأمريكيين البيض غير اللاتينيين (٨٪).

من المرجح في الاستطلاع أن يعبِّر الناس عن عدم اليقين بشأن توقيت عودة المسيح، بدلاً من التعبير عن الشعور بأنَّ ذلك سيحدث في حياتهم، فعلىٰ سبيل المثال: يقول حوالي سبعة من كل عشرة إنجيليين: إنَّهم غير متأكدين من أنَّ المسيح سيعود خلال حياتهم (٥٠٪)، وأنَّ (٢١٪) يقولون: إنَّ المسيح سيعود بالتأكيد ولكن لن يعود خلال حياتهم؛ وهناك ما يقرب من ثلثي أولئك الذين ينتمون إلىٰ التقاليد البروتستانتية (السود تاريخياً) هم إمّا غير متأكدين من التوقيت (٤٧٪) أو أنَّه ربما لن يحدث خلال حياتهم (١٧٪).

بشكل عام، تظهر هذه النتائج أنَّ الاعتقاد بقرب نهاية العالم أكثر شيوعاً في الولايات المتحدة مقارنة ببعض الدول الأوروبية الأخرىٰ، وأنَّ

التباينات الثقافية والسياسية هي التي تُفسِّر هذه الاختلافات بين الدول، إذن هذه النتائج والبيانات تؤكد الارتفاع الملحوظ في نسبة الأمريكيين المعتقدين بقرب نهاية العالم.

وفي هذا السياق قامت مؤسسة بحثية أخرىٰ (أمريكية) بإجراء استطلاع رأي متعدِّد علىٰ مستوىٰ العالم، للتعرُّف علىٰ مدىٰ انتشار الاعتقاد بقرب نهاية العالم وخروج المخلِّص الموعود، وفيما يلي مزيد من البيانات والمقارنات الدولية:

١ - استطلاع عالمي[١] من مؤسسة (غالوب)[٢] (٢٠٢١م):

- في المتوسط العالمي: ٢٨٪ من البالغين قالوا: إنَّهم يعتقدون أنَّ نهاية العالم ستأتي قريباً.

- الدول ذات الأغلبية المسيحية الإنجيلية سجَّلت أعلىٰ نسب، مثل الولايات المتحدة (٤٠٪) وبولندا (٣٥٪).

- الدول الأكثر علمانية سجَّلت أدنىٰ النسب: مثل الصين (١٦٪) والدنمارك (١٣٪).

٢ - استطلاع في دول أمريكا اللاتينية (٢٠٢٢م):

- في المتوسط: ٣٢٪ من البالغين في أمريكا اللاتينية قالوا: إنَّهم يؤمنون بنهاية العالم القريبة.

- البرازيل وكولومبيا سجَّلتا أعلىٰ النسب في المنطقة بـ ٣٨٪ و٣٦٪ علىٰ التوالي.

---

١. https://www.gallup.com/analytics/318875/global-research.aspx

٢. مؤسسة غالوب (Gallup) هي شركة تحليلات واستشارات أمريكية تتخذُ من واشنطن العاصمة مقراً لها، أسَّسَ المؤسسة جورج غالوب عام ١٩٣٥ وأصبحت الشركة معروفة باستطلاعاتِ الرأي العام التي تُجريها في جميع أنحاء العالم، من الركود الكبير، إلىٰ الانتفاضات العربية، إلىٰ ثورة الميدان الأوروبي، خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وكوفيد ١٩.

٣ – استطلاع في الهند (٢٠٢١م):

– ٢٩٪ من الهنود قالوا: إنَّهم يعتقدون أنَّ نهاية العالم ستأتي في حياتهم.

– النسبة في الهند كانت أعلىٰ من المتوسط العالمي البالغ ٢٨٪.

هذه المقارنات تؤكد أنَّ الاعتقاد بقرب نهاية العالم وقدوم أو خروج المخلِّص له انتشار عالمي ملحوظ، لكن مع اختلافات كبيرة بين الدول وفقاً للخلفيات الثقافية والدينية والسياسية؛ والولايات المتحدة وبعض دول أمريكا اللاتينية تأتي في مقدمة هذا الاعتقاد.

واستناداً إلىٰ ما سبق نجد تفاصيل أكثر من استطلاعات الرأي الدولية (مؤسسة غالوب) المتعلقة بالاعتقاد بقرب نهاية العالم، نستخلص منها النتائج التالية:

١ – دراسة مقارنة بين الدول الأوروبية (٢٠٢٢م):

– في المتوسط: ٢٣٪ من البالغين في دول الاتحاد الأوروبي قالوا: إنَّهم يؤمنون بنهاية العالم القريبة.

– ولكن هناك تباينات كبيرة بين الدول: فالنسبة في بولندا بلغت ٣٥٪، بينما في السويد لم تتجاوز ١٨٪.

– تشير الدراسة إلىٰ أنَّ الانتماء الديني والسياسي هما من أهم العوامل المؤثرة علىٰ هذا الاعتقاد في أوروبا.

٢ – استطلاع في دول آسيا والمحيط الهادئ (٢٠٢١م):

– في المتوسط: ٢٥٪ من البالغين في هذه المنطقة يعتقدون بقرب نهاية العالم.

– أعلىٰ النسب: سُجِّلت في الفلبين (٣٥٪) وإندونيسيا (٣٢٪).

– أمّا في اليابان فكانت النسبة أقل من ٢٠٪.

– هناك ارتباط قوي بين الانتماء الديني والمعتقدات الإسكاتولوجية (علم الأُخرويات أو علم آخر الزمان) في هذه المنطقة.

٣ – دراسة مقارنة بين الدول الأفريقية (٢٠٢٠م):

– في المتوسط: ٣٠٪ من البالغين في أفريقيا قالوا: إنهم يؤمنون بقرب نهاية العالم.

– أعلىٰ النسب كانت: في نيجيريا (٤٢٪) وجنوب أفريقيا (٣٦٪).

– هناك ارتباط – عند بعض الثقافات – بين ارتفاع مستويات الفقر والبطالة والتعليم وزيادة الاعتقاد بقرب نهاية العالم في بعض الدول الأفريقية.

٤ – الدول العربية والإسلامية: للأسف لا توجد أي من الأبحاث والدراسات الموثوقة في هذه البلدان. لذا نحن بحاجة ماسة لمزيد من استطلاعات الرأي لفهم هذه الظاهرة بشكل أفضل وبالخصوص في العالم الإسلامي.

٥ – تشترك مجتمعات العالم للدول الشرقية والدول الغربية في أنَّ الأزمات الكبرىٰ تزيد من البحث عن معنىً وأمل، ولكن الخلفيات الدينية والثقافية المختلفة لكل مجتمع تؤدي إلىٰ اختلافات في كيفية تأثير هذه الأزمات علىٰ الإيمان بفكرة المخلِّص المنتظر، ففي الغرب: تفسَّر الأزمات غالباً في سياق العقاب الإلهي والنبوءات الكتابية، بينما في الشرق: التفسيرات ترتبط بصورة أكبر بالنبوءات الروحانية والقيادات الدينية المحلية.

هذه النتائج توضِّح أنَّ الاعتقاد بقرب نهاية العالم له انتشار عالمي ملحوظ، ولكن بدرجات متفاوتة بين الدول والقارات، وأنَّ العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية تلعب دوراً محورياً في تفسير هذه الاختلافات الدولية.

إنَّ ارتفاع نسبة ومعدل الذين يعتقدون بقرب نهاية العالم مقارنة بالسابق[1]، يعكس شعوراً عاماً لدىٰ كافة الشعوب والأُمم بعدم الاستقرار،

١. هناك العديد من التقارير والأبحاث الأكاديمية المتوفرة باللغة الإنجليزية حول الأفكار المتعلقة بنهاية العالم، إليك بعض المصادر البارزة:

ويدل على إحساس قوي بالخطر والقلق بشأن المستقبل، وهذا يوحي بتفكير عميق في التحولات الكبرىٰ التي تمر بها الإنسانية الآن، ويمكن تفسير هذا الأمر علىٰ أنَّه يشير إلىٰ نقطة تحول محورية في التاريخ البشري، حيث بدأت البشرية بتلمس حاجتها الملحة (للمخلص الموعود) لينقذها من الأزمات الكبيرة والكثيرة التي تواجهها علىٰ كافة الجهات في الوقت الراهن، وحتماً أنَّنا أمام بداية مرحلة جديدة أو بداية حقبة زمنية تحمل في طياتها أملاً وتغييراً إيجابياً يشمل جميع البشر دون استثناء، بغض النظر عن العرق أو الدين أو الجنس أو أي اختلافات أخرىٰ.

٢ - كثرة الإصدارات الثقافية:

إنَّ المراقب والمتتبِّع للفضاء الثقافي والفكري العالمي في الآونة الأخيرة يرىٰ بوضوح مدىٰ تزايد عدد المؤلفات والمقالات والبحوث حول الخلاص والمخلِّص، سواء في التراث الديني أو الأدبي أو الفلسفي، مما يعكس اهتماماً متزايداً بهذه القضية، كما أنَّنا نشهد ازدياداً في النقاشات اللاهوتية (الدينية) والمناقشات العامة حول معاني الخلاص ودور المخلِّص في حياة الإنسان والمجتمع، وفي السنوات الأخيرة تزايدت الدراسات الفكرية والأكاديمية التي

أ - مجلة "Sociology of Religion":

- الموقع الإلكتروني : https: / /academic.oup.com /socrel

- هذه المجلة المحكَّمة تنشر أبحاثاً دقيقة حول الأبعاد الاجتماعية والثقافية للمعتقدات الدينية، بما في ذلك المتعلقة بنهاية العالم.

ب - مجلة "Journal for the Scientific Study of Religion":

- الموقع الإلكتروني : https: / /onlinelibrary.wiley.com /journal /14685906

- هذه المجلة الرائدة في مجال علم الاجتماع الديني تنشر أحدث الأبحاث والدراسات في هذا المجال.

يمكنك البحث في هذه المصادر الأكاديمية باستخدام كلمات رئيسية مثل (معتقدات نهاية العالم)، (توقعات الأرض الجديدة) أو (تنبؤات نهاية الزمن)، وسوف تجد العديد من الأبحاث والتحليلات المفصلة حول هذا الموضوع.

تتناول هذه القضية، مما يشير إلىٰ اهتمام أوسع وتركيز أعمق في هذا المجال، ويدل علىٰ حرص الباحثين والمفكرين لفهم هذه العقيدة وتأثيرها علىٰ الرأي العام العالمي، ويعكس أيضاً تحولاً في فضاء الثقافة العالمية نحو فهم أوضح وأدق للأديان والمعتقدات، وفي هذا المقام يرىٰ بعض المراقبين والمتخصصين أنَّ هذا الاهتمام المتزايد في الدراسات الأكاديمية والإعلام الغربي بفكرة النبوءات - بما في ذلك المهدوية والمخلِّص الموعود ونهاية الزمان كجزء من النبوءات الدينية (السماوية) - مؤشِّرٌ علىٰ رغبة بعض الأفراد في فهم وتحليل كيف يمكن أن تتفاعل هذه الأفكار مع التحديات المعاصرة والأزمات العالمية الكبرىٰ.

لا يفوتنا أن ننوِّه بأنَّ هناك أعداداً كبيرة جداً من الكتب والبحوث والمقالات والدراسات الأكاديمية التي تناولت موضوع المهدوية والمخلِّص، ولتوضيح ذلك سنشير إلىٰ إحصائيات أكاديمية[1] عن الكتب والأدبيات الثقافية في هذا المجال، التي صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية (كنموذج

---

١. جدول الإحصائيات من إعدادنا - كاتب هذا البحث - معتمداً علىٰ بيانات وأرقام موقع جستور (JSTOR) وهو عبارة عن موقع مكتبة الكترونية أمريكية تابعة لجامعة ميشيغان، تساعد الطلاب والباحثين والمكتبات والناشرين في جعل مجموعة متزايدة من المحتوىٰ الأكاديمي قابلة للاكتشاف ويمكن الوصول إليها مجاناً في جميع أنحاء العالم، وهذا يشمل المجلات ذات الوصول المفتوح والكتب الإلكترونية والصور والوسائط الأخرىٰ والتقارير البحثية..

مصدر المعلومات والأرقام ورابط البحث لكل عنوان:

https://www.jstor.org/action/doBasicSearch?Query=End+of+world
https://www.jstor.org/action/doBasicSearch?Query=End+of+Time
https://www.jstor.org/action/doBasicSearch?Query=Savior
https://www.jstor.org/action/doBasicSearch?Query=Mahdi
https://www.jstor.org/action/doBasicSearch?Query=End+times+predictions
https://www.jstor.org/action/doBasicSearch?Query=Jesus
https://www.jstor.org/action/doBasicSearch?Query=Second+Coming

فقـط) خـلال الفـترة الأخـيرة، بنـاءً عـلىٰ البيانـات المعتمـدة في موقـع جسـتور: (مكتبـة رقميـة أمريكيـة تحـت إشراف جامعـة ميشـيغان):

سجلت البيانات والأرقام بتاريخ ١٥ اكتوبر ٢٠٢٤م

كلمة البحث (العنوان)	كتاب	فصل في كتاب	مقال في مجلة	تقارير بحثية
نهاية العالم End of world	١٠,٤٢١	٩٨٤,٣٦٩	٢,١٨٩,٣٦٠	٤٧,٨٧٨
آخر الزمان End of Time	١١,٦٦٥	١,١٣٧,٥٥٣	٣,٣١٨,٩٢١	٥٥,٨٩٨
المخلِّص Savior	٤٩١	٣٥,٥٣٠	٣٢,٥٣٠	١٧٩
المهدي Mahdi	٧٨	٥,٩٣٣	١٤,٧٤٠	١,٠٦٥
تنبؤات آخر الزمان End times Predictions	٧٦٧	٤٥,٠٥٦	١٦١,٧٧٨	١,٩٨١
المسيح Jesus	٣,٦٥٧	١٨٤,٤٣٥	٣٣٥,٦١٣	٨٧٩
المجيء الثاني Second Coming	٧,٤٨٥	٥٥٤,٤٢٥	٩٣١,٣٩٣	١٦,٦٥٨

ولابـد مـن الإشـارة إلىٰ الأعـداد الكبـيرة والضخمـة للإصـدارات الأكاديمية والثقافيـة مؤخـراً في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة متعلقـة بمواضيـع مثـل: آخـر الزمـان ونهايـة العـالم والمجـيء الثـاني، ومـن جانـب آخـر إلىٰ أنَّ هـذه الكتـب تمثِّـل منظـوراً حديثـاً حـول الخـلاص وآخر الزمـان، وتحـاول الجمع بـين التحليـل العلمي والفكـري والاجتماعـي وبـين الفهـم الدينـي (اللاهـوتي) للأحداث المسـتقبلية، وهـذا مـن أقـوىٰ المـؤشِّرات عـلىٰ أنَّ الاهتـمام بموضـوع المخلِّـص الموعـود قـد ازداد في العـالم حاليـاً، علـماً أنَّ هـذا الاهتـمام يعكـس (حالـة سـليمة وصحيـة مـن الناحيـة الفطريـة والعقليـة)، حيـث يوفِّـر الأمـل والتفـاؤل والخـلاص مـن الواقـع السـيئ والتطلـع إلىٰ مسـتقبل أفضـل.

ومن زاوية أخرىٰ يلاحظ بصورة جليَّة الاهتمام المتصاعد بقراءة الكتاب المقدَّس في السنوات الأخيرة، وازدياد نشر كتب تفسير الأحداث الجارية في ضوء النبوءات الكتابية والبشارات السماوية والتركيز علىٰ موضوع نهاية الزمان ومستقبل البشرية، وفي هذا السياق سنشير إلىٰ بعض الأمثلة علىٰ الكتب التي صدرت حديثاً، والتي تعد بالمئات إن لم نقل بالآلاف، وسنذكر عنوان كتاب واحد فقط من كل سنة من السنوات الخمس الأخيرة اختصاراً للبحث، وجميعها إصدارات غربية:

١ - كتاب (**إشعياء: نهاية الزمان والمسيح في اليهودية** - ISAIAH :End Times and Messiah in Judaism)[1]

للكاتب: (إسرائيل روزنبرغ)، صدر عام ٢٠٢٠م، المؤلف يستخدم أقساماً مختارة من التوراة ليقدِّم فهماً جديداً للكتاب المقدَّس من منظور يهودي، حيث يناقش مفهوم المخلِّص في اليهودية وتوقعات نهاية الزمان بناءً علىٰ سفر إشعياء.

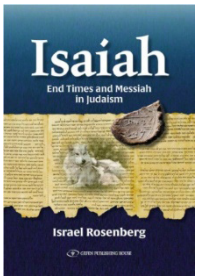

غلاف الكتاب

١. ISAIAH: End Times and Messiah in Judaism، by: Israel Rosenberg، Publisher: Gefen Publishing House / Jerusalem - Palestine، (June 28، 2020)، Language: English، Print length: 278 pages.

٢ - كتاب (**نهاية الزمان وألف عام من السلام**

End Times and 1000 Years of Peac)[١]

للكاتب: (ردبل ذا وورلد)، صدر عام ٢٠٢١م، يقدِّم المؤلف كشف عن حقيقة نهاية الزمان وذلك بفهم سفر الرؤيا، ويؤكد أنَّ هذه هي الحقيقة الرائعة، وذلك بعد أن نمرّ بمقدمات (نهاية الزمان) الغريبة جداً، سندخل حقاً ١٠٠٠ عام من السلام على الأرض.

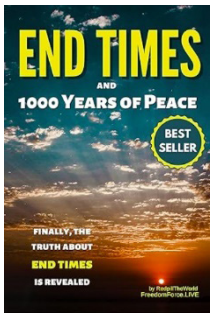

غلاف الكتاب

٣ - كتاب (**المسيح في نهاية الزمان** - Messiah in the End Times)[٢]

للكاتب: (سام نادلر)، صدر عام ٢٠٢٢م، الذي يقدِّم منظوراً مسيحياً حول نبوءات نهاية الزمان، يتناول الكتاب دور السيد المسيح في الخلاص وما بعده، مع التركيز على أهمية إسرائيل في الأحداث المستقبلية، والكتاب يناقش أيضاً عودة المسيح وملكوته الذي سيستمر لألف عام، والمؤلف يقدم رؤية فريدة

---

١ End Times and 1000 Years of Peace ، by: Redpill The World، Publisher: Franaga Mk / USA (January 27، 2021) ، Language: English ، Print length: 273 pages .

٢ Messiah in the End Times ، by: Sam Nadler ، Publisher: Word of Messiah Ministries / North Carolina / USA (June 10، 2022) ، Language: English ، Print length: 264 pages.

مـن نوعهـا لمعالجـة أحـداث نهايـة الزمـان.

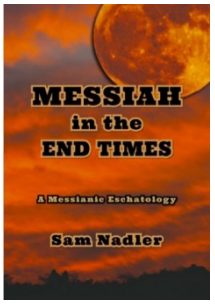

غلاف الكتاب

٤ – كتـاب (**نهايـة العـالم الكـبرىٰ مـن قِبَـل الله**: الغضـب والنعمـة والمجـد في الأيـام الأخـيرة لـلأرض – God‘s Grand Finale : Wrath ،Grace ،and Glory in Earth‘s Last Days)[١]

للكاتـب: (جيـف كينـلي)، صـدر عـام ٢٠٢٣م، والـذي يركِّـز عـلىٰ تفسـير سـفر الرؤيـا في العهـد الجديـد، الكتـاب يناقـش أهميـة هـذا السـفر في الكشـف عـن خطـة الله للنهايـة، ويهـدف إلىٰ مسـاعدة القـراء في فهـم الـدور المحـوري للمسـيح في أحـداث نهايـة العـالم، يـولي المؤلـف اهتمامـاً خاصـاً بالرسـائل السـبع المذكـورة في سـفر الرؤيـا والموجهـة إلىٰ الكنائـس، مبيِّنـاً ارتباطهـا بالكنائـس الحديثـة اليـوم وتوجيههـا نحـو التصحيـح الروحـي.

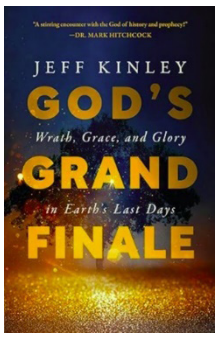

غلاف الكتاب

١. God’s Grand Finale: Wrath، Grace، and Glory in Earth’s Last Days ، by: Jeff Kinley ، Publisher: Harvest Prophecy / USA – Oregon (June 6، 2023) ، Language: English ، Print length: ٢٤٠ pages.

٥ - كتاب (نهاية العالم كما تعرفها -

The End of the World as You Know It)[١]

للكاتب: (ماثيو هالستد)، صدر عام ٢٠٢٤م، والذي يعيد النظر في بعض الافتراضات الشائعة حول نهاية العالم، ويجيب المؤلف عن سؤال: ماذا يقول الكتاب المقدس حقاً عن نهاية الزمان (ولماذا يعد هذا خبراً ساراً)، ويشير إلىٰ أنَّ فهم الكتاب المقدَّس بشكل صحيح يساعدنا علىٰ فهم حاضرنا ويغيِّر نظرتنا للأحداث المستقبلية.

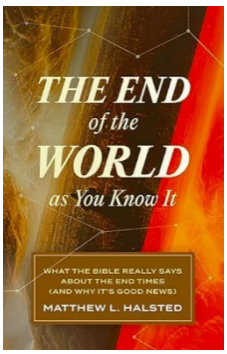

غلاف الكتاب

٣ - توقيت عودة المسيح:

في نفس سياق الفضاء الثقافي الغربي، نجد أنَّ هناك كتباً ظهرت أخيراً تتحدَّث عن أحداث آخر الزمان، وتحدِّد فيه السنة التي سيعود فيها السيد المسيح إلىٰ الأرض، وهذا من الأمور المنهي عنها حسب تعاليم أهل البيت عليهم السلام، بل ورد التأكيد علىٰ تكذيب كل من يوقِّت، قال الإمام الصادق عليه السلام: «أبىٰ

---

١. The End of the World as You Know It، by: Matthew L. Halsted ، Publisher: Lexham Press / USA - Washington (February ٧، ٢٠٢٤)، Language: English ، Print length: ٢٧٩ pages.

الله إلَّا أن يخالف وقت الموقتين»[١]، وبغض النظر عن الخطأ في هذا الأمر، إلَّا أنَّه قد يدل على تلهُّف بعضٍ إلىٰ سرعة تحقق البشارة السماوية التي ستقلب صفحات التاريخ وتغيِّر مسار البشرية من الظلم والجور إلىٰ العدل والقسط، نشير إلىٰ كتابين فقط، تدور معظم أفكارهما حول التوقيت، ويكفي أن تشاهد غلاف الكتاب لتعرف ذلك، مثل: الكاتب (إلبيب نيوتن) قد وقَّت وقال: بأنَّ المجيء الثاني للمسيح سيكون في عام (٢٠٤٢م)، بينما الدكتور (كريستيان وايدنر) قد وقَّت أيضاً وقال: بأنَّ المجي الثاني للمسيح سيحدث في عام (٢٠٢٧م)، انظر إلىٰ:

- كتاب (السنوات الأخيرة للحضارة ٢٠٢٢ إلىٰ ٢٠٤٢ -

Final Years of Civilization 2022 to2042[٢])

للكاتب: (إلبيب إي نيوتن)، صدر عام ٢٠٢٣م، يقدم هذا الكتاب الحسابات لتحديد السنوات المرتبطة بالأحداث الأخيرة لنهاية الزمان أو الفترات السبع الحاسمة فيما يتعلق بالهيكل والمسيح والاختطاف، ويقول المؤلف: لا أحد يعرف يوم أو ساعة الاختطاف (باستثناء السنة حسب نبوءة دانيال السبعين أسبوعاً) ويحدِّدها بعام ٢٠٤٢م، وهي السنة التي سيأتي فيها السيد المسيح ويختطف المسيحيين المؤمنين إليه، وفكرة الاختطاف[٣] حقيقة

---

١. غيبة النعماني: ص١٩٨؛ المعجم الموضوعي: ص٧٦٧.

٢. Final Years of Civilization 2022 to 2042: Daniel's 70 – Week Prophecy A 2485 – Year Duration، by: Elbib E. Newton ، Published (May 30، 2023)، Language: English ، Print length: ٢١٦ pages.

٣. إنَّ أشهر نص كتابي يتحدث عن الاختطاف يقول بولس: (لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ الله، وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. (١٧) ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ) (العهد الجديد / ١تس٤: ١٦ ـ ١٧).

كتابية تؤمن بها كل الطوائف والكنائس المسيحية.

غلاف الكتاب

- كتاب (الشهادة علىٰ النهاية - End the Witnessing)[1] للكاتب: (د. كريستيان وايدنر)، صدر عام ٢٠٢٢م، يتحدَّث الكتاب عن نبوءات الكتاب المقدس، ويؤكد المؤلف أنَّه بعد ألفي عام، فإنَّ الدليل علىٰ عودة المسيح قريبة جداً ومؤكدة، وأن الأفكار الواردة في هذا الكتاب قوية وصادمة للكثير من المسيحيين، والكتاب عبارة عن مغامرة خاصة متجذِّرة في الكتاب المقدَّس يبحث عن فهم العالم وكأنَّنا نشهد النهاية، ويؤكد المؤلف أنَّ هناك العشرات من النبوءات لم نكن نعلم أنَّها حدثت بالفعل، وأنَّ إرهاصات رئيسية حدثت أيضاً، والكتاب يحتوي علىٰ رسالة عاجلة لكل مؤمن مسيحي لا يمكنه تجاهلها: وهي أنَّ الأسبوع الأخير من الأسابيع السبعين التي تنبأ بها دانيال قد وصل، مما يعني أنَّ الضيق الذي يستمر سبع سنوات قد بدأ بالفعل، وأنَّ عدّاً تنازلياً جديداً قد بدأ من سبعين أسبوعاً سينتهي في عام (٢٠٢٧م)، وهي سنة عودة المسيح الموعودة.

---

١. Witnessing the End: Daniel's Seventy Sevens and the Final Decree Everyone Missed، by: Christian Widener ، Published (May 13، 2022)، Language: English ، Print length: 438 pages.

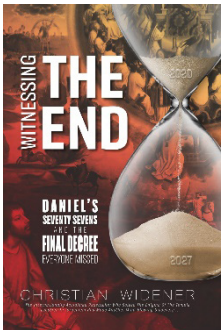

غلاف الكتاب

بشكل عام شهدت قضية المخلِّص والخلاص وأحداث آخر الزمان اهتماماً متزايداً على المستوى العالمي، وهذه العيِّنة من الإحصائيات والكتب تسلِّط الضوء على التطورات الفكرية الحديثة حول الموضوع، وتجمع بين التحليل العلمي المعاصر والنظرة التاريخية الدينية وربطها بالأزمات الكبرى والأحداث الجارية حالياً في العالم، وفي هذا المجال نلفت النظر إلى ملاحظات عدَّة:

- **الدراسات الأكاديمية**: اهتمام متزايد في الأوساط الأكاديمية العالمية بدراسة الروابط بين المخلِّص المنتظر والتطورات العلمية، وفي الواقع يعبر عن ازدياد الرغبة في التعلق بالمفاهيم الدينية واستكشاف الروابط بين العلم والدين، مما يعكس تحولاً في كيفية فهم الدين والعقائد الروحية في سياقات حديثة.

- **التأمل في المستقبل**: هذا الاهتمام المتزايد في الفضاء الثقافي بأفكار آخر الزمان كجزء من النقاشات حول مستقبل البشرية، يعكس تحوُّلاً في الثقافة العالمية نحو فهم أعمق للبشارات الدينية السماوية، ويعتبر هذا التأمل فرصة لاستكشاف كيف يمكن أن تتفاعل الأفكار الروحية مع التحديات العلمية.

- **شخصية المخلِّص الموعود**: تظهر بشكل متزايد في الأعمال الفنية والأدبية، مما يدل على قبولها كموضوع للنقاش والحوار والتعبير في ثقافة الشعوب والرأي العام العالمي، وهذا يعكس تحوُّلاً في كيفية رؤية المعتقدات الدينية في السياقات الثقافية المعاصرة.

- **البحث عن المعنى الروحي**: بعض المفكرين يرون أنَّ الاهتمام المتزايد بالخلاص والمخلِّص في العالم العلماني، يعكس رغبة في البحث عن المعنى الروحي في عالم معاصر مليء بالتحديات الأخلاقية، هذا الاهتمام قد يُعتبر مؤشِّراً على تحول ثقافي نحو إعادة تقييم القيم الروحية والدينية.

فتزايد الأعمال الفكرية والثقافية يدل على أنَّ القضية أصبحت محور اهتمام متصاعد من قبل النخبة المثقفة والرأي العام العالمي بشكل ملحوظ، ويدل من جهة أخرى على أنَّ الشعوب بدأت تشهد صحوة فكرية وروحية متجدِّدة، حيث يتوقُ الناس إلى الاقتراب من الحلول السماوية للأزمات العالمية الكبرى والتحديات المعاصرة، ولهذا نلاحظ ازدياد الوعي في وجدان شعوب العالم بأهمية البحث عن المخلِّص الحقيقي.

لابد من التأكيد على أنَّ هناك الكثير من الدلائل والمؤشرات التي توضح حجم إحصاءاتها[1] على مدى تصاعد وتزايد الاهتمام بمسألة المخلِّص الموعود في العالم في الآونة الأخيرة، مثل كثرة: المؤتمرات الأكاديمية، والأفلام، والمسلسلات التلفزيونية، والمستندات، والصوتيات، والفيديوات، والصور، والعديد من الجوانب الأخرى، ومجمل هذه الحقائق تدل على أنَّ المخلِّص المنتظر يعتبر رمزاً للأمل والتفاؤل والتغيير الإيجابي لدى شعوب العالم في ظل الأزمات العالمية المعاصرة.

١. للاطلاع على بعض هذه الإحصائيات يمكن زيارة موقع جستور (www.jstor.org)، ولم نشر إلى كثرة الإنتاج والإصدار في السنوات الأخيرة مراعاة لحجم ورقة البحث وعدم الرغبة في الإطالة.

الأسباب الكامنة وراء ازدياد البحث عن المخلِّص:

في الآونة الأخيرة شهدت قضية المخلِّص الموعود تصاعداً ملحوظاً في الاهتمام العالمي، ويعزىٰ ذلك إلىٰ مجموعة من العوامل المتداخلة، والتي يمكن تلخيصها علىٰ النحو التالي:

١ - الأزمات والاضطرابات السياسية:

عندما تتعمَّق التوترات السياسية وتشتد الحروب وتستمر الصراعات في العديد من مناطق العالم، تخلق شعوراً بالخوف وعدم الأمان، وعندما تتلاشىٰ الآمال في تحقيق الاستقرار والعدالة، يشعر الناس باليأس والقلق إزاء المستقبل، وحينها يميل البشر بشكل طبيعي إلىٰ البحث عن حلول جذرية ومطلقة لمشاكلهم، هنا تبرز فكرة المخلِّص الموعود كشمعة أمل وسط الظلام، فيتطلَّع الناس إلىٰ شخصية قوية وملهمة تقدِّم لهم الأمل والحلول، وتكون قادرة علىٰ إنهاء المعاناة وإعادة بناء العالم من جديد.

تولِّد الأزمات في الإنسان إرادة صلبة تدفعه للبحث عن أُفق جديد، أملاً في مستقبل أفضل، انطلاقاً من:

- **التطلُّع إلىٰ السلام:** في خضم الحروب واليأس، يتطلَّع الناس إلىٰ شخصية قوية قادرة علىٰ تقديم الأمل والتغيير الإيجابي، فالمخلِّص الموعود يمثِّل هذا الأمل، لما يقوم به من تحقيق الأمن والسلام وإنهاء القتال.

- **الشعور بالظلم والقهر:** عندما يشعر الناس بالظلم والقهر، يبحثون عن قوة قادرة علىٰ إنصافهم، والمخلِّص الموعود يمثل هذه القوة العليا الذي يحرِّر البشرية من براثن الظلم والجور وينشر القسط والعدل.

- **الرغبة في الهروب من الواقع:** عندما يصبح الواقع مؤلماً لدرجة أنَّ الناس يفضلون الهروب منه إلىٰ عالم آخر يوفر لهم الأمان والسعادة، فالمخلِّص الموعود في آمالهم يمثل هذا العالم المثالي في المستقبل.

بالتأكيد أنَّ الأحداث السياسية والاضطرابات الكبرىٰ تلعب دوراً مهماً في تشكيل وجدان الشعوب وتأثيرها علىٰ معتقداتهم الدينية، مما يؤدّي إلىٰ تصاعد الاهتمام بفكرة المخلِّص الموعود.

٢ - الكوارث العالمية الكبرىٰ:

تعتبر الكوارث الطبيعية الكبرىٰ أحد الظواهر التي تهز أُسس الحياة علىٰ الأرض، محملة بتداعيات وخيمة تطال البيئة والبشرية، وهذه الكوارث بشتّىٰ أشكالها تترك آثاراً وخسائر جسيمة لها أثرٌ طويل الأمد علىٰ الإنسانية، وتعتبر آثارها تحدِّياً جسيماً للمجتمعات والشعوب.

تبعاً لذلك يندفع الناس للبحث عن الأمل في فكرة المخلِّص الموعود الذي يمكنه إنهاء المعاناة.

الكوارث الكبرىٰ غالباً ما تكون سبباً في زيادة الاهتمام بفكرة المخلِّص، وذلك لأسباب عدَّة، منها:

- **التأثير البيئي**: تسبب الكوارث الكبرىٰ تدميراً هائلاً للبيئة، مثل الزلازل والأعاصير وحرائق الغابات والفيضانات، وتستتبع بتهديد الكائنات الحية، مما يؤدي إلىٰ تفكير كثير من الناس في نهاية العالم.

- **التأثير الاجتماعي**: تؤثر الكوارث علىٰ المجتمعات والأفراد، مما يؤدي إلىٰ خسارة المأوىٰ أو فقدان الأرواح، فترتبط مشاعر الخوف والقلق عند الناس مع الأمنيات والرجاء والبحث عن الراحة والأمل.

- **التأثير الاقتصادي**: تسبب الكوارث الكبرىٰ خسائر اقتصادية هائلة، سواء علىٰ المستوىٰ الشخصي أو الجماعي، مما يجعل الناس تلجأ إلىٰ الفطرة (الدين/ المخلص) كوسيلة للتعامل مع الصدمة والبحث عن الأمل.

إنَّ الأزمات والكوارث تدفع الأفراد للبحث عن معنىٰ أعمق للحياة، مما يجعلهم أكثر تقبلاً للأفكار الروحانية والنبوءات الدينية، وكنتيجة لذلك

فقد فسر كثير من الناس (جائحة كوفيد ١٩) كعلامة من علامات نهاية العالم، وأدىٰ إلىٰ زيادة قراءة النصوص الدينية المتعلقة بالأمراض في آخر الزمان، مما جعل فكرة المخلِّص المنتظر أكثر جاذبية.

٣ - البحث عن العدالة:

تُعتبر العدالة والمساواة من المبادئ الأساسية التي تسعىٰ المجتمعات الإنسانية لتحقيقها، حيث تشكل حجر الزاوية لاستقرار الدول والمجتمعات، ومع ذلك يعاني العالم اليوم من تباينات شديدة في أوضاع حقوق الإنسان، مما أدَّىٰ إلىٰ تفشّي الظلم والجور والإرهاب والفقر والتمييز وعدم المساواة، وتتجلَّىٰ هذه الظواهر بشكل واضح في مختلف الأصعدة وأوجه الحياة، مما يثير القلق حول مستقبل المجتمعات.

في هذا السياق، تزداد الحاجة إلىٰ رمز للأمل والتغيير، مثل فكرة المخلِّص الموعود، والتي تُعبر عن تطلُّعات البشرية نحو العدالة والتغيير، إذ يراها الكثيرون رمزاً للإنقاذ من الأوضاع الراهنة، وفي أوقات الشدة والمحن والواقع الإنساني الرديء يعكس هذا الاهتمام المتزايد للفكرة رغبة الناس في رؤية حلول جذرية لمشاكلهم، وتطلُّعاتهم نحو تحقيق مجتمع أكثر عدلاً ومساواة، وبكل تأكيد فإنَّ ضعف العدالة والمساواة في العالم ساهم في تعزيز الاهتمام بفكرة المخلِّص الموعود لنواحي عدَّة:

- **الحاجة إلىٰ الأمل**: عندما يفشل الواقع في توفير العدالة والمساواة في المجتمعات، يتَّجه الناس تلقائياً بفطرتهم إلىٰ الأمل والرجاء والبحث عن قوة قادرة علىٰ تغيير الأمور.

- **الخوف من المستقبل**: عندما ترىٰ الشعوب أنَّ العالم مليءٌ بالظلم يتوقون إلىٰ عالم عادل، فيتقصون عن ضمانة لمستقبل أفضل، فيجدونها في فكرة المخلِّص الذي سيأتي ويقودهم إلىٰ بر الأمان ويحقق الحلم.

- **ضعف المؤسسات الدولية**: عندما تفشل الحكومات والمؤسسات الدولية في تحقيق العدالة، تفقد مصداقيتها وثقة الناس، فيطلبون حلولاً خارج نطاق الواقع الملموس، مثل فكرة المخلِّص الذي سيأتي لتحقيق العدل والإنصاف.

إنَّ فكرة المخلِّص الموعود هي تعبير عن الأمل الإنساني في عالم أفضل، وهي تتجذَّر في أعماق النفس البشرية التي تتوق إلىٰ العدل والإنصاف، فعندما تشعر الشعوب والمجتمعات بالظلم والقهر في ظروف غير عادلة مليئة بالأزمات والاضطرابات، يصبح الرأي العام أكثر استعداداً لقبول فكرةٍ تحمل في طياتها أملاً بتحقيق عالم عادل ومتساوٍ، متحرر من براثن الظلم ويعم فيه الخير.

٤ - التحولات الاجتماعية والأخلاقية:

تعتبر التحولات الأخلاقية والاجتماعية المتسارعة التي يشهدها العالم في العصر الحالي أحد العوامل الرئيسة التي تساهم في زيادة الاهتمام بفكرة المخلِّص الموعود، فهذه التحولات الجذرية (مثل: الجندر، المثلية، الانحراف الأخلاقي الفظيع، التلاعب بالجينات البشرية، العولمة، تغير مفهوم الأُسرة، صعود الفردانية، أخلاقيات الذكاء الصناعي وغيرها) تحديات كبيرة تؤثر علىٰ هوية المجتمعات والقيم التقليدية والمعتقدات الدينية، مما يخلق فراغاً روحياً وأخلاقياً يدفع الأفراد إلىٰ البحث عن معانٍ جديدة وأمل في المستقبل.

كل الأديان السماوية (الإسلام، المسيحية، اليهودية) ترىٰ: أنَّ هذه التحولات والسلوكيات هي انحراف عن القيم الأخلاقية والدينية السائدة، باعتبارها تمثل انحرافاً عن الفطرة البشرية، وعن القيم الأخلاقية التي وضعها الله تعالى للإنسان، وتربط هذه الأديان بين هذه التحوُّلات العميقة وبين نهاية العالم، معتبرة إياها من علامات آخر الزمان، وبكل تأكيد فإنَّ اتِّجاه البشرية

في هـذا المنحىٰ الأخلاقـي الخطـير يسـاهم في تعزيـز الاهتـمام بفكـرة المخلِّـص الموعـود لنواحـي عـدَّة:

- **تـآكل القيـم الأخلاقيـة**: تعتـبر هـذه السـلوكيات طارئـة عـلىٰ المجتمـع البـشري ومنافيـة للأخـلاق السـوية، ممـا يدفـع المجتمعـات إلىٰ البحـث عـن جهـة أو كيـان يوقـف هـذا الانحـدار الخطـير، ويعيـد الأمـور إلىٰ نصابهـا السـليم.

- **التحديـات الاجتماعيـة**: تؤثـر عـلىٰ المفاهيـم التقليديـة لـلأسرة والـزواج، وتخلـق مشـاكل نفسـية واجتماعيـة عديـدة وخاصـة في المجتمعـات المحافظـة، ممـا يجعـل الأفـراد يشـعرون بفقـدان الجـذور والانتـماء وضيـاع المعنىٰ في الحيـاة، وهنـا تـبرز فكـرة المخلِّـص كرمـز للهويـة والانتـماء الروحـي.

- **الخطـر عـلىٰ مسـتقبل البشريـة**: إنَّ وجـود هـذه التوجهـات يهـدد الأسرة التقليديـة، ويضعـف الهويـة الجنسـية، ويشـكل تهديـداً كبـيراً تواجهـه البشريـة نتيجـة لهـذه التحـولات، تسـتدعي التنقيـب عـن جهـة توقـف هـذا الانحـراف.

إنَّ السـقوط الأخلاقـي الخطـير والتلاعـب بالطبيعـة البشريـة والتحـولات الاجتماعيـة المتسـارعة التـي يشـهدها المجتمـع البـشري، تـؤدي إلىٰ الشـعور بالضيـاع والفـراغ، وتسـبب حالـة مـن عـدم الاسـتقرار والقلـق، ونتيجـة ذلـك تلعـب هـذه التحـولات دوراً مهـماً في زيـادة الاهتـمام بفكـرة المخلِّـص الموعـود، باعتبارهـا رد فعل طبيعـي عـلىٰ التحديـات التـي يواجههـا الإنسـان المعـاصر، وتوفـر لـه الأمـل والمعنىٰ في ظـل عـالم متغـيِّر ومتسـارع، وتحفـظ لـه شـعور بالاسـتقرار والثبـات.

قراءة فكرية واستراتيجية لدلالات تصاعد الاهتمام بالمخلِّص الموعود:

فكـرة المخلِّـص الموعـود، رغـم أنَّهـا قـد تبـدو للوهلـة الأولىٰ مجـرد رمـز دينـي أو نبـوءة مسـتقبلية، إلَّا أنَّهـا مـن منظـور اسـتراتيجي وفكـري وأيديولوجـي تعكـس ديناميكيـات أعمـق ترتبـط بتغـيرات جذريـة في البنيـة النفسـية، السياسـية، والاجتماعيـة للشـعوب.

إنَّ تصاعد الاهتمام بالفكرة في السنوات الأخيرة، يشير إلىٰ أنَّ العالم يمر بمرحلة من التحوُّلات الكبرىٰ، وأنَّ البشرية علىٰ أعتاب عصر جديد من التحولات والمخاضات الكبرىٰ، وتتَّجه نحو البحث عن قيادات تلبي احتياجاتها العميقة في الاستقرار، والهوية، والأمل بالمستقبل.

ومن هنا فإنَّ مراقبة تصاعد هذه الفكرة وتحليل أسبابها وتداعياتها تعد خطوة ضرورية لفهم التحولات القادمة في مسارات الشعوب ووجهات الرأي العام العالمي، ومن هذا المنطلق أجرينا عصفاً ذهنياً لتحليل دقيق وتأمل عميق لقراءة هذا الاهتمام بحكمة وبصيرة، وفك شفرة ما تخفيه لنا دلالات الاهتمام المتزايد بموضوع المخلِّص، وسنركِّز علىٰ بعض النقاط الرئيسة ونتطرق إليها باختصار:

التحليل الاستراتيجي:

عندما تركِّز الشعوب علىٰ مسألة (المخلّص الموعود) أو (المنقذ المنتظر) بشكل واسع وعام، فهذا يعكس دلالات استراتيجية عميقة ترتبط بمستويات كونية وحضارية، لتشير إلىٰ حالة شعور جماعي عالمي بالخطر أو بالتحوّل الجذري، ويمكن تحليل هذا الاتجاه للشعوب والرأي العام العالمي علىٰ مستويات استراتيجية عدَّة، منها:

١ - مؤشر علىٰ قلقٍ وجودي حقيقي:

عندما تتَّجه البشرية نحو فكرة (المنقذ الموعود)، فقد يكون ذلك ناتجاً عن قلق وجودي عميق، وأنَّ المخاوف من الفناء أو من انهيار الحضارة ربما أصبحت واقعاً ملموساً بسبب التهديدات النووية، أو التغيُّرات المناخية المتسارعة، أو الكوارث الطبيعية أو التهديدات المرتبطة بتكنولوجيا المستقبل.

رؤيــة اســتراتيجية: يعنــي أنَّ العــالم يــرىٰ نفســه عــلىٰ حافــة الهاويــة، وأنَّ الشــعوب لم تعــد تبحــث عــن حلــول إصلاحيــة تدريجيــة، بــل تتــوقَّ إلىٰ (قفــزة كــبرىٰ) تنقــذ البشريــة مــن أزمــة وجوديــة شــاملة.

٢ - فقدان الثقة بالنظم والمؤسسات الدولية القائمة:

عندمــا تتحــوَّل فكــرة المخلِّــص إلىٰ عنــصر مركــزي في الوعــي الجماعــي، فذلــك يــدل عــلىٰ تــآكل الثقــة بالنظــم السياســية الحاليــة، وهــذا يعنــي أنَّ الشــعوب قــد فقــدت إيمانهــا بقــدرة القــادة الحاليــين أو البنــىٰ المؤسســاتية عــلىٰ تلبيــة احتياجاتهــا.

رؤيــة اســتراتيجية: تشــير هــذه الظاهــرة إلىٰ اســتعداد المجتمعــات لتقبــل أنــماط جديــدة مــن القيــادة أو التحــرك باتِّجــاه تغيــرات جذريــة، ســواء كانــت إصلاحيــة أو ثوريــة.

٣ - مؤشر لتحوُّلات كبرىٰ في الرأي العام العالمي:

مــن الناحيــة السياســية، تعكــس هــذه الظاهــرة اســتعداد المجتمعــات الدوليــة لتقبــل أفــكار أو قيــادات جديــدة، بــل قبــول تركيبــة ســلطوية تتمحــور حــول شــخصية (مخلّــص) حقيقــي.

رؤيــة اســتراتيجية: ظهــور مثــل هــذه الأفــكار (تاريخيــاً) كان غالبــاً يســبق تحــولات كــبرىٰ، مثــل الثــورات أو الصعــود الحــاد للحــركات الراديكاليــة أو الحــروب الدوليــة الكــبرىٰ.

٤ - بحث عن قيادة عالمية واحدة:

الاهتــمام بفكــرة المخلِّــص قــد يشــير إلىٰ تــوقٍ عالمــي لظهــور قيــادة (كونيــة) أو رمــز يوحــد البشريــة في ظــل النظــام العالمــي الحــالي المنقســم والمضطــرب، ذي الأقطــاب المتناحــرة.

رؤيــة اســتراتيجية: يشــير إلىٰ وجــود فــراغ قيــادي حقيقــي، ويعنــي أنَّ المؤسسـات الدوليـة الحاليـة (مثـل: الأُمـم المتحـدة، ومجلـس الأمـن) باتـت عاجـزة عــن أداء دورهــا، وأنَّ البشريــة تتَّجــه نحــو فكــرة (حكومــة عالميــة واحــدة).

٥ - تآكل الأيديولوجيات والمعتقدات السائدة:

البحــث عــن (المخلِّــص) وتصاعــد هــذه الفكــرة في وجــدان شــعوب العــالم يشــير إلىٰ أنَّ الأيديولوجيــات السياســية والاقتصاديــة والفلســفية التــي حكمــت القــرن العشريــن (كالليبراليــة، والشــيوعية، والرأســمالية) قــد فقــدت قوتهــا التأثيرية، وأصبحــت غــير قــادرة عــلىٰ إلهــام الشــعوب.

رؤيــة اســتراتيجية: إنَّ النظــام القيمــي والأخلاقــي الــذي تقــوم عليــه الحضارة الحديثــة قــد بلــغ حــدوده القصــوىٰ، وأنَّ هنــاك حاجــة ماســة لنظــام بديــل وجديــد يتجــاوز هــذه الأُطــر التقليديــة.

٦ - بداية تحول في دورة الحضارات:

هــذا التصاعــد والاهتــمام عالميــاً لفكــرة (المخلِّــص) يشــير إلىٰ أنَّنــا نقــف عنــد نقطــة انعطــاف في دورة الحضــارات الكــبرىٰ[١]، حيــث إنَّ الحضــارات تمــر بمراحــل مــن الصعــود والازدهــار، يليهــا الانحــدار والبحــث عــن قــوىٰ خارجيــة تعيــد إحياءهــا.

رؤيــة اســتراتيجية: يشــير إلىٰ أنَّ البشريــة بأكملهــا تعيــش لحظــة مــن التحــوُّل الكبــير، وأنَّنــا نقــترب مــن مرحلــة بدايــة نهايــة (العــصر الحديــث) كــما نعرفــه، وبدايــة عــصر جديــد يتســم بتحــوُّلات جذريــة كليــاً وعــلىٰ كافــة الأصعــدة، وإعــادة

١. وفقــاً لنظريــة (الــدورات الحضاريــة) للمــؤرخ: أرنولــد جــوزف توينبــي: (Arnold J. Toyn-bee) مؤرخ بريطــاني ولــد في ١٨٨٩ في لندن وتــوفي ١٩٧٥ أهــم أعمالــه: موسوعة دراســة للتاريــخ، وهــو مــن أشــهر المؤرخــين في القــرن العشريــن، لمزيــد مــن التفاصيــل انظــر: تفســير تُوينبي لنشــوء الحضــارة وســقوطها، في كتــاب: مختــصر دراســة التاريــخ (٤ أجــزاء) ترجمة: فــؤاد شــبل.

تشكيل للنظام العالمي الحالي، وأنَّ النظام الدولي القائم على وشك أن ينهار ويتغيَّر جذرياً.

٧ - الانعكاسات على السياسات الدولية:

من منظور السياسة الدولية، تزايد هذا الاتِّجاه يؤدي إلى بروز نماذج جديدة من التحالفات المبنية على (الأيديولوجيا المخلّصة)، حيث تبدأ الدول أو الحركات السياسية في تشكيل تحالفات عابرة للحدود تقوم على مفهوم (الخلاص والمخلِّص) المشترك، مما يغيِّر من ديناميكيات التحالفات التقليدية.

رؤية استراتيجية من الواقع المعاصر: يتجلّى بشكل خاص في حالة تحالف: الصهيونية اليهودية والمسيحيين الإنجيليين، حيث تربطهما (رؤية خلاصية)[1] ذات أهداف ومصالح متقاربة، تعادي النظام العالمي، وتسعى لتغييره وفق تصور جديد، زاعمين - لتبرير أفعالهم الإرهابية والمتطرِّفة - أنَّهم يحاربون من أجل تحقيق نبوءة دينية أو تحقيق حلم بشري مشترك.

استنتاج استراتيجي:

إذا زادت الشعوب تركيزها على فكرة (المخلِّص الموعود)، فهذا يعني أنَّ المجتمع العالمي في حالة تحوُّل، وقد يكون في طور البحث عن مخرج من أزمة شاملة.

---

١. الأهداف الأيديولوجية لهذا التحالف نلخصها بالآتي:

- الأهداف الصهيونية اليهودية: إقامة دولة (إسرائيل الكبرى) ذات أغلبية يهودية في أرض فلسطين، التي يعتبرها اليهود أرض الميعاد.
- الأهداف المسيحية الإنجيلية: تسريع عودة المسيح الثانية، حيث يعتقد المسيحيون الإنجيليون، أن قيام دولة إسرائيل وتوحيدها هو شرط أساسي للمجيء الثاني، وأنَّ هذا الحدث سيؤدي إلى نهاية العالم وبداية الألفية الجديدة.

من الضروري علىٰ المهتمين والمسؤولين مراقبة هذا الاتجاه بعمق لفهم التوجهات القادمة، حيث إنَّه إشارة مبكرة لتغيرات جيوسياسية كبرىٰ.

التحليل الفكري:

تصاعد الاهتمام بفكرة المخلِّص الموعود في السنوات الأخيرة في وجدان الشعوب يثير العديد من الأسئلة والاستفسارات حول الدوافع وراء هذا الاهتمام، وتأثيره علىٰ الأفراد والمجتمعات، وأهميته الاستراتيجية والفكرية، وسنوضِّح تحليلاً شاملاً من الناحية الفكرية علىٰ زيادة هذا الاهتمام، ومن زوايا مختلفة عدَّة:

علم النفس:

- **الحاجة إلىٰ المعنىٰ والأمل:** إنَّ الإنسان يميل للبحث عن معنىٰ للحياة والأمل في المستقبل، خاصة في مواجهة الأزمات والصعوبات، ولذا فإنَّ الإيمان بالمخلص يوفر إطاراً تفسيرياً للأحداث ويمنح الحياة هدفاً.
- **الخوف من المجهول:** الاعتقاد بفكرة (المخلِّص) وسيلة للتغلُّب علىٰ الخوف من المجهول والمستقبل الغامض، ويمكن اعتباره محاولة للعودة إلىٰ الماضي الذهبي أو الهروب من الواقع المؤلم والصعب المعاصر.
- **آليات الدفاع:** هذا الاعتقاد بمثابة آلية دفاع نفسية تساعد الأفراد علىٰ التعامل مع الشعور بالضعف والعجز أمام الأحداث الكبرىٰ.

رؤية من منظور علم النفس: البشر يميلون إلىٰ البحث عن أمل في الأوقات الصعبة، وأنَّ الإيمان بفكرة المخلِّص يوفر شعوراً بالراحة والأمان النفسي، حيث يتم نقل العبء من الأفراد إلىٰ شخصية قوية وقادرة علىٰ التغيير، هذا الإحساس بالخلاص الخارجي يساعد في تخفيف القلق الجماعي وتحقيق نوع من الاستقرار النفسي.

علم الاجتماع:

- **وظائف الدين**: يلعب الدين دوراً مهماً في تلبية الحاجات الاجتماعية والنفسية للأفراد، وعقيدة المخلِّص الموعود هي إحدىٰ هذه الوظائف، وتقوية الروابط بين أفراد الجماعة.

- **التغيير الاجتماعي**: إنَّ الإيمان بالمخلِّص الموعود محركٌ للتغيير الاجتماعي، حيث إنَّه يدفع الناس إلىٰ العمل من أجل تحقيق رؤية مستقبلية أفضل.

- **التماسك الاجتماعي**: تساهم هذه العقيدة على بناء الهوية الجماعية، وتعزيز التماسك الاجتماعي بالانتماء إلىٰ مجموعة إنسانية كبرىٰ، وبناء مجتمع قوي ومتماسك قادر علىٰ مواجهة التحديات المعاصرة.

رؤية من منظور علم الاجتماع: يركِّز علماء الاجتماع علىٰ العوامل الاجتماعية التي تساهم في انتشار هذا الاعتقاد، فالتغيُّرات السريعة في المجتمع، مثل المادية والتكنولوجيا والعولمة والعلمانية، قد تزيد من الشعور بالضياع والفراغ، مما يدفع الأفراد إلىٰ البحث عن هوية مشتركة ومعتقدات توحدهم.

التخطيط الاستراتيجي المستقبلي:

- يساعد فهم (الدوافع وراء الإيمان بالمخلِّص الموعود) علىٰ الاستعداد للأزمات والاضطرابات التي قد تنجم عن هذا الاعتقاد.

- استخدام مفهوم المخلِّص الموعود في تطوير خطط وسيناريوهات مستقبلية مختلفة في المجالات الدينية والاجتماعية والثقافية، وتقييم الآثار المحتملة لكل خطة.

- يمكن للسياسيين والقادة تحليل هذا الاهتمام بالمخلص، لتحديد رؤية المجتمعات المستقبلية واتجاهها، ودراسة استراتيجيات للتأثير علىٰ هذه الاتجاهات وتوجيهها بما يخدم مصالح الشعوب.

رؤيـة مـن منظـور التخطيـط الاسـتراتيجي: مـن المهـم أن تتذكَّـر الـدول أنَّ التعامـل مـع هـذه القضيـة يتطلَّـب حساسـية وفهـماً عميقـاً للسـياق الاجتماعـي والثقـافي والدينـي، وأنَّ الحلـول الأمنيـة وحدهـا لـن تكـون كافيـة، بـل يجـب أن تكـون جـزءاً مـن مقاربـة أكثـر شـمولية تعالـج الأسـباب الجذريـة، وتعـزز القيـم الإنسـانية المشـتركة لمواجهـة الصعـاب.

استنتاج فكري:

تصاعـد الاهتـمام بفكـرة (المخلِّـص الموعـود) يعكـس شـعوراً جماعيـاً بالأزمـة وعـدم اليقـين العالمـي، ممـا يدفـع البـشر للبحـث عـن حلـول جذريـة وشـخصيات قياديـة اسـتثنائية قـادرة عـلىٰ إنقـاذ المجتمعـات، هـذا التوجُّـه هـو آليـة دفاعيـة للتعامـل مـع القلـق والخـوف، وحاجـة الإنسـان الأساسـية للمعنىٰ والأمـان في ظل الاضطرابـات المتزايـدة، وينبـع هـذا التوجُّـه مـن التغـيُّرات الاجتماعيـة السريعـة، وضعـف المؤسسـات التقليديـة، والرغبـة في الهويـة والانتـماء، كذلـك يعكـس أزمـة روحيـة وإحساسـاً بالعجـز أمـام التحديـات الكـبرىٰ، بالإضافـة إلىٰ أنَّـه يشـير إلىٰ اسـتعداد فكـري للتحـولات التاريخيـة والاجتماعية الكـبرىٰ.

الرؤية الدينية والروحية:

تصاعُـدُ الاهتـمام بفكـرة (المخلِّـص الموعـود) عنـد البشريـة، يشـير إلىٰ ظاهـرة دينيـة وروحيـة عميقـة، يمكـن تفسـيرها عـلىٰ مسـتويات متعـدِّدة تتعلـق: بالبنيـة الروحيـة للإنسـانية، أو رؤيـة الحضـارات لمصيرهـا، أو موقـع البشريـة في المسـار التاريخـي الممتـد مـن المـاضي إلىٰ المسـتقبل.

هـذه الظاهـرة تتجـاوز التحليـل التقليـدي للمجتمعـات لتلامـس الأسـئلة الكـبرىٰ حـول المصـير والقيـم والمـآلات النهائيـة للوجـود البـشري، ومـن هـذا المنطلـق يمكـن قراءتهـا عـلىٰ النحـو التـالي:

١ - التطلُّع إلىٰ الخلاص الروحي الشامل:

الاهتمام الشامل بفكرة (المخلِّص) يعكس توقاً جماعياً نحو نوع من الخلاص الروحي الذي يتجاوز الحدود القومية أو الثقافية أو حتَّىٰ الدينية، هذا التوجُّه يشير إلىٰ أنَّ البشرية تشعر بأنَّ هناك فراغاً أو انحرافاً عن المسار الروحي والديني الصحيح، وأنَّ هناك حاجة ماسة إلىٰ قوة خارجية أو شخصية ربانية لتعيد التوازن الروحي للعالم.

رؤية وبصيرة: هذا التوجُّه يدل علىٰ اقتراب البشرية لنوع من التحول الروحي العالمي، حيث يبدأ الناس بالبحث عن حقيقة وجودية جديدة أو نظام قيمي بديل، يعيد تعريف معاني الخير والشر، ويطرح منظوراً مختلفاً لغاية الحياة والوجود.

٢ - إحياء النبوءات والرموز الدينية الكبرىٰ:

تصاعد الاهتمام بفكرة (المخلِّص الموعود) عبارة عن مؤشر علىٰ إحياء النبوءات الدينية التقليدية، فمعظم الأديان الكبرىٰ تتحدَّث عن شخصية المخلِّص في نهاية الزمان، سواء كان (المهدي المنتظر) في الإسلام، أو (عودة المسيح الثانية) في المسيحية، أو (المسيا) في اليهودية، أو (المايتريا) في البوذية، أو (الكالكي) في الهندوسية.

رؤية وبصيرة: أنَّ ظهور هذه الفكرة بشكل متزامن علىٰ مستوىٰ عالمي، يعطي إشارة إلىٰ أنَّ البشرية تعيش لحظة توحّد روحي نادرة، حيث يشعر أتباع كل دين بأننا نقترب من تحقيق بشارات أو رؤىٰ دينية قديمة تتعلق بنهاية الزمان وبداية عصر جديد، من هذا المنطلق فإنَّ هذه الظاهرة قد تكون علامة علىٰ اقتراب أحداث كونية يتوقعها البشر عبر أجيال طويلة.

٣ - حاجة البشرية إلىٰ مرشد رباني:

الاهتمام بفكرة المخلِّص يشير إلىٰ أنَّ البشرية أصبحت تعي بشكل جمعي أنَّها تحتاج إلىٰ (مرشد رباني) يتجاوز الأُطر الدينية التقليدية، وهناك شعور بأنَّ الإرشادات الدينية القديمة لم تعد كافية لمواجهة تعقيدات العصر الحديث، وأنَّ البشرية بحاجة إلىٰ (مخلِّص) يمتلك رؤية وبصيرة شاملة لمستقبل البشرية.

رؤية وبصيرة: هذا المخلِّص ليس فقط قائداً روحانياً، بل هو أيضاً رمزٌ لوحدة البشرية، ومعلمٌ لحقائق ربانية تتجاوز العقائد والحدود المعروفة، من هذا المنظور فإنَّ زيادة الاهتمام بهذه الشخصية يحمل معنىً عميقاً للتحول الروحي الذي تحتاجه الإنسانية لتجاوز أزماتها.

٤ - مؤشر علىٰ أزمة أخلاقية عالمية:

تصاعد الاهتمام بفكرة المخلِّص يشير إلىٰ إدراك عميق بأنَّ البشرية تعاني من أزمة أخلاقية وروحية، فهناك شعور بأنَّ العالم قد انحرف عن القيم الجوهرية للإنسانية، مثل العدالة، والرحمة، والتعاطف، وهذا التوق للمخلِّص بداية المحاولة لاستعادة هذه القيم في عالم يبدو أنَّه أصبح مادياً ومعزولاً من الناحية الروحية.

رؤية وبصيرة: هذا الشعور بالأزمة يؤكد علىٰ أنَّ النظام القيمي الذي حكم العالم لقرون عدَّة لم يعد قادراً علىٰ الصمود، وأنَّ البشرية تبحث عن إطار أخلاقي وروحي جديد يعيد التوازن للمعايير والقيم المجتمعية.

٥ - انعكاس لمفهوم النهاية والبداية في الأديان:

من الناحية الدينية، كل الأديان الكبرىٰ تتحدَّث عن (نهاية الزمان) التي تترافق مع قدوم (المخلِّص) أو (المنقذ)، فهذا الاهتمام المتصاعد لفكرة المخلِّص يعكس شعوراً جمعياً بأنَّ البشرية وصلت إلىٰ (المنعطف الأخير) وأنَّ هناك بداية جديدة قادمة.

رؤيــة وبصــيرة: إنَّ شــيوع فكــرة المخلِّــص يعتــبر انعكاســاً لمفهــوم (نهايــة التاريــخ) التــي تشــير إلىٰ أنَّ البشريــة عــلىٰ وشــك الدخــول في مرحلــة جديــدة مــن التاريــخ، حيــث سيتحوَّل التركيــز مــن الــصراع المــادي إلىٰ نــوع مــن الســلام الروحــي الجديــد، إذاً نحــن عــلىٰ أعتــاب نقطــة تحــول كــبرىٰ يعــاد فيهــا تشــكيل النظــام الروحــي للعــالم بشــكل جــذري.

سرّ الانتظار:

ما الذي يدفع مليارات البشر للبحث عن المخلِّص حالياً؟

تصاعــد الاهتــمام بفكــرة المخلِّــص الموعــود في الآونــة الأخــيرة يعكــس توجهــات عميقــة ومتعــددة الأبعــاد عــلىٰ المســتوىٰ الديني، الســياسي، الاجتماعــي، والنفــسي، ويُظهــر في الوقــت ذاتــه تحــولات ذات طبيعــة اســتراتيجية يمكــن أن تؤثــر عــلىٰ المشــهد العالمــي، ولــذا مــن الــضروري معرفــة الدوافــع الدينيــة والاســتراتيجية لــكل طائفــة أو جهــة لقــراءة صــورة وإطــار هــذا الاهتــمام الحــالي بشــكل منطقــي وســليم:

- المســلمون: تصاعــد الاهتــمام بفكــرة الإمــام المهــدي المنتظــر عجل الله فرجه يُعــبر عــن انعــكاس لحالــة الإحبــاط مــن الأنظمــة السياســية الراهنــة، والشــعور بفقــدان العدالــة الاجتماعيــة والانحطــاط الأخلاقــي وانتشــار الظلــم والجــور في كل العــالم.

- المسيحيون: يعكــس الاهتــمام المتزايــد أمــلاً في تدخــل إلهــي مبــاشر لإنهــاء معانــاة البشريــة، ويعــبر أيضــاً عــن قلــق ديني مــن تدهــور القيــم الأخلاقيــة، ممــا يجعــل فكــرة العــودة الثانيــة للمسيح تُفهــم عــلىٰ أنَّهــا إعــادة لترتيــب القيــم والعدالة.

- اليهــود: الاهتــمام المتزايــد بفكــرة (المســيّا - المســيح اليهــودي) يشــير إلىٰ توتــر متصاعــد داخــل المجتمــع اليهــودي، وإحســاس بالخطــر عــلىٰ الهويــة اليهوديــة، فضــلاً عــن التوتــرات السياســية والخطــر الوجــودي المحيــط بمســتقبل إسرائيــل.

زيادة الاهتمام بفكرة المخلِّص الموعود يعكس إحساساً متنامياً بين أتباع الديانات الكبرىٰ والشعوب العالمية بضرورة تغيير الواقع الحالي والبدء في التصحيح في ظل ما تراه البشرية من انحرافات أخلاقية وظلم علىٰ الساحة الدولية، وربطها أيضاً بالأزمات العالمية الكبرىٰ مثل الحروب والكوارث التي تُعتبر نُذُراً لنهاية الزمان.

استنتاج من منظور أيديولوجي (العودة إلىٰ الروحانية):

يشهد العالم اليوم نهضة روحية متجدِّدة تتجلّىٰ في الإيمان المتزايد بالمخلِّص الموعود، ففي ظل تسارع وتيرة الحياة المادية والنزعة العلمانية في العالم، يشعر كثير من الناس بفراغ روحي يدفعهم للبحث عن معنىً أعمق للحياة، وهنا تأتي فكرة أو عقيدة (المخلِّص) لتلبي هذه الحاجة، حيث يمثل رمزاً للأمل والوحدة والخلاص، ويوفر إجابات للأسئلة الوجودية التي تشغل بال الإنسان.

إنَّ هذا التوجه في وجدان شعوب العالم يعكس رغبة عميقة في العودة إلىٰ الأصول الروحية والقيم العليا، ويشير إلىٰ تحول البشرية نحو نظام قيمي جديد (مبادئ وأخلاق قائمة علىٰ التعاليم السماوية)، يجمع ويوازن بين الحياة المادية (التطور العلمي) والجانب الروحي (التوحيد والعدالة)، مما يوفر للإنسان معنىً للحياة (عبادة الخالق وعمارة الأرض)، ويعطيه هدفاً يسعىٰ لتحقيقه، ويمنحه أملاً في مستقبل أفضل.

خلاصة استراتيجية:

باختصار: الاهتمام المتزايد بفكرة المخلِّص الموعود ليس مجرد إيمان ديني، بل يشير إلىٰ تحولات عميقة علىٰ المستوىٰ الاستراتيجي العالمي، وهو انعكاس لأزمة عميقة في النظام العالمي، ومؤشر علىٰ قلق ومخاوف حقيقية

لـدىٰ الشـعوب بشـأن مسـتقبلها، ممـا يدعـو إلىٰ إعـادة التفكـير في الاسـتراتيجيات السياسـية والاجتماعيـة.

مـن منظـور اسـتراتيجي، هـذا يعنـي أنَّ السـنوات القادمـة قـد تشـهد تحولات جذريـة عـلىٰ كافـة المسـتويات، وأنَّ البشريـة سـتدخل مرحلـة إعـادة صياغـة لهويتهـا ومسـتقبلها، والبحـث بجديـة عـن (المنقـذ المنتظـر) بشـكل لم يسـبق له مثيل عـلىٰ مـرِّ التاريـخ الإنسـاني.

جسر الحضارات:

فوائد تعزيز الإيمان بالمخلِّص في وجدان الشعوب:

تعتـبر عقيـدة المخلِّـص الموعـود مـن أقـدم وأكثـر العقائـد الدينيـة تأثـيراً عـلىٰ البشريـة، حيـث تتجـذَّر في معتقـدات معظـم الأديـان والثقافـات، وتحمـل في طياتهـا الكثـير مـن التعمـق الدينـي والفلسـفي، وهـي تتحـدث عـن شـخصية مقدسـة (الإمـام المهـدي عجل الله فرجه) سـتظهر في آخـر الزمـان لتحقيـق العدالـة والسـلام، وحتـماً زيـادة الاهتـمام بهـذه العقيـدة في العـالم سـتؤدي إلىٰ مجموعـة مـن الآثـار المتشـعبة التـي تؤثـر عـلىٰ الأفـراد والمجتمعـات عـلىٰ حـد سـواء، وإنَّ تعزيـز هـذه الفكـرة أو العقيـدة في وجـدان شـعوب العـالم يحمـل العديـد مـن الفوائـد للبشريـة، منهـا:

١ - **تعزيـز الأمـل والتفـاؤل**: بسـبب الرؤيـة الإنسـانية العالميـة التـي تقدمهـا عقيـدة المخلِّـص، فتـزرع الأمـل في النفـوس والتفـاؤل في المسـتقبل، ففـي أوقـات الأزمـات والصراعـات العالميـة تلعـب دوراً مهـماً في وجـدان الشـعوب، والرؤيـة لتحقيـق عـالم أفضـل، ممـا يوجـه النـاس نحـو بنـاء مجتمعـات أكثـر سـلاماً وتعاونـاً وعدالـة.

٢ - **تحقيـق العدالـة للجميـع**: لإيمانهـا العميـق بالعدالـة، والـذي هـو بمثابـة البـذرة التـي تـزرع في قلـوب المجتمعـات، وتنمـو لتشـكل مجتمعـاً مزدهـراً، فالعدالة

هي القاعدة التي يبنىٰ عليها المجتمع القوي المتماسك، وهي التي تضمن استقراره وازدهاره، علماً أنَّ تحقيقه هو تحدٍ كبير، ولكنه ليس مستحيلاً.

٣ - **الحرية والاستقلال**: بسبب الرؤية التي تقدمها بأنَّ الإنسانية كيان واحد ومتساوٍ، مما يخلق شعوراً قوياً بضرورة تحرر الإنسان من كل أشكال الاستبداد والاستعباد والاستغلال، وأنَّ استقلال الأوطان حق مشروع لجميع البشر، مما يشكل حافزاً قوياً للشعوب للتحرر من براثن الظلم والاستعمار والسعي نحو حياة أفضل.

٤ - **تعزيز الاستقرار النفسي**: توفر ملاذاً نفسياً للأفراد في الأوقات الصعبة، مما يساعد في تقليل القلق والتوتر وتخفيف الضغوط النفسية، وتشعر المجتمعات بالأمان والطمأنينة نتيجة لإيمانها بالحصول علىٰ ضمانات وتوفر شعوراً بالأمان بمعيشة أفضل في المستقبل، خاصة في مواجهة المخاطر والمجهول.

٥ - **التطلُّع إلىٰ المستقبل**: تحمل العقيدة في طياتها رؤية مستقبلية للمجتمع البشري، وذلك بإيحاء ورسم صورة عن عالم مثالي خالٍ من الظلم والمعاناة حيث يحكم العدل والمساواة، والوعد بمستقبل أفضل، مما يبعث الأمل في نفوس الناس، ويلهم الشعوب الطموح والتفاؤل.

٦ - **تعزيز القيم الروحية والأخلاقية**: غالباً ما ترتبط فكرة المخلِّص بالتقوىٰ والأخلاق الفاضلة، وتوفر رؤية لمجتمع مثالي رمزاً للفضيلة والقيم الإنسانية الحميدة، وأنَّ الإيمان بقدومه يدفع المؤمنين إلىٰ السعي لتحسين أنفسهم وسلوكهم، والعمل من أجل بناء المجتمع الفاضل.

٧ - **تعزيز الوحدة والتضامن الإنساني**: تخلق جسراً يجمع بين الناس من مختلف الأديان والثقافات والأعراق، وترسخ القيم الإنسانية المشتركة مثل الحب والسلام، مما يخلق شعوراً بالهوية المشتركة والانتماء إلىٰ جماعة

واحدة كبيرة، هذا الشعور يكون حافزاً للتعاون والتضامن، وتجاوز الخلافات والانقسامات.

فتحفز المجتمعات على الاهتمام بمعاناة الآخرين، مما يجعلهم أكثر اهتماماً بالقضايا الإنسانية الكبرى مثل حقوق الإنسان والفقر والمرض والعدالة، والعمل من أجل تحقيق مستقبل أفضل للجميع.

٩ - **توحيد الجهود في مواجهة التحديات**: توفر إطاراً مشتركاً يمكن للناس من مختلف الخلفيات الثقافية والدينية الالتقاء حوله، وتكون دافعاً قوياً للعمل من أجل مستقبل أفضل للأجيال القادمة، مما يعزِّز التعاون في مواجهة التحديات العالمية، ويزيد من الاستعداد لبذل الجهد والتضحية بشكل أكثر فعالية.

١٠ - **تحقيق السلام الداخلي والخارجي**: تبشِّر بعالم يسود فيه المحبة والسلام بين جميع الناس، ويسهم الإيمان بالمخلص على خلق بيئة إيجابية بين الأفراد والشعوب، مما يقلل من النزاعات ويعزز من الاستقرار، وتحقيق السلام العالمي، وحماية البشرية من مخاطر الكوارث والحروب.

١١ - **التحفيز على التغيير وتحمل المسؤولية**: إيمان الناس بوجود مستقبل أفضل يحفزهم على العمل من أجل تحقيقه، ويجعل الناس يشعرون بالمسؤولية وأنَّ عليهم دوراً من أجل تحسين الظروف وتحقيق هذا المستقبل الأفضل، ففكرة المخلِّص الموعود تشكل دافعاً قوياً نحو التغيير الإيجابي.

١٢ - **تعزيز المساواة والكرامة الإنسانية**: ترتبط بقيم سامية كالعدل والمساواة والرحمة، مما يحفز الناس على تطبيقها في حياتهم، والعمل على تغيير سلوكياتهم بما يناسب هذه القيم، إضافة إلى تكريس حقوق الإنسان واحترام كرامته باعتباره خليفة الله في الأرض، والتأكيد على أنَّ الناس سواسية كأسنان المشط.

إنَّ عقيدة المخلِّص الموعود أو الأطروحة في صيغتها النهائية (المهدوية) إحدىٰ الأمنيات الكبرىٰ في مسيرة التاريخ البشري، وهي تعكس تطلعات إنسانية عميقة بمستقبل سعيد ونهاية تاريخ مشرق، ومن هذا المنطلق فهي تمتلك المقومات الضرورية للثورة العالمية، وتصحيح جميع جوانب الحياة الإنسانية نحو الأمثل والأكمل، فتحمل في طياتها بُعداً استراتيجياً، ورؤية واضحة للتغيير الشامل، ونظرة مستقبلية لتطور المجتمع البشري، وبناء الدولة الفاضلة لكل البشرية.

سبل تعزيز عقيدة (المخلص الموعود) لدىٰ الرأي العام العالمي:

إنَّ تعزيز عقيدة دينية محدَّدة، كعقيدة المخلِّص الموعود (المهدوية المنتظرة) علىٰ مستوىً عالمي، هو موضوع حساس ومعقد، ويتطلب دراسة متأنية احتراماً للأديان الأخرىٰ والحضارات المختلفة، ولابد من اتِّباع استراتيجيات مدروسة بطريقة فعالة ومقنعة واحترام الآخر، وتجنب أي شكل من أشكال التطرف أو الكراهية، وهنا نذكر بعض السبل التي يمكن اتِّباعها لتعزيز ونشر وتعريف هذه العقيدة للآخرين:

١ - **الانفتاح علىٰ الآخر**: علينا استكشاف عمق تنوع الثقافات والشعوب والحضارات الأخرىٰ، وفهم تاريخها وتطورها الفكري والعلمي في سياق فكرة (المخلِّص)، ومتابعة آخر المستجدات التي وصلت إليها الفكرة أو العقيدة في منظومتهم الفكرية في العصر الحالي.

٢ - **تطوير لغة مشتركة**: لتحقيق حوار بنّاء بين الثقافات، يجب علينا دراسة مفهوم المخلِّص في مختلف الحضارات، وتحديد الجوانب المشتركة والاختلافات بينها، هذا التأسيس المعرفي سيساعدنا علىٰ بناء لغة مشتركة، وذلك بتأطير عقيدة المخلِّص بلمسات من القواسم المشتركة من منظومتهم الفكرية.

٣ - **رسالة تحمل مضموناً واضحاً**: لتحقيق التواصل الفعّال مع الآخر، يجب علينا تجديد الخطاب المتعلق بالمخلِّص الموعود وتقديمه بصورة عصرية تتجاوز المفاهيم التقليدية، يجب أن نركِّز على القيم المشتركة مثل العدالة والمساواة، ونقدم رؤية شاملة لمفهوم المخلِّص تتناسب مع مجتمع أغلبه علماني النزعة.

٤ - **التركيز على الرؤية الحضارية**: لتحقيق حوار حضاري بنّاء، علينا تقديم مفهوم المخلِّص الموعود برؤية حضارية منفتحة، تركز على القيم الإنسانية المشتركة مثل العدل والمساواة، هذه الرؤية يمكن أن تشكِّل أساساً لشراكة حضارية جديدة تساهم في بناء عالم أفضل للجميع.

٥ - **تقديم نموذج تاريخي**: إنَّ الشعوب الأخرىٰ تريد أن تعرف النموذج الذي يوضِّح لهم شخصية المخلِّص الموعود، والمثال الذي نحن بصدد طرحه هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: كنموذج إنساني عالمي يجمع بين الحكمة والشجاعة والعدل، هذا القائد العظيم يقدم لنا صورة واضحة عن الحاكم العادل والقائد الرشيد.

إنَّ تعزيز عقيدة المخلِّص الموعود لدىٰ الرأي العام العالمي يتطلب حكمةً بالغةً وتعاوناً مثمراً، فنحن بحاجة إلى أن نعمل علىٰ بناء جسور تفاهم مع الآخرين، وأن نقدِّم رؤيتنا بطريقة حضارية تحترم معتقدات الجميع، ويكون هدفنا الأساسي هو نشر السلام والمحبة، وليس فرض عقيدة معينة، بالتأكيد إنَّ بناء منظومة فكرية حضارية حول المخلِّص الموعود، تجمعنا بروابط عقائدية مشتركة، هي القوة الدافعة التي ستنشر نور هذه العقيدة الربانية (المهدوية) في أرجاء المعمورة، والتي تمثل الأمنية الكبرىٰ للإنسانية طوال التاريخ.

أبرز التحديات التي تواجه عقيدة المخلِّص في العالم المعاصر:

تواجه عقيدة المخلِّص الموعود في عالمنا المعاصر العديد من التحديات في ترسيخها أو نشرها في المجتمعات الدولية المعاصرة، هذه التحديات تتباين في طبيعتها وشدتها باختلاف الثقافات والديانات والظروف المصاحبة، إليك بعض أهم هذه التحديات:

١ - التنوع الثقافي والفكري:

- تتباين تفسيرات عقيدة المخلِّص بشكل كبير بين الأديان والثقافات، مما يعقد جهود تعزيزها في مجتمعات متنوعة، فاختلاف الرؤىٰ حول هوية المخلِّص يجعل من الصعب بناء فهم مشترك وتجاوز الحواجز الفكرية.

- تتعارض التيارات العلمانية مع العقائد الدينية عموماً، وتشكك في صحة أي معتقدات لا تستند إلىٰ الأدلة المادية، ومنها فكرة وعقيدة المخلِّص الموعود.

٢ - التحديات السياسية:

- تؤدي الصراعات والاضطرابات السياسية إلىٰ تشتيت الجهود وتقويض فرص نشر العقائد الدينية، وخاصة التي لها طابع غيبي كفكرة المخلِّص الموعود.

- يستغل بعض السياسيين أو الجماعات المتطرفة فكرة المخلِّص أو النبوءات، لخدمة أجنداتهم السياسية وتحقيق مآرب خاصة، من خلال ادعاء أنهم يمثلونه أو أنَّهم يعملون علىٰ تمهيد الطريق لِقدومه.

٣ - المؤسسات الإعلامية:

- تقوم المؤسسات الإعلامية المسيسة أو المؤدلجة بنشر معلومات مضللة

عـن المخلِّـص الموعـود، وتحـاول تحريـف الحقائـق خدمـة لأجنـدة خاصـة، ممـا يؤثـر عـلىٰ تصـورات النـاس حـول الفكـرة بشـكل مشـوه.

– تسـاهم وسـائل التواصـل الاجتماعـي في انتشـار معلومـات متضاربـة تتعـارض مـع العقائـد الصحيحـة حـول المخلِّـص، ممـا يجعـل مـن الصعـب عـلىٰ الأفـراد تمييـز الصحيـح مـن الخطـأ وتشـكيل قناعـات راسـخة.

٤ – التحديات القومية:

– في ظـل الصراعـات والانقسـامات العالميـة، يـزداد التركيـز والتشـديد عـلىٰ الهويـات القوميـة والعرقيـة، ممـا يجعـل مـن الصعـب توحيـد النـاس حـول فكـرة عالميـة مثـل المخلِّـص الموعـود.

– بعـضُ يربـط فكـرة المخلِّـص الموعـود بالعنـف والتطـرف، وذلـك لاسـتغلال الجماعـات المتطرفـة لهـذه الفكـرة لترويـج أجنداتهـا، ممـا أدّىٰ إلىٰ خـوف واسـع النطـاق لتزايـد أعـمال العنـف والتطـرف المرتبطـة بهـا.

٥ – التطورات الاجتماعية:

– أدَّت العولمـة إلىٰ تزايـد الاختـلاط بـين الثقافـات، ممـا يجعـل مـن الصعـب الحفـاظ عـلىٰ خصوصيـة العقائـد الدينيـة أو نـشر فكـرة موحـدة حـول المخلِّـص الموعـود.

– تُشـكِّل العـادات والتقاليـد الراسـخة في بعـض المجتمعـات عائقـاً كبـيراً أمـام قبـول فكـرة المخلـص، حيـث تتعـارض أحيانـاً مـع المعتقـدات المتوارثـة عـبر الأجيـال، ممـا يجعـل مـن الصعـب تغيـير هـذه الأفـكار المتجـذرة لـدىٰ الكثيريـن.

٦ – التحديات الشخصية:

– تسـيطر الشـهوات والماديـات عـلىٰ اهتمامـات الكثيريـن في عصرنـا، ممـا

يدفعهم إلىٰ إهمال الجانب الروحي والتوجه نحو الأمور الملموسة والواقعية، بعيداً عن التفكير في الغيبيات.

- تدفع الصعوبات الاقتصادية بالكثيرين إلىٰ التركيز علىٰ تأمين متطلباتهم الحياتية الأساسية، مما يقلل من اهتمامهم بالشؤون الدينية والروحية، إذ تسيطر عليهم هموم المعيشة اليومية.

هكذا يتبيَّن أنَّ فكرة المخلِّص الموعود في العالم المعاصر تواجه تحديات كبيرة ومتشابكة، وتتعلق معظمها بالظروف البيئية وزمانها، ومع ذلك تستمر هذه الفكرة في التأثير علىٰ حياة الملايين من الناس حول العالم، وتظل موضوعاً مهماً مثيراً للجدل والنقاش.

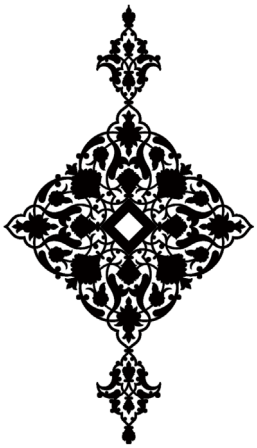

المعود
ALMAUOOD

القيم الأخلاقية في الدولة المهدوية
تأسيسات ومبادئ

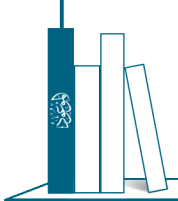

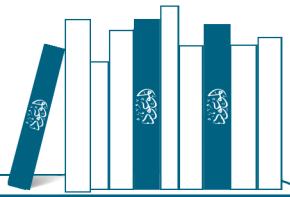

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

مقدمة:

تتحكَّم بالبشر علاقات متكثِّرة، تكوِّن فيما بينها شبكات تواصل اجتماعية ذات فروع غير متناهية، ولأنَّ الواقع يشهد بقلَّة الفرص إزاء الرغبات المتزايدة، كان لابد من قانون يحكم هذا الواقع، فيعمل علىٰ تقليل التصادمات الحاصلة من التنافس علىٰ الفرص، علىٰ أنَّ تقنين - ومن ثَمَّ تقليل - التصادم تماماً هدف يسعىٰ إليه المشرِّعون عموماً.

وفي سبيل ذلك، عمد المشرِّعون إلىٰ طرح التقنينات الدستورية التي يلزم علىٰ الأتباع تنفيذها، وجعلوا من وظائف القوة الساندة لهم حامياً لتنفيذ تلك التقنينات، وفرضوا عقوبات متنوعة علىٰ من يخالف الدستور.

ولم يكن الدين ليتَّخذ طريقة أخرىٰ في سبيل ذلك، سوىٰ أنَّ له طرقاً وآليات تختلف في بعض مفرداتها مع قانون البشر الوضعي، وكان من أهم تلك الآليات هو تحفيز الدافع الذاتي للتعاون مع الآخر، وإحياء (الضمير) أو ما يُطلق عليه في النصوص الدينية: النفس اللوامة، وغيرها...

الأخلاق، تلك القيم المعرفية التي يُطلب ترجمتها إلىٰ سلوك علىٰ أرض الواقع، كانت من الآليات التي لابد منها في قانون السماء، فالدين لم يفترض

دستوراً خالياً من الأخلاق، إنما هو دستور مؤطر بالأخلاق في كل مفاصله، ومن ثم، كان للمتدين بالدين السماوي سلوكيات تختلف جذرياً عن سلوكيات غيره.

فالأخلاق محور جوهري في بناء المجتمعات الإنسانية، إذ تعكس القيم والمبادئ التي تحكم العلاقات بين الأفراد وتوجه سلوكياتهم نحو الخير والصلاح.

ولأنَّ الأخلاق ليست نظريات مجرَّدة فقط، بل يجب أن تتجسَّد في سلوك عملي، فقد حرصت الرسالات السماوية على تعزيزها، لا سيّما في الإسلام الذي جعلها جزءاً لا يتجزأ من منظومته التشريعية.

وفي هذا السياق، يُسلّط هذا البحث الضوء على التطبيق الأخلاقي في الدولة المهدوية، التي ستكون النموذج الأسمىٰ لتحقيق العدل والقيم الإنسانية الرفيعة.

يهدف البحث إلىٰ استكشاف المبادئ والأُسس التي ستُبنىٰ عليها هذه الدولة، والتي ستضمن تحقيق السلوك الأخلاقي في مختلف مجالات الحياة.

كما يتناول نماذج من التطبيقات العملية لهذه القيم، من تقديم الواجب على المستحب، إلىٰ إرساء العدل الشامل والتكافل الاجتماعي، وحتَّىٰ آداب الحرب والسلوك السياسي، كل ذلك في إطار رؤية تنبثق من الفطرة الإنسانية والتعاليم الدينية التي تؤكد على ضرورة تحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات، بما يُفضي إلىٰ مجتمع مثالي تسوده الرحمة والإنصاف.

ولبيان ذلك، سيتم تسليط الضوء علىٰ أهم التأسيسات التي كانت وراء عدّ الأخلاق خطاً مهماً من خطوط الدستور الإلهي، ثم بيان المبادئ التي تؤسس للتطبيق الأخلاقي، والذي يستلزم القضاء علىٰ الموانع التي تمنع من ذلك التطبيق.

وفي البحث مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: تأسيسات:

في هذا المطلب، يُسلَّط الضوء على أهم الأسس والركائز التي كانت وراء ضرورة الأخلاق، وهي تشتمل على أُسس متعدِّدة، إجمالها الآتي:

الأساس الأول: واقعية الأخلاق في الدين الإسلامي:

هناك خلاف بين الفلاسفة الدينيين وغيرهم حول حقيقة الأخلاق، ولا يهمّنا التعرُّض إلىٰ تفصيل المذاهب في ذلك، ولكن إجمالاً نشير إلىٰ الآتي:

أولاً: هناك من عدَّ الأخلاق أسلوباً للحياة بطريقة (الغاية تبرِّر الوسيلة)، وعلىٰ حد مذهب بعض الشيوعية الذي جعل مدار الأخلاق كونها مما يرجع بالخير علىٰ الثورة الشيوعية ويعجّل بها، ولو كان كذباً أو غيره - مما نحكم عليه بالأخلاق البذيئة -، فجعل ملاك الأخلاق نفعيتها لخصوص الثورة.

وهذا يعني: أنَّه لا واقعية للأخلاق، إنَّما هي أساليب لتحصيل المنفعة بأي طريقة كانت، فلا ثوابت تحكمها، ولا قانون يؤطرها، ولا مرجعيات ثابتة تنظّمها.

وهذا طبعاً مبني علىٰ فلسفة مسبقة، ورؤية كونية تفترض أنَّ الوجود منحصر بهذه الحياة، ومن ثم فالإنسان الناجح هو من يتمكَّن من الاستفادة منها إلىٰ أقصىٰ حد.

ثانياً: هناك من عدَّ الأخلاق هي ما كانت من أجل نفع الآخرين، وهم الذين قالوا بأصالة المجتمع، لا الفرد، فكل ما يعود علىٰ المجتمع بالخير والنفع فهو أمر أخلاقي، سواء أعاد علىٰ الفرد بالنفع أم بالضرر، فلا قيمة للفرد في ذلك، وربَّما هي وجهٌ من وجوه الشيوعية التي لم تضع للفرد قيمة.

وهـذا يعنـي: أنَّ مثـل القيـم الأخلاقيـة الأُسريـة مهمَّـة لأنَّهـا ترجـع إلىٰ المجتمـع بالخـير والنفـع، ولا مانـع حينهـا مـن نفـع الفـرد بهـا، وفي الوقـت ذاتـه، فـإنَّ تسـلّط دولـة عـلىٰ دولـة أخـرىٰ، وسـلب خيراتهـا، بحجـة العمـل عـلىٰ نفـع الصالـح العـامّ، هـو أمـر حسـن أيضـاً، وإن أدّىٰ إلىٰ إهـلاك الأفـراد!

وقـد يُـبرّر هـذا بـأنَّ المصلحـة النوعيـة والعامـة أهـم مـن الشـخصية، وهـذا الشـعار صحيـح في حـد نفسـه، إلَّا أنَّ تحويـره بشـكل يـؤدي إلىٰ إلغـاء قيمـة الفـرد، ومـن ثـم لا مانـع مـن القضـاء عـلىٰ أُمَّـة مـن أجـل أُمَّـة أخـرىٰ، ولا مانـع مـن سـلب مـال أحدهـم مـن أجـل أن ينتفـع منـه الجميـع، هـذا هـو الـذي لا يقبلـه عقـل، ولا دليـل عـلىٰ حسـنه، بـل الدليـل عـلىٰ قبحـه وجـداني.

فليـس الإشـكال في ضرورة رعايـة المصلحـة العامـة، إنَّـما المشـكلة في تهميـش الفـرد وإلغـاء حقوقـه الأمـر الـذي قـد يـؤدّي حتَّـىٰ إلىٰ سـلب ممتلكاتـه الشـخصية!

ثالثـاً: في الإسـلام، لا ريـب في ضرورة الأخـلاق، وقـد عُـدّ حسـن الخُلُـق مـن أهـم المبـادئ التـي يلـزم اتِّصـاف المؤمـن بهـا، وفي الوقـت الـذي تراعـي فيـه الأخـلاق الإسـلامية المصلحـة العامـة - فتمنـع مـن الإضرار بالمشـتركات، كالطريق العـام، والأنهـر، ومـا شـابه - هـي تراعـي وتحافـظ عـلىٰ حقـوق الفـرد، فـلا يصـح التـصرف بـمال الآخريـن إلَّا برضاهـم، ولا يحـل مـال امـرئ إلَّا بطيـب نفسـه، ولسـنا في مقـام تحقيـق ذلـك، إنَّـما نذكّـر بهـذا الواقـع الـذي يشـهده المسـلمون منـذ بـزغ نـور رسـالة النبـي الأكـرم صلى الله عليه وآله.

وقـد أشرنـا ونؤكـد عـلىٰ أنَّ البحـث هـو وفـق نظريـة الديـن الإسـلامي عمومـاً، ومذهـب أهـل البيـت عليهم السلام خصوصـاً.

الأساس الثاني: إطلاق الأخلاق وعدم نسبيتها:

هنـاك بحـث حـول فلسـفة الأخـلاق وحقيقتهـا، خلاصتـه: هـل الأخـلاق

ذات قيم مطلقة، بمعنىٰ أنَّ الفعل لو كان حسناً، فهو حسن في كل آن وكل مكان، ومن كل فرد صدر؟

أو أنَّها ذات قيم نسبية، تتغيَّر بتغيُّر أطرافها، فقد تكون حسنة في حال، قبيحة في حال أخرىٰ؟

فمن ذهب إلىٰ نسبية عالم الوجود كله، شملت النسبية عنده عالم الأخلاق، وهكذا من ذهب إلىٰ أصالة المجتمع - كما تقدَّم - فإنَّ الأخلاق عنده ما كانت تصبّ في مصلحة المجتمع، ومن ثم فهي تتغير بتغير المجتمعات أو التقاليد والأعراف الحاكمة فيها.

أمَّا الإسلام، فإنَّه يرىٰ إطلاق الأخلاق - علىٰ تفصيل في الأفعال يأتي في التأسيس الثالث -، وقد عبّر القرآن الكريم عن الخير بالطيب، وعن الشر بالخبيث، ولم يستثن طيباً أو خبيثاً من حكمه، فكل طيب خير، وكل خبيث شر، غايته أن تحديد الطيب من الخبيث هو ما قد يوقع الآخر في الاشتباه والخطأ في الحكم، وحتَّىٰ لا يتشتت البحث، ننتقل إلىٰ التأسيس الثالث.

الأساس الثالث: أقسام الأفعال من حيث الحسن والقبح:

ذكر علماء الكلام - والأصول أيضاً في بعض بحوث المستقلات العقلية - أن الأفعال - من حيث الحسن والقبح - تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام رئيسة:

الأول: ما يكون الفعل بنفسه علَّة تامَّة للحسن والقبح، وهذا ما يسمَّىٰ بالحسن والقبح الذاتيين، مثل العدل والظلم، فالعدل بما هو عدل، لا يكون إلَّا حسناً أبداً، ومتىٰ ما وجد لابد أن يُمدح فاعله ويعد محسناً، وكذلك الظلم بما هو ظلم لا يكون إلَّا قبيحاً، ومتىٰ ما وجد ففاعله مذموم ومسيء، ويستحيل أن يكون العدل قبيحاً أو الظلم حسناً.

وحتَّىٰ الظلمة، عندما يمارسون الظلم، فإنهم يُحاولون أن يخدعوا الناس ويصوروا أفعالهم علىٰ أنَّها أفعال عادلة وأنَّ أعداءهم هم المخطئون والظلمة،

وهذا يكشف عن أن مسألة حسن العدل وقبح الظلم لا خلاف فيها أبداً.

وهذا القسم مطلق بالمطلق، فلا استثناء فيه، وبه تصدق مقولة الإطلاق الأخلاقية التي بنىٰ عليها المسلمون.

الثاني: ما لا يكون الفعل علة تامة لأحدهما، بل يكون مقتضياً للاتصاف بأحدهما، بحيث لو خُلي الفعل ونفسه، فإمَّا أن يكون حسناً، كتعظيم الصديق بما هو هو، أو يكون قبيحاً كتحقيره. ولكنه لا يمتنع أن يكون التعظيم مذموماً لعروض عنوان عليه، كما إذا كان سبباً لظلم ثالث، أو يكون التحقير ممدوحاً لعروض عنوان عليه، كما إذا صار سبباً لنجاته. ولا ينحصر المثال بهما، بل الصدق والكذب أيضاً من هذا القبيل. فالصدق الذي فيه ضرر علىٰ المجتمع قبيح، كما أنَّ الكذب الذي فيه نجاة الإنسان البريء حسن. وهذا بخلاف العدل والظلم فلا يجوز أن يتَّسم العدل - بما هو عدل - بالقبح، ولا الظلم - بما هو ظلم - بالحسن.

وهذا القسم أيضاً مطلق، لكن لا باعتبار ذات الفعل، وإنما باعتبار الأثر المترتّب عليه، فما كان أثره حسناً فهو حسن وخير بالمطلق، وإلَّا فهو شر وخبيث بالمطلق.

ولكن يبقىٰ السؤال: ما الملاك والأساس في إطلاق حسنه وقبحه؟

والجواب: إنَّ الآثار المترتبة علىٰ تلك الأفعال، لابد أن ترجع - ولو بوسائط متعدِّدة - إلىٰ العدل أو الظلم، ومن ثم يكون ارتباطها بالمطلق هو السبب في كونها مطلقة من هذه الناحية.

الثالث: ما لا علّية له ولا اقتضاء فيه في نفسه للاتصاف بأحدهما، وإنما يتبع الجهات الطارئة والعناوين المنطبقة عليه، وهذا كالضرب فإنَّه حسن للتأديب، وقبيح للإيذاء.

ويجري في هذا القسم ما يجري في القسم الثاني.

والحاصل: أنَّ الأخلاق مطلقة في الإسلام، وهذا يعني أنَّها ذات أُسس ثابتة لا تتغير بتغير الأفراد والحالات والأزمان.

الأساس الرابع: التوازن السلوكي:

المقصود من التوازن السلوكي - الذي قد يُطلق عليه في بعض التعبيرات: الذكاء العاطفي -: هي القدرة علىٰ التوازن بين مقتضيات العقل ومقتضيات العاطفة، الأمر الذي يستلزم الوعي بالآخر وفهمه جيداً، كما يستلزم التحكم بالانفعالات الشخصية وتحكيم الثوابت فيها.

انظر إلىٰ القصاص في الإسلام من حيث كونك ابناً للقاتل مثلاً، لا ريب أن قتل أبيك سيكون مؤلماً لك وإن كان قاتلاً، إلَّا أنَّك لو نظرت إلىٰ هذه الحالة بما هي ذات مردود اجتماعي عام، حيث تمنع من التعدّي علىٰ الآخرين بغير حق، وبما هي مانعة من تفاقم المشكلة وقتل مزيد من الناس، وهكذا لو نظرت إليها بما هي ذات مردود فردي علىٰ أولاد المقتول الذين فقدوا أباهم من دون حق، حينها سيحكم عقلك بضرورة تنفيذ القصاص، رغم أن عاطفتك تمنعك من ذلك.

وفي الوقت ذاته، قد يدفعك عقلك إلىٰ عدم مساعدة الفقير من غير الرحم مثلاً، فإنَّه لا يستحق عليك شيئاً، ولا أنت ملزم بذلك، وأنت قد تعبت بجمع مالك، فما الداعي لمساعدته!

لكنك لو تعاملت مع الفقير بشيء من العاطفة، لوجدت أنَّ إعطاءه شيئاً من مالك لا يجلب الفقر إليك، بل سيرجع عليك برضا نفسي وارتياح ذاتي لا يشعر به من يمتنع عن الإعطاء، وحينها ستباشر للعطاء.

الدين تعامل مع المبادئ الأخلاقية علىٰ هذا الأساس، فجعل العقل والعاطفة متعاونين في تحديد الموقف الأخلاقي تجاه قضية معيَّنة، والانفراد

بأحدهما دون الآخر قد يؤدي إلىٰ نتائج غير مريحة وغير مرضية للفرد والمجتمع علىٰ حد سواء.

الأساس الخامس: ارتباط المبادئ الأخلاقية بأصول الدين وفروعه:

في الدين أصول وفروع، والأخلاق هي سلوك مترتب علىٰ تلك الأصول والفرع، بمعنىٰ أنَّ ملاك التأسيس للأخلاق في الإسلام هي الأصول، بالإضافة إلىٰ تضمين الشريعة الإسلامية (التكاليف الشرعية) الكثير من المفردات الأخلاقية، ومن ثم تجد ارتباطاً وثيقاً بين هذه الثلاثية في الإسلام: الأصول، والفروع، والأخلاق.

فمن يؤمن بالله تعالىٰ، تنتظم عنده منظومته الأخلاقية علىٰ أساس: الإخلاص لله تعالىٰ، ورجاء الثواب منه لا من الناس، والصبر علىٰ الآلام التي قد تترتَّب علىٰ بعض الأخلاق.

ومن يلتزم بشريعة الإسلام، سيكون مضطراً للالتزام بالعديد من المفردات الأخلاقية الملزمة، من قبيل الإنفاق علىٰ واجبي النفقة، ودفع الزكاة والخمس - مما يدخل ضمن مفهوم التكافل الاجتماعي -، وغض الطرف عن أعراض الناس - مما يدخل تحت مفهوم احترام خصوصيات الآخرين -، ويبتعد عن ذكر الآخرين بسوء بغيبة أو نميمة أو بهتان - مما يدخل تحت مفهوم احتراك سمعة الآخرين وعدم جواز الإضرار بها - وغيرها من التطبيقات.

ومن هنا، تجد سلوك المتدين الحقيقي مختلفاً كثيراً عن سلوك المنحرف، فضلاً عن الملحد.

المطلب الثاني: مبادئ التطبيق الأخلاقي في دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه:

تنطلق المشاريع عموماً من مبادئ تكون هي المرجع إليها في كل مفاصل

وجودها، وتكون هي المنبع لنموّها، وإصلاح الشؤون التي يحصل فيها خلل معين في أثناء مسيرة المشروع، وتكون تلك المبادئ هي الجذوة التي توقد في نفوس الأتباع الحماس من أجل العمل علىٰ تنمية المشروع وإيناعه.

الدولة المهدوية مشروع إلهي عظيم، وفي سبيل هداية الناس إلىٰ الخير المطلق فيها، وإيصالهم إلىٰ الهدف الأسمىٰ من وجودهم علىٰ الأرض، ستعتمد تلك الدولة مبادئ مهمة، إجمالها الآتي:

المبدأ الأول: الرجوع إلىٰ الفطرة:

المقصود من الفطرة: النظام الذي جعله الله تبارك وتعالىٰ في الإنسان، والذي هو أشبه بما يُطلق عليه (ضبط المصنع) في الأجهزة الحديثة، حيث يرجع الإنسان إلىٰ ما أوجده الله تعالىٰ فيه من الخلقة الأولىٰ، وتلك الخلقة الأولىٰ هي خلقة الخير كما تؤكده النصوص العديدة.

إنَّ النصوص التي ذكرت فطرة الله تعالىٰ للإنسان، فسّرتها بأنَّ الله تعالىٰ أوجد في الناس ما يهديهم إلىٰ التوحيد ومعرفة الله تعالىٰ، حيث توفّر الإنسان علىٰ أدوات معرفية ذاتية توصله إلىٰ معرفة الله تعالىٰ، وهو ما تعهّد علم الكلام بتصويره، وقد تقدَّم أنَّ التوحيد أساس من أساسات الالتزام الأخلاقي.

عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]؟ - قال: «فطرهم علىٰ معرفة أنَّه ربّهم ولولا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربهم ولا من رازقهم»[١].

وفي نصوص أخرىٰ أنَّ تلك الفطرة هي الإيمان بالإسلام وبأئمة اهل البيت عليهم السلام، فكل من بحث - بما عدَّه من أدوات ذاتية كالعقل - فإنَّه يصل إلىٰ حقّانية الدين الإسلامي من جهة، ومذهب أهل البيت عليهم السلام من جهة أخرىٰ، وهو ما تكفله علم الكلام أيضاً.

١. المحاسن للبرقي: ج١، ص٢٤١.

روي عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾؟ قال: فقال: «على التوحيد ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين عليه السلام»[١].

وهو ما سيكون أحد أهم المبادئ التي سيعمل الإمام المهدي عجل الله فرجه على تثبيتها وإحيائها في دولته المباركة، فإذا ما رجع الناس إلى فطرتهم الخيّرة، سهل عليهم تطبيق المفردات الأخلاقية، حيث تقدَّم الارتباط الوثيق بين أصول الدين وبين التطبيقات الأخلاقية.

فإذا ما رجع الناس إلى فطرتهم تلك، إلى التوحيد، والاعتقاد بالإسلام، والإيمان بولاية أهل البيت عليهم السلام، فمن الطبيعي أنَّ اللازم عليهم حينها هو تطبيق التعليمات الإيمانية، والتي خصصت الكثير من تراثها للأخلاق الشاملة لجميع مفردات الحياة.

وقد عبَّرت النصوص عن تثبيت الإمام المهدي عجل الله فرجه لهذا المبدأ بتعبيرات متنوعة:

منها: إرجاع الناس إلى أمرهم الأول، كما رويَ عنِ النبي صلى الله عليه وآله قال: «تأوي إليه أُمّته كما تأوي النحلةُ إلى يعسوبها، يملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئت جوراً، حتَّى يكونَ الناسُ على مثلِ أمرهم الأولِ، لا يوقظ نائماً، ولا يهريق دماً»[٢].

ومنها: تآلف القلوب تماماً بحيث تنتهي الضغائن، كما رويَ عن أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أمِنّا - آلَ محمدٍ - المهدي، أو من غيرنا؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «بل مِنّا، يختمُ اللهُ به الدين، كما فتحه بنا، وبنا يُنقذون من الفتن، كما أُنقذوا من الشرك، وبنا يؤلِّفُ اللهُ بين قلوبهم بعد عداوةِ الفتنةِ إخواناً، كما ألّفَ بينَ قلوبِهم بعدَ عداوةِ الشرك، وبنا

١. بصائر الدرجات: ص٩٨.
٢. الفتن للمروزي: ص٢٢٢.

يُصبحون بعد عداوةِ الفتنة إخواناً، كما أصبحوا بعدَ عداوةِ الشركِ إخواناً في دينهم»[١].

وحتَّىٰ يتم تفعيل هذا المبدأ بصورة مثالية، لابد من تخليصه من المشوشات والموانع التي تقف في طريقه، وهو مبدأ آخر سيأتي التحدث عنه إن شاء الله تعالىٰ.

المبدأ الثاني: وضوح الرؤية الكونية:

إنَّ أحد أهم موانع الالتزام بالدين عموماً، وبالأخلاق خصوصاً، هو عدم وضوح الرؤية الكونية للفرد، ويُعنىٰ من الرؤية الكونية: نظرة الفرد لخالق هذا الكون، وللدين، وهل إن الله تعالىٰ ما زال يتدخل في أمور الكون تكويناً وتشريعاً أو إنه فوّض تلك الأمور إلىٰ الناس، فالدين بشري، والقانون وضعي، والأحداث الكونية نتيجة حركة الأشياء الديناميكية، فلا نبوات ولا رسل ولا كتب منزلة ولا معجزة ولا تدخل إلهي.

إنَّ الرؤية الكونية - بهذا المعنىٰ - لها أثر مباشر علىٰ سلوك الفرد، فإنَّ سلوك من يعتقد بالخالق، وبالنبوات، وباليوم الآخر الذي سيجازي فيه الله تعالىٰ الناس، يختلف جذرياً عن سلوك الذي يقول: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون: ٣٧).

في هذا المبدأ، ذكرت النصوص أنَّ الإمام المهدي عليه السلام سيدعم الرؤية الكونية الإسلامية، التي تبتني علىٰ أنَّ الخالق هو الله تعالىٰ، وأنَّه أرسل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأنَّه نصّب بعده الأئمة عليهم السلام، وتشمل:

أ - التعريف بالعقيدة الحقة:

من خلال إرجاع الناس إلىٰ التوحيد الحق، مما تقدَّم بيانه في المبدأ الأول من الفطرة التي فطر الله تعالىٰ الناس عليها.

١. عقد الدرر للمقدسي: ص١٤٢.

ب - نشر العلم والمعرفة والقضاء علىٰ الجهل:

إنَّ الرؤيـة الكونيـة رؤيـة معرفيـة علميـة، يترتـب عليهـا العمـل والسـلوك الخارجـي، ومـن ثـم، فـإنَّ التأسـيس لهـا منهجيـاً متوقّـف عـلىٰ وجـود معرفـة صحيحـة ذات أصـول ثابتـة، ترجـع إلىٰ البديهـي عقـلاً، والمعصـوم نقـلاً، وهـو مـا سـيعمل الإمـام المهـدي عجل الله فرجه عـلىٰ توفيره للنـاس، وبطرق مختلفـة، أشـارت النصوص إلىٰ بعضهـا، مـن قبيـل مـا رويَ عَـنْ أَبِي جَعْفَـرٍ عليه السلام قَـالَ: «إِذَا قَـامَ قَائِمُنَـا وَضَـعَ اللهُ يَـدَه عَـلَىٰ رُؤُوسِ الْعِبَـادِ، فَجَمَـعَ بِهَـا عُقُولَهُـمْ وكَمَلَـتْ بِـه أَحْلَامُهُـمْ»[1].

المبدأ الثالث: توفير الأجواء المناسبة للتطبيق الأخلاقي:

إنَّ تطبيـق السـلوك الأخلاقـي يحتـاج إلىٰ العديـد مـن الظـروف المناسـبة التـي تسـاعد عـلىٰ نمـوّه في سـلوك الفـرد، والنصـوص أوضحـت أنَّ الإمـام المهـدي عجل الله فرجه لـن يغفـل توفـير جملـة منهـا، نذكـر منهـا الآتي:

١ - التطبيق النموذجي للمبادئ الأخلاقية من قيادات الدولة:

واحـد مـن العوامـل التـي تحبّـط الأفـراد مـن التـزام الأخـلاق وقـد تـؤدي بهـم إلىٰ الابتعـاد بـل النفـور منهـا هـو أن يكـون الآمـر بالأخـلاق مخالفـاً لهـا في سـلوكه، خصوصـاً مـن ولي الأمـر الـذي إليـه المرجـع وعليـه المعـول، والعكـس بالعكـس، فـإذا مـا رأىٰ النـاس أنَّ (إمامهـم) قـد التـزم بـما يأمـر بـه أكثـر مـن غـيره، فإنَّـه سـيتولد عنـده الحافـز الـذاتي والدافـع الباطنـي لالتزامـه، وهـو مـا أشـارت لـه بعـض النصـوص، مـن قبيـل مـا روي عـن أمـير المؤمنـين عليه السلام أنَّـه قـال: «أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنِّي واللهِ مَـا أَحُثُّكُـمْ عَـلَىٰ طَاعَـةٍ إِلَّا وأَسْـبِقُكُمْ إِلَيْهَـا، ولَا أَنْهَاكُـمْ عَـنْ مَعْصِيَـةٍ إِلَّا وأَتَنَاهَـىٰ قَبْلَكُـمْ عَنْهَـا»[2].

١. الكافي للكليني: ج١، ص٢٥، كتاب العقل والجهل، ح٢١.

٢. نهج البلاغة: ج٢، ص٩٠.

وعَنْ خَالِدِ بْنِ نَجِيحٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: «أَقْرِؤُوا مَنْ لَقِيتُمْ مِنْ أَصْحَابِكُمُ السَّلَامَ وقُولُوا لَهُمْ إِنَّ فُلَانَ بْنِ فُلَانٍ يُقْرِئُكُمُ السَّلَامَ وقُولُوا لَهُمْ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى الله عزّ وجلّ ومَا يُنَالُ بِهِ مَا عِنْدَ الله إِنِّي والله مَا آمُرُكُمْ إِلَّا بِمَا نَأْمُرُ بِهِ أَنْفُسَنَا فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ والِاجْتِهَادِ...»[١].

وعلىٰ هذا الأساس، صرَّحت بعض النصوص بأنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه سيعمل علىٰ التطبيق العملي للمفاهيم الأخلاقية علىٰ نفسه أولاً، وعلىٰ المقربين منه ثانياً، فلا يكون هناك عذر لمن يتخلَّف عن التطبيق بعد هذا.

عن معمر بن خلاد، قال: ذُكِرَ القائمُ عندَ أبي الحسن الرضا عليه السلام، فقال: «... وما لباسُ القائمِ عليه السلام إلَّا الغليظُ، وما طعامُه إلَّا الجشب»[٢].

وفي نص آخر ينقل عهداً بين الإمام المهدي عجل الله فرجه وبين أصحابه، يصرِّح فيه بضرورة التزام أصحابه بالمبادئ الشرعية والأخلاقية، وأنَّ هذا هو شرطه عليهم ليكونوا من أتباعه، فيما يشترط علىٰ نفسه أموراً كذلك، حيث روي أنَّه عجل الله فرجه بعد أن يخرج هو وأصحابه إلىٰ الصفا، فيقول: «أنا معكم علىٰ...» ويبدأ يذكر فقرات ذلك الميثاق، وهي التالي:

«أنا معكم علىٰ أن لا تولّوا[٣]، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا مُحرِماً، ولا تأتوا فاحشة، ولا تضربوا أحداً إلَّا بحقِّه، ولا تكنزوا ذهباً ولا فضَّةً ولا تبراً ولا شعيراً، ولا تأكلوا مال اليتيم، ولا تشهدوا بغير ما تعلمون، ولا تخربوا مسجداً، ولا تُقبِّحوا مسلماً...، ولا تشربوا مسكراً، ولا تلبسوا الذهب ولا الحرير ولا الديباج، ولا تبيعوها رباً، ولا تسفكوا دماً حراماً، ولا تغدروا بمستأمن[٤]، ولا تبقوا علىٰ كافر ولا منافق، وتلبسون الخشن من الثياب،

١. الكافي للكليني: ج٥، ص٧٨، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الطَّلَبِ والتَّعَرُّضِ لِلرِّزْقِ، ح٨.
٢. الغيبة للنعماني: ص٢٩٥ و٢٩٦، بَاب ١٥، ح٥.
٣. أي لا تتركوا القتال مولّين.
٤. أي بمن طلب منكم الأمان وأعطيتموه ذلك.

وتتوسَّدون التراب علىٰ الخدود، وتجاهدون في الله حقَّ جهاده، ولا تشتمون، وتكرهون النجاسة، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر».

ثمّ يلتفت إليهم ليذكر ما يشترطه علىٰ نفسه هو، كقائد لدولة العدل الإلهي، فيقول عليه السلام لهم: «فإذا فعلتم ذلك فعليَّ أن لا أتَّخذ حاجباً، ولا ألبس إلَّا كما تلبسون، ولا أركب إلَّا كما تركبون، وأرضىٰ بالقليل، وأملأ الأرض عدلاً كما مُلِئَت جوراً، وأعبد الله عزّ وجلّ حقَّ عبادته، وأفي لكم وتفوا لي».

قالوا: رضينا واتَّبعناك علىٰ هذا، فيصافحهم رجلاً رجلاً[1].

ب - توفير أماكن العلم والمعرفة - بناء المساجد نموذجاً -:

لا ريب في أنَّ من أهم ما يساعد علىٰ التطبيق الأمثل للتعليمات عموماً هي تعليمها في أماكن ومعاهد علمية معيَّنة، وقد اتَّخذ الإسلام من المساجد معاهد لذلك؛ لذا نجد أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد أسرع بتأسيس وبناء المساجد أول وصوله إلىٰ المدينة المنورة، وكان يوجّه الأوامر بحضور الجميع إليها، خصوصاً في أثناء صلاة الجماعة، وكذا ورد في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه كان يحث كثيراً على حضور الصلاة في المسجد اهتماماً منه بهذا الأمر، فقد روي عن رزيق، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: «رفع إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة أنَّ قوماً من جيران المسجد لا يشهدون الصلاة جماعة في المسجد. فقال عليه السلام: ليحضرن معنا صلاتنا جماعة، أو ليتحولن عنا، ولا يجاورونا ولا نجاورهم»[2]. هذا، وقد روي عند العامة أنَّ النبي صلى الله عليه وآله أخبر الناس بأنَّه همّ بحرق بيوت من لا يحضر الصلاة بعد النداء عليها، وهو منه - علىٰ فرض صحته - إظهار لمزيد الاهتمام وضرورة الحضور في المسجد، خصوصاً في وقت

١. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام للكوراني العاملي: ج٣، ص٩٥، عن عقد الدرر للمقدسي: ص٩٦ و٩٧.

٢. الأمالي للشيخ الطوسي: ص٦٩٦، ح١٤٨٤/ ٢٧.

كان هو المعهد العلمي الإسلامي الوحيد الذي يتعلَّم الناس فيه الدين والأخلاق، ففي صحيح البخاري عنه ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلىٰ رجال فأحرق عليهم بيوتهم»[١].

ومن هنا، روي أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه سيعمل علىٰ بناء المساجد الكبيرة، وأنَّ الناس ستسعىٰ لحضور الصلاة خلفه، مما يعني أنَّ بناءها لم يكن من أجل الرفاهية الخالية من الفائدة، وإنَّما لتستوعب أكبر عدد ممكن من الناس، فقد روي عَنْ أَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «كَأَنِّي بِالْعَجَمِ فَسَاطِيطُهُمْ فِي مَسْجِدِ اَلْكُوفَةِ يُعَلِّمُونَ اَلنَّاسَ اَلْقُرْآنَ كَمَا أُنْزِلَ...»[٢].

وعَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا قَامَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام ضَرَبَ فَسَاطِيطَ لِمَنْ يُعَلِّمُ اَلنَّاسَ اَلْقُرْآنَ عَلَىٰ مَا أَنْزَلَ اَللهُ جل جلاله، فَأَصْعَبُ مَا يَكُونُ عَلَىٰ مَنْ حَفِظَهُ اَلْيَوْمَ، لِأَنَّهُ يُخَالِفُ فِيهِ اَلتَّأْلِيفَ»[٣].

وعَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اَللهِ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ قَائِمَنَا إِذَا قَامَ أَشْرَقَتِ اَلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا، وَاسْتَغْنَىٰ اَلنَّاسُ، وَيُعَمَّرُ اَلرَّجُلُ فِي مُلْكِهِ حَتَّىٰ يُولَدَ لَهُ أَلْفُ ذَكَرٍ لَا يُولَدُ فِيهِمْ أُنْثَىٰ، وَيَبْنِي فِي ظَهْرِ اَلْكُوفَةِ مَسْجِداً لَهُ أَلْفُ بَابٍ، وَتَتَّصِلُ بُيُوتُ اَلْكُوفَةِ بِنَهَرِ كَرْبَلَاءِ وَبِالْحِيرَةِ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ اَلرَّجُلُ يَوْمَ اَلْجُمُعَةِ عَلَىٰ بَغْلَةٍ سَفْوَاءَ يُرِيدُ اَلْجُمُعَةَ فَلَا يُدْرِكُهَا»[٤].

عَنْ حَبَّةَ اَلْعُرَنِيِّ، قَالَ: خَرَجَ أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَىٰ اَلْحِيرَةِ، فَقَالَ: «لَتَصِلَنَّ هَذِهِ بِهَذِهِ - وَأَوْمَىٰ بِيَدِهِ إِلَىٰ اَلْكُوفَةِ وَاَلْحِيرَةِ -، حَتَّىٰ يُبَاعَ اَلذِّرَاعُ فِيمَا بَيْنَهُمَا بِدَنَانِيرَ، وَلَيُبْنَيَنَّ بِالْحِيرَةِ مَسْجِدٌ لَهُ خَمْسُمِائَةِ بَابٍ يُصَلِّي فِيهِ خَلِيفَةُ

١. صحيح البخاري: ج٨، ص١٢٧.
٢. الغيبة للنعماني: ص٣٣٣، باب ٢١، ح٥.
٣. الإرشاد: ج٢، ص٣٨٦.
٤. الغيبة للطوسي: ص٤٦٧ و٤٦٨/ ح٤٨٤.

اَلْقَائِمِ عليه السلام، لِأَنَّ مَسْجِدَ اَلْكُوفَةِ لَيَضِيقُ عَنْهُمْ، وَلَيُصَلِّيَنَّ فِيهِ اِثْنَا عَشَرَ إِمَاماً عَدْلاً»، قُلْتَ: يَا أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ، وَيَسَعُ مَسْجِدُ اَلْكُوفَةِ هَذَا اَلَّذِي تَصِفُ اَلنَّاسَ يَوْمَئِذٍ؟! قَالَ: «تُبْنَىٰ لَهُ أَرْبَعُ[1] مَسَاجِدَ، مَسْجِدُ اَلْكُوفَةِ أَصْغَرُهَا، وَهَذَا، وَمَسْجِدَانِ فِي طَرَفَيِ اَلْكُوفَةِ مِنْ هَذَا اَلْجَانِبِ وَهَذَا اَلْجَانِبِ - وَأَوْمَىٰ بِيَدِهِ نَحْوَ اَلْبَصْرِيِّينَ وَاَلْغَرِيَّيْنِ -»[2].

وبلفظ (بحار الأنوار) قال: (وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ نَهْرِ اَلْبَصْرِيِّينَ وَاَلْغَرِيَّيْنِ)[3].

المبدأ الرابع: القضاء علىٰ موانع التطبيق الأخلاقي:

نظام هذا العالم مبنيٌّ علىٰ التضادّ في كثير من مفرداته، والابتلاء والاختبار من الحتميات فيه، وقد صرَّح القرآن الكريم بأنَّ ذلك كان من أجل التمييز والتمحيص، لتثبت الحجة للمهتدي وعلىٰ الضالّ العاصي، قال تعالىٰ: ﴿الم ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ١-٣).

الاختبار والابتلاء في الحياة لم يأت بشكل واحد، ولا علىٰ منوال متماثل، بل كان علىٰ أنواع مختلفة، ومفردات متنوِّعة، ولم يكن ليأتي بشكل صريح وواضح، وإنَّما تجد الكثير من مفرداته أتي بطريقة خفية، وبطريقة ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (الناس: ٥)، وبطريقة: ﴿إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧).

وهذا ما فرض مسؤولية عظيمة علىٰ المؤمن، بدءاً من طرق اكتشاف تلك الاختبارات والابتلاءات، مروراً بالتخلُّص مما وقع عليه منها، وانتهاءً

١. هكذا في المصدر، والصحيح نحوياً: (أربعة).
٢. تهذيب الأحكام: ج٣، ص٢٥٣ و٢٥٤، ح٦٩٩/ ١٩.
٣. بحار الأنوار: ج٥٢، ص٣٧٤ و٣٧٥، ح١٧٣.

بتحصين النفس عن الوقوع فيما خرج منه مرة أخرىٰ أو العودة إليه.

أحد أهم المبادئ التي ستتوفر عليها الدولة المهدوية هي القضاء علىٰ كل ما من شأنه تعكير صفو النفس، أو تشجيع المعصية، أو إتاحة الأخطاء، ولا يعني هذا أنَّ المجتمع سيتحول إلىٰ مجتمع معصوم يمتنع عليه الخطأ تماماً، فالدولة المهدوية والدين عموماً لا يسلب إرادة الإنسان ولا يُجبره علىٰ الهداية ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، إنَّما هو يوفر الظروف المناسبة للطاعة، لتبقىٰ الخطوة الأخيرة بيد الإنسان، بأن يُفعّل إرادته لفعل الخير وترك الشر.

وعلىٰ كل حال، ذكرت النصوص المهدوية أنَّه عجل الله فرجه سيرفع العديد من الموانع التي تتسبَّب عادة في معصية الإنسان، وبذا يُكمل مشهد (توفير الظروف المناسبة للطاعة وللتطبيق الأخلاقي)، ومن جملة تلك الموانع هي الآتي:

أ - إبليس:

لا يشكّ أحد في الدور الفعّال لإبليس وأعوانه من الجنّ والإنس في إغواء بني آدم، حتَّىٰ يواقعوا المعصية، ثم العمل علىٰ أن ينسىٰ العاصي الاستغفار، وأن يستمر بالمعصية، إلىٰ أن تستولي المعاصي علىٰ قلبه، فيبتعد عن الفلاح كثيراً، ومن ثم، فوجود إبليس وتمكنّه من الوسوسة لبني آدم مانع كبير من التطبيق الشرعي والأخلاقي، وعلىٰ جميع المستويات.

ومن هنا، ستشهد دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه علىٰ رفع هذا المانع من أساسه، وبذا يتخلص المؤمنون من سبب رئيسي في وقوعهم في المعصية، وابتعادهم التطبيق الأخلاقي، حيث دلَّت بعض النصوص علىٰ أنَّ الوقت المعلوم الذي أُجِّل له الشيطان ليس هو يوم القيامة، وإنَّما هو يوم يكون قبله، وقد تعدَّدت النصوص في بيان ذلك اليوم الذي تنتهي فيه مهلة الشيطان ويُقتَل فيه:

النصُّ الأوَّل: أنَّ الذي يقتله هو الإمام المهدي عجل الله فرجه عند قيامه:

حيث روي عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «يَا وَهْبُ، أَتَحْسَبُ أَنَّهُ يَوْمَ يَبْعَثُ اللهُ فِيهِ النَّاسَ؟ إِنَّ اللهَ أَنْظَرَهُ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُ فِيهِ قَائِمُنَا، فَإِذَا بَعَثَ اللهُ قَائِمَنَا كَانَ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ، وَجَاءَ إِبْلِيسُ حَتَّىٰ يَجْثُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا وَيْلَهُ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ، فَيَأْخُذُ بِنَاصِيَتِهِ فَيَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ هُوَ الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ»[1].

النصُّ الثاني: أنَّ الذي يقتله هو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في الرجعة:

وذلك بعد معركة تدور له مع أمير المؤمنين عليه السلام، فيهرب، فيتبعه النبيُّ صلى الله عليه وآله، فيقتله، فقد روي عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَمْرٍو الْخَثْعَمِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: «... رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَمَامَهُ بِيَدِهِ حَرْبَةٌ مِنْ نُورٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ إِبْلِيسُ رَجَعَ الْقَهْقَرَىٰ نَاكِصاً عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، فَيَقُولُونَ لَهُ أَصْحَابُهُ: أَيْنَ تُرِيدُ وَقَدْ ظَفِرْتَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَيَلْحَقُهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَيَطْعُنُهُ طَعْنَةً بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَيَكُونُ هَلَاكُهُ وَهَلَاكُ جَمِيعِ أَشْيَاعِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُعْبَدُ اللهُ عز وجل وَلَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْئاً...»[2].

وروىٰ القمّي رحمه الله بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٨]، قَالَ: «يَوْمُ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ يَوْمٌ يَذْبَحُهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[3].

النصُّ الثالث: أنَّ الذي يقتله هو أمير المؤمنين عليه السلام في الرجعة:

روىٰ نعيم بن حمَّاد بسنده عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، قَالَ: «خُرُوجُ الدَّابَّةِ بَعْدَ طُلُوعِ

١. تفسير العيَّاشي: ج٢، ص٢٤٢، ح١٤.
٢. مختصر بصائر الدرجات: ص٢٦ و٢٧.
٣. تفسير القمِّي: ج٢، ص٢٤٥.

اَلشَّمْسِ، فَإِذَا خَرَجَتْ قَتَلَتِ اَلدَّابَّةُ إِبْلِيسَ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَيَتَمَتَّعُ اَلْمُؤْمِنُونَ فِي اَلْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، لَا يَتَمَنَّوْنَ شَيْئاً إِلَّا أُعْطُوهُ وَوَجَدُوهُ، فَلَا جَوْرَ، وَلَا ظُلْمَ، وَقَدْ أَسْلَمَ اَلْأَشْيَاءُ لِرَبِّ اَلْعَالَمِينَ طَوْعاً وَكَرْهاً، وَاَلْمُؤْمِنُونَ طَوْعاً، وَاَلْكُفَّارُ كَرْهاً، وَاَلسَّبُعُ وَاَلطَّيْرُ كَرْهاً، حَتَّىٰ إِنَّ اَلسَّبُعَ لَا يُؤْذِي دَابَّةً وَلَا طَيْراً، وَيَلِدُ اَلْمُؤْمِنُ فَلَا يَمُوتُ حَتَّىٰ يُتِمَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعْدَ خُرُوجِ دَابَّةِ اَلْأَرْضِ، ثُمَّ يَعُودُ فِيهِمُ اَلْمَوْتُ فَيَمْكُثُونَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اَللهُ...»[1].

هذا، وقد جمع الشيخ السند هذا الاختلاف بين الروايات بأنَّه محمول علىٰ رجعة إبليس وقتله في كلِّ رجعة[2].

إن قلت: إنَّ رجعته تعني عودة المانع بعد رفعه، وبذا يؤثر سلباً علىٰ التطبيق الأخلاقي.

قلت: هذا صحيح، وهو أمر طبيعي إلىٰ حدٍّ ما حسب قوانين هذا العالم، ويكون رفعه - في كل مرة يرجع - مشروعاً تكاملياً يدخل ضمن قوانين هذا العالم، وهو أشبه بعودة مرضٍ تمّ علاجه مسبقاً، فإنَّه يبقىٰ أمراً مطلوباً في حدِّ ذاته، ويبقىٰ رفعه رفعاً لمانع من سلامة البدن.

علىٰ أنَّ الرفع النهائي لهذا المانع - علىٰ كل حال - سيكون تاماً لا عودة له ولو بتعدد الإزالة.

أمَّا ما هو معنىٰ قتل الإمام المهدي عليه السلام لإبليس؟

يمكن أنْ يكون بمعنىٰ القتل الحقيقي، وهو الذي يبدو من النصوص السابقة، ويمكن أنْ يكون بمعنىٰ قتل الجذور التي يُحرِّكها إبليس في داخل الإنسان، فينتفي الحافز لاتِّباع خطواته.

---

١. الفتنُ للمروزي: ص٤٠٢.

٢. راجع: الرجعة بين الظهور والمعاد: ج١، ص٢٤٤.

ب - القضاء على الأعداء (الكافرين والمشركين):

يمثل الكافرون والمنافقون والمشركون والمرجفون وأتباعهم جبهات متعدِّدة تعمل على إبعاد الناس عن الدين عموماً، وعن التطبيق الأخلاقي خصوصاً، وقد نبَّه القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧)، وفي قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٠٠)، ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٩)، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: ١٠٩).

فإبعاد الناس عن الدين، وتشويش عملهم بحرفه عن السلوك المستقيم، هدف من أهدافهم، ومن أجل ذلك هم يمارسون شتَّىٰ أنواع الأساليب والأفعال، وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ جملة منها بالآتي:

يذكر القرآن الكريم العديد من الأساليب التي استخدمها الكافرون والمشركون والمنافقون لإبعاد الناس عن الأخلاق والدين. ومن هذه الأساليب:

١. التشكيك في العقيدة والتلاعب بالشبهات: قال تعالىٰ: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت: ٢٦).

٢. السخرية والاستهزاء بأهل الإيمان: قال تعالىٰ: ﴿وَإِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً﴾ (الأنبياء: ٣٦).

٣. محاولة إغراء المؤمنين بالمال والمناصب: قال تعالىٰ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم: ٩).

٤. إثارة الفتن وزرع الشبهات بين المؤمنين: قال تعالىٰ: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة: ٤٧-٤٨).

٥. السعي لنشر الفساد والانحلال الأخلاقي: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النور: ١٩).

ومن ثَمّ سيشكل وجودهم مانعاً من تحقيق السلوك الديني والأخلاقي، وهو مانع قويٌّ لا يُستهان به، وهو ما سيعمل الإمام المهدي عجل الله فرجه على القضاء عليه، ومنه نعلم: أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه سيعمل علىٰ تقويض الموانع الداخلية والخارجية (بقتل إبليس، وبقتل الأعداء، أو إضعاف قوتهم وجعلهم تحت رعاية الدولة المهدوية ورقابتها، أو بهدايتهم إلىٰ الدين ليكونوا عناصر نافعة في المجتمع).

والنصوص الدالّة علىٰ هذا المعنىٰ أكثر من ان تُحصىٰ كما أشرنا، منها ما جاء في خطبة النبيِّ صلى الله عليه وآله في الغدير: «أَلَا إِنَّهُ اَلْمُنْتَقِمُ مِنَ اَلظَّالِمِينَ»[١].

وعن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] قال: «هذه الآية لآل محمد، الإمام المهدي وأصحابه يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدين ويميت الله عزّ وجلّ به وبأصحابه البدع والباطل، كما أمات السفهة الحق، حتَّىٰ لا يرىٰ أثر من الظلم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولله عاقبة الأمور»[٢].

---

١. روضة الواعظين: ص٩٧.

٢. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة للسيد شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي: ج١، ص٣٤٣.

وعن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] قال: «ما زال منذ خلق الله آدم دولة لله ودولة لإبليس فأين دولة الله؟ أما هو قائم واحد»[١].

ج - القضاء على الفقر والحاجة المادية:

لا يختلف اثنان في أنَّ الفقر والحاجة يُغيران من السلوك لدى الفرد، وقد يتنازل بعضُ عن شيء من مبادئه من أجل دفع الفقر أو التقليل من تأثيره السلبي، فليس كل سارق يسرق عن مهنة، فهناك من يسرق عن حاجة، مما يعني أنَّ الأخلاق قد تتهاوى بين جدران الفقر، وقد تذوب بين يدي الحاجة!

هذا الأمر ليس دائماً، فالجميع يشهد على وجود فقراء ما تنازلوا عن مبادئهم ولو ماتوا جوعاً، وما تغيَّرت أخلاقهم ولو أثَّر فيهم الفقر وأعوزتهم الحاجة، إلَّا أنَّ الفقر - على كل حال - مانع من التمسك بالأخلاق، ومع شيء من ضعف الإيمان أو الضغط النفسي أو الاجتماعي، قد يتجاوز بعض الفقراء حدوده العقلائية والدينية والأخلاقية، وهو أمر وجداني معاش.

هذا المانع أيضاً سيرتفع في دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه، وسيكون الغنى على أعلى مستوياته المتصوّرة، بحيث لا يجد الغنيُّ فقيراً ليُعطيه زكاته، على أنَّ العطاء منه عجل الله فرجه سيكون هنيئاً، وكثيراً، ولن يردّ أحداً جاءه يطلب مالاً...

حتَّى الديون، تلك التي تقضّ المضاجع وتظلّم النهار بوجه المديون، سيقضيها الإمام عجل الله فرجه عن أتباعه، والنصوص في ذلك أكثر من أن تُحصى، ومنها التالي:

رويَ عن أبي جعفرٍ عليه السلام يقول: «القائمُ منصورٌ بالرعبِ مؤيدٌ بالنصر، تطوى له الأرضُ وتظهرُ له الكنوز، ويبلغُ سلطانه المشرقَ والمغرب، ويظهرُ

١. بحار الأنوار للمجلسي: ج٥١، ص٥٤، ح٣٨؛ عن تفسير العياشي: ج١، ص١٩٩، ح١٤٥.

اللهُ ﷻ به دينَه ولو كره المشركون، فلا يبقىٰ في الأرضِ خراب إلَّا عمر»[١].

وعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ينزلُ بأُمَّتي في آخرِ الزمانِ بلاءٌ شديدٌ من سلطانهم، لم يسمعْ ببلاءٍ أشَدّ منه، حتَّىٰ تضيق عليهم الأرضُ الرحبة، حتَّىٰ تملأ الأرضُ جوراً وظلماً، لا يجدُ المؤمنُ ملجأ يلتجئ إليه من الظلمِ، فيبعث اللهُ ﷻ رجلاً من عترتي، فيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً، كما مُلئتْ جوراً وظلماً، يرضىٰ عنه ساكنُ السماءِ وساكنُ الأرض، لا تدّخرُ الأرضُ من بذرِها شيئاً إلَّا أخرجته، ولا السماءُ من قطرِها شيئاً إلَّا صبّه اللهُ عليهم مدراراً»[٢].

وعنه ﷺ يقول: «لا يزالُ بكم الأمرُ حتَّىٰ يولد في الفتنةِ والجورِ من لا يعرفُ غيرَها حتَّىٰ يملأ الأرض جوراً، فلا يقدرُ أحدٌ يقولُ: الله، ثم يبعثُ اللهُ ﷻ رجلاً منّي ومن عترتي، فيملأ الأرضَ عدلاً كما ملأها من كانَ قبله جوراً، وتُخرج له الأرضُ أفلاذَ كبدها، ويحثو المالَ حثواً ولا يعده عدّاً، وذلك حينَ يضربُ الإسلامُ بجرانه»[٣].

وعن المفضل بن عمر قال: سمعتُ أبا عبدِ الله عليه السلام يقول: «إنَّ قائمَنا إذا قامَ أشرقتِ الأرضُ بنورِ ربِّها... ويطلبُ الرجلُ منكم من يصله بماله ويأخذُ منه زكاته فلا يجدُ أحداً يقبلُ منه ذلك، استغنىٰ الناسُ بما رزقَهم اللهُ من فضله»[٤].

المطلب الثالث: نماذج من الأخلاق العملية في دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه:

لا يمكننا حصر النماذج الأخلاقية التي ستُطبّق في دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه،

١. بحار الأنوار للمجلسي: ج٥٢، ص١٩١.

٢. عقد الدرر للمقدسي: ص٤٤.

٣. أمالي الشيخ الطوسي: ص٥١٣، والجران: مقدم عنق البعير، واستعاره هنا للتمكن والثبات (هامش المصدر).

٤. الإرشاد، الشيخ المفيد: ج٢، ص٣٨١.

إذ لا نحتمل أنَّ النصوص قد تعرَّضت لكل ذلك، علىٰ أنَّ النصوص التي وصلت إلينا هي أقل بكثير مما صدر عن أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن أنَّنا لا نتوقَّع من النصوص أن تقوم بعملية إحصاء ومسح ميداني لكل التطبيقات الأخلاقية آنذاك، وإنَّما هي تذكر نماذج، وبعض ما تذكره - كما نتوقع - جاء علىٰ نحو القاعدة العامة التي يُمكن أن تدخل تحتها تطبيقات متكثرة، كما هو حال الأحكام الشرعية الكلية.

وبعد أن ذكرنا المبادئ الأساسية التي ستكون وراء تركيز النفوس علىٰ عمل الخير، وإنعاشها بترك الشر، يُمكن أن نذكر نماذج جزئية لذلك، وبعضها أيضاً أشبه بالقاعدة، وهي الآتي:

النموذج الأول: تقديم الواجب علىٰ المستحب عند التعارض:

الواجب والمستحب، حكمان شرعيان، لا مانع من أدائهما معاً، وأمّا لو حصل تدافع بينهما، فلا ريب في تقدّم الواجب، إلَّا أنَّه في بعض الأحيان يكون التدافع شخصياً، وحينها تُلقىٰ مهمة تقديم الواجب علىٰ المستحب علىٰ المكلّف، كما لو ضاق الوقت عن أداء نافلة الفجر، بحيث كان أداؤها يستلزم خروج الوقت المخصص لأداء صلاة الصبح الواجبة، حينها يلزم أن يقدّم الفرض علىٰ النافلة كما هو واضح، وأمّا إذا كان ذلك جماعياً - إذا صح التعبير -، بأن كان تقديم المستحب ومزاحمته للواجب صادراً من مجموعة كبيرة من المؤمنين، مع عدم توجه الحرمة علىٰ الفرد في ذلك، وأوضح مثال لذلك هو الطواف المستحب، فإنَّه لم نجد فتوىٰ تمنع أو تحرم علىٰ الفرد أن يطوف مستحباً وإن كان هناك من يريد أن يطوف واجباً.

لكن في مثل هذه الحالة، يُمكن لولي الأمر أن يمنع من الطواف المستحب لإتاحة الفرصة لمن يريد أداء طوافه الواجب، وتحديد موضوع هذا المعنىٰ يحتاج إلىٰ عمق فقهي قد لا يملكه غير المعصوم، وهو ما ورد في بعض النصوص

من أنَّه عجل الله فرجه يأمر بخروج الذي يطوف مستحباً لإتاحة الفرصة لمن يطوف واجباً، فقد روي عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُظْهِرُ الْقَائِمُ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُنَادِيَ مُنَادِيه أَنْ يُسَلِّمَ صَاحِبُ النَّافِلَةِ لِصَاحِبِ الْفَرِيضَةِ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ والطَّوَافَ»[1].

النموذج الثاني: عموم العدل:

حسن العدل وقبح الظلم مما لا يختلف فيه عاقلان، إلَّا أنَّهم قد يختلفون في بعض التطبيقات، ولذا تجد أنَّ الظالم يدَّعي العدل في ظلمه لخصومه، وقد يصدقه بعض أتباعه أو حتَّىٰ قد يعتقدون بعدله في ذلك.

أما إذا كان التطبيق صادراً من المعصوم، فإنَّك لن تجد فيه خلاف الواقع البتة، ولذلك أخبرت النصوص أنَّ عدل الإمام عجل الله فرجه سيكون عامّاً شاملاً لكل الأرض، ولكل الأشخاص، وهذا الأمر سيورث الاطمئنان بعدم حيف الحاكم ولا أتباعه علىٰ الرعية، وهو تطبيق أخلاقي لا مثيل له إلَّا في دولته عجل الله فرجه.

وقد عبَّرت النصوص عن هذا المعنىٰ بتعبيرات متعدِّدة:

فمنها: شمول عدله وفرضه علىٰ الجميع، فلا يُستثنىٰ منه أحد، وقد عبَّرت النصوص عن هذا المعنىٰ بدخول العدل أجواف البيوت رغماً... فعن الفضيل بن يسار، قال: سمعتُ أبا عبدِ الله عليه السلام يقول: «إنَّ قائمَنا إذا قامَ استقبلَ من جهلِ الناسِ أشدَّ ممّا استقبله رسولُ الله صلى الله عليه وآله من جهالِ الجاهلية»، قلت: وكيف ذاك؟ قال عليه السلام: «إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله أتىٰ الناس وهم يعبدون الحجارةَ والصخورَ والعيدانَ والخشبَ المنحوتة، وإنَّ قائمنا إذا قامَ أتىٰ الناسَ وكُلّهم يتأوّلُ عليه كتابَ اللهِ يحتجُّ عليه به»، ثم قال عليه السلام: «أما واللهِ

١. الكافي للكليني: ج٤، ص٤٢٧، بَابُ نَوَادِرِ الطَّوَافِ، ح١.

ليدخلنّ عليهم عدلُه جوفَ بيوتِهم كما يدخلُ الحر والقر»[١].

ولعل في هذا التعبير إشارة إلىٰ عموم العدل رغماً علىٰ الجميع، ولعله إشارة إلىٰ أن العدل يصل حتّىٰ إلىٰ داخل الأُسرة الواحدة، فرغم أنَّ الأُسرة يُمكنها أن تخفي بعض الظلم داخل أروقتها، إلَّا أنَّه وفي دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه لا يمكن ذلك، بل العدل سيكون شاملاً لها وفي داخلها.

ومنها: إنهاء المحسوبيات، فكون الفرد من المقربين للإمام المهدي عجل الله فرجه لا يُعفيه من تطبيق العدل عليه، فإن كان مذنباً جرىٰ العدل عليه كما يجري علىٰ عامّة الناس، وهذا لعمري لا تجده إلَّا في دولة يحكمها المعصوم، فقد روي عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «بينا الرجل علىٰ رأس القائم يأمر وينهىٰ إذ أمر بضرب عنقه، فلا يبقىٰ بين الخافقين شيء إلَّا خافه»[٢].

ولعل المقصود من مثل هذا الحديث أنَّ المنافقين لا يتمكنون من خداع الإمام المهدي عجل الله فرجه حتّىٰ لو وصلوا إلىٰ مراتب عالية في دولته، ولعل المقصود هو أن أي أحد يخرج عن الاستقامة فإنَّ العدل يجري عليه حتّىٰ لو كان من المقربين.

وعلىٰ المنوال نفسه ما ورد من أنَّه يقتل رجالاً من قريش، فإنَّه وإن كان يشير إلىٰ عداوة قريش له بالخصوص، إلَّا أنَّه يشير أيضاً إلىٰ أنَّ العلاقات النسبية لن تكون مانعاً من تطبيق العدل في دولته عجل الله فرجه، وقد روي عن بشر بن غالب الأسدي، قال: قال لي الحسين بن علي عليهما السلام: «يا بشر، ما بقاء قريش إذا قدم القائم المهدي منهم خمسمائة رجل فضرب أعناقهم صبراً، ثم قدم خمسمائة فضرب أعناقهم صبراً، ثم خمسمائة فضرب أعناقهم صبراً»، قال:

---

١. الغيبة للنعماني: ص٣٠٧، بَاب ١٧ ما جاء فيما يلقىٰ القائم عجل الله فرجه ويستقبل من جاهلية الناس، وما يلقاه الناس قبل قيامه من أهل بيته، ح١.

٢. الغيبة للنعماني: ص٢٤٦، ب١٣، ح٣٢.

فقلت له: أصلحك الله، أيبلغون ذلك؟ فقال الحسين بن علي عليهما السلام: «إنَّ مولىٰ القوم منهم...»[١].

وفي هذا النص إشارة إلىٰ أنَّ (مولىٰ القوم منهم) بمعنىٰ أنَّ من يتولىٰ قريشاً أو غيرهم فإنَّه يُعدّ منهم، وهو ما تؤكده النصوص الدينية، وأوضح مثال علىٰ ذلك في القضية المهدوية ما روي في سبب قتله عجل الله فرجه لذراري قتلة الإمام الحسين عليه السلام، فقد روي عَنْ عَبْدِ اَلسَّلَامِ بْنِ صَالِحٍ اَلْهَرَوِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي اَلْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَىٰ اَلرِّضَا عليه السلام: يَا بْنَ رَسُولِ اَللهِ، مَا تَقُولُ فِي حَدِيثٍ رُوِيَ عَنِ اَلصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ اَلْقَائِمُ قَتَلَ ذَرَارِيَّ قَتَلَةِ اَلْحُسَيْنِ عليه السلام بِفِعَالِ آبَائِهَا»، فَقَالَ عليه السلام: «هُوَ كَذَلِكَ»، فَقُلْتُ: فَقَوْلُ اَللهِ عز وجل: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ﴾، مَا مَعْنَاهُ؟ فَقَالَ: «صَدَقَ اَللهُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ، لَكِنَّ ذَرَارِيَّ قَتَلَةِ اَلْحُسَيْنِ يَرْضَوْنَ أَفْعَالَ آبَائِهِمْ وَيَفْتَخِرُونَ بِهَا، وَمَنْ رَضِيَ شَيْئاً كَانَ كَمَنْ أَتَاهُ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً قُتِلَ فِي اَلْمَشْرِقِ فَرَضِيَ بِقَتْلِهِ رَجُلٌ فِي اَلْمَغْرِبِ لَكَانَ اَلرَّاضِي عِنْدَ اَللهِ شَرِيكَ اَلْقَاتِلِ، وَإِنَّمَا يَقْتُلُهُمُ اَلْقَائِمُ إِذَا خَرَجَ لِرِضَاهُمْ بِفِعْلِ آبَائِهِمْ...»[٢].

هذا فضلاً عن أنَّ أخذ الإمام المهدي عجل الله فرجه الميثاق علىٰ أصحابه بفقرات متعدِّدة – تقدَّم ذكر النص في ذلك –، والتزامه هو بالزهد وعدم التأثر ببهارج الدنيا وسلطتها، هذا بنفسه كافٍ ليأس ذوي المآرب الملتوية من الحصول علىٰ استثناءات لهم، أو الحصول علىٰ إجازات بارتكاب المخالفات في تلك الدولة العادلة.

النموذج الثالث: التكافل الاجتماعي (يقضي الدين) مثلاً:

لا يتوقَّف التكافل الاجتماعي في دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه عند حدود الزكاة وخمس الأموال وزكاة الفطرة، وإنَّما تتكفل الدولة قضاء ديون المؤمنين

١. الغيبة للنعماني: ص٢٤٠، ب١٣، ح٢٣.
٢. علل الشرائع: ج١، ص٢٢٩، باب ١٦٤، ح١.

مهما عظمت أو صغرت، وهذا التطبيق الأخلاقي لا تجده في دولة اليوم، ولن نجده إلّا في دولة يحكمها المعصوم عليه السلام.

فقد روي أنَّ المفضَّلَ قال للإمام الصادق عليه السلام: يا مولاي، من ماتَ من شيعتِكم وعليه دينٌ لإخوانه ولأضداده كيفَ يكون؟ قالَ الصادق عليه السلام: «أوَّلُ ما يبتدئُ المهديُ عليه السلام أنْ يُنادي في جميعِ العالم: ألَا من له عندَ أحدٍ من شيعتنا دَينٌ فليذكره، حتَّىٰ يردَّ الثومةَ والخردلة، فضلاً عن القناطيرِ المُقنطرة من الذهبِ والفضَّةِ والأملاك، فيوفّيه إيّاه»[1].

النموذج الرابع: آداب وأخلاقيات الحرب:

الغاية تبرر الوسيلة... هو هدف الكثير من الظلمة في مجال التخلّص من أعدائهم، فإحراقُ الأخضر واليابس، وقتل الصغير والكبير، واقع نشاهده في الكثير من الحروب... وقد حفظ لنا التاريخ وثائق سوداء، وأخبرنا بأخرىٰ مثلها تقع في المستقبل.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَمَّا مَوْلِدُ مُوسَىٰ عليه السلام، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا وَقَفَ عَلَىٰ أَنَّ زَوَالَ مُلْكِهِ عَلَىٰ يَدِهِ، أَمَرَ بِإِحْضَارِ الْكَهَنَةِ، فَدَلُّوهُ عَلَىٰ نَسَبِهِ، وَأَنَّهُ يَكُونُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِشَقِّ بُطُونِ الْحَوَامِلِ مِنْ نِسَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَتَّىٰ قَتَلَ فِي طَلَبِهِ نَيِّفاً وَعِشْرِينَ أَلْفَ مَوْلُودٍ، وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْوُصُولُ إِلَىٰ قَتْلِ مُوسَىٰ عليه السلام بِحِفْظِ اللهِ (تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ) إِيَّاهُ، وَكَذَلِكَ بَنُو أُمَيَّةَ وَبَنُو الْعَبَّاسِ، لَمَّا وَقَفُوا عَلَىٰ أَنَّ زَوَالَ مُلْكِهِمْ وَمُلْكِ الْأُمَرَاءِ وَالْجَبَابِرَةِ مِنْهُمْ عَلَىٰ يَدِ الْقَائِمِ مِنَّا، نَاصَبُونَا الْعَدَاوَةَ، وَوَضَعُوا سُيُوفَهُمْ فِي قَتْلِ آلِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وَإِبَادَةِ نَسْلِهِ طَمَعاً مِنْهُمْ فِي الْوُصُولِ إِلَىٰ قَتْلِ الْقَائِمِ، وَيَأْبَىٰ اللهُ عزوجل أَنْ يَكْشِفَ أَمْرَهُ لِوَاحِدٍ مِنَ الظَّلَمَةِ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ...»[2].

---

١. بحار الأنوار للمجلسي: ج٥٣، ص٣٤.

٢. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٥٤، ب٣٣، ح٥٠.

وجاء في مرسلة المقدسي عن أمير المؤمنين عليه السلام في سياق ذكر جرائم السفياني وما يفعله من الفواحش وسفك الدم الحرام، أنَّ الملائكة تضج إلىٰ الله تعالىٰ، فيأمر الله تبارك وتعالىٰ جبرئيل بأن ينادي من علىٰ سور مسجد دمشق بأنَّ الفرج والغوث قد جاء لأُمَّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فقد جاء فيها: «فإذا دخل دمشق اعتكف علىٰ شرب الخمر والمعاصي، ويأمر أصحابه بذلك، ويخرج السفياني وبيده حربة، فيأخذ امرأة حاملاً، فيدفعها إلىٰ بعض أصحابه، ويقول: افجر بها في وسط الطريق، فيفعل ذلك ويبقر بطنها، فيسقط الجنين من بطن أُمِّه، فلا يقدر أحد أن يغير ذلك، فتضطرب الملائكة في السماء، فيأمر الله عزوجل جبريل عليه السلام فيصيح علىٰ سور مسجد دمشق: ألا قد جاءكم الغوث يا أُمَّة محمد، قد جاءكم الغوث يا أُمَّة محمد، قد جاءكم الفرج، وهو المهدي عليه السلام، خارج من مكة، فأجيبوه»[١].

روي أنَّه يبعثُ السفياني جيشاً إلىٰ المدينة، فيأمرُ بقتلِ كُلِّ من كانَ فيها من بني هاشم حتَّىٰ الحبالىٰ...[٢].

وهذا أمر رفضه الإسلام أشد الرفض، فكان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يوصي جنوده عندما يرسلهم في مهمة عسكرية فعَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ سَرِيَّةً دَعَاهُمْ فَأَجْلَسَهُمْ بَيْنَ يَدَيْه ثُمَّ يَقُولُ: سِيرُوا بِسْمِ الله وبِالله وفِي سَبِيلِ الله وعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ الله لَا تَغُلُّوا ولَا تُمَثِّلُوا ولَا تَغْدِرُوا ولَا تَقْتُلُوا شَيْخاً فَانِياً ولَا صَبِيّاً ولَا امْرَأَةً ولَا تَقْطَعُوا شَجَراً إِلَّا أَنْ تُضْطَرُّوا إِلَيْهَا»[٣].

---

١. عقد الدرر للمقدسي: ص٩٤.

٢. الملاحم والفتن – السيد ابن طاووس: ص١٢٦، بَاب ١٠٩، ح١٣٠. وهي ضعيفة السند.

٣. الكافي للكليني: ج٥، ص٢٧، بَابُ وَصِيَّةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي السَّرَايَا، ح١.

وعلىٰ هذا المنوال سيكون الإمام المهدي عجل الله فرجه في حروبه ومعاركه، فالأخلاق حاضرة فيها بمعنىٰ الكلمة، حتَّىٰ أنَّه رويَ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يُبايَعُ القائمُ بمكة علىٰ كتابِ اللهِ وسُنّةِ رسوله، ويستعملُ علىٰ مكة، ثم يسيرُ نحوَ المدينة فيبلغه أنَّ عاملَه قتل، فيرجعُ إليهم فيقتلُ المقاتلة، ولا يزيدُ علىٰ ذلك...»[١].

فالرواية تصرِّح وتؤكِّد علىٰ أنَّه عجل الله فرجه لا يُقاتل إلَّا من يُقاتله، وأمّا غيرهم فإنَّه لا يتعرض لهم البتة، وهذه أخلاق سلسل النبوة وفرع الإمامة...

ومن الآداب أنَّه عجل الله فرجه لا يبدأ خصومه بقتال، بل يبدو من بعض النصوص أنَّه يأمر أصحابه بالرجوع التكتيكي أمام العدو[٢]، ولعله من باب إرادة هدايتهم من دون قتال، فيحاول أن يبتعد عن قتالهم، فإذا ما رآهم مصرّين علىٰ قتله وقتاله، فلا مناص من منازلتهم القتال.

فقد جاء في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام في سياق حديثه عن تحرُّك جيش الإمام المهدي عجل الله فرجه لملاقاة جيش السفياني أنَّه سيتَّخذ طريق النخيلة، قَالَ عليه السلام: «... حتَّىٰ يَنْتَهِيَ إِلَىٰ مَسْجِدِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِالنُّخَيْلَةِ، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ بِالْكُوفَةِ مِنْ مُرْجِئِهَا وَغَيْرِهِمْ مِنْ جَيْشِ اَلسُّفْيَانِيِّ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: اِسْتَطْرِدُوا لَهُمْ[٣]، ثُمَّ يَقُولُ: كُرُّوا عَلَيْهِمْ»، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «وَلَا يَجُوزُوا وَاَللهِ اَلْخَنْدَقَ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ»[٤].

---

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٥٢، ص٣٠٨.

٢. وهو ما فسره به الجوهري، ففي البحار: ج٥٢ ص٣٤٦: قال الجوهري: مطاردة الأقران في الحرب حمل بعضهم علىٰ بعض يقال: هم فرسان الطراد، وقد استطرد له وذلك ضرب من المكيدة.

٣. ومطاردة الأقران في الحرب: حمل بعضهم علىٰ بعض، يقال: هم فرسان الطراد. وقد استطرد له، وذلك ضرب من المكيدة. [الصحاح للجوهري: ج٢، ص٥٠٢].

٤. تفسير العيَّاشي: ج٢، ص٥٩، ح٤٩.

وهـذا أدب مـوروث منـه عـن آبائـه عليهم السلام، فقـد روىٰ الشـيخ المفيـد قـال: ورام مسـلم بـن عوسـجة أن يرميـه بسـهم فمنعـه الحسـين مـن ذلـك، فقـال لـه: دعنـي حتَّـىٰ أرميـه فـإنَّ الفاسـق مـن عظـماء الجبارين، وقـد أمكـن الله منـه. فقـال لـه الحسـين عليه السلام: «لا ترمـه، فـإني أكـره أن أبدأهـم»[1].

الخاتمة:

إنَّ الدولـة المهدويـة تمثّـل النمـوذج الأمثـل لتحقيـق القيـم الأخلاقيـة عـلىٰ أرض الواقـع، حيـث تتجسَّـد العدالـة والمسـاواة في أرقـىٰ صورهـا، ويُطبّـق القانون بـروح العـدل والإنصـاف، ومـن خـلال المبـادئ والتطبيقـات التـي سـتُعتمد في هـذه الدولـة، سـتتحقق بيئـة اجتماعيـة قائمـة عـلىٰ التكافـل والتسـامح والاحـترام المتبـادل.

إنَّ تحقيـق مثـل هـذا المجتمـع المثـالي يتطلـب جهـداً مشـتركاً مـن الأفـراد والمؤسسـات، بحيـث يتـم تعزيـز الوعـي الأخلاقـي، وإزالـة العقبـات التـي تعيـق تحقيـق العدالـة، والعمـل عـلىٰ نـشر ثقافـة الخـير والإحسـان بـين النـاس. وبذلـك، تكـون الدولـة المهدويـة نموذجـاً يُحتـذىٰ بـه في إقامـة مجتمـع فاضـل تسـوده القيـم النبيلـة والمبـادئ الإلهيـة السـامية.

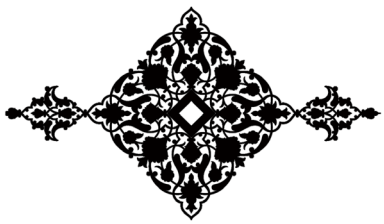

١. الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٩٦.

المعود
ALMAUOOD

شخصيّات محورية في الحركة المهدوية

الشيخ علي كريّم

مقدِّمة:

ورد عن داود بن الحصين، عن أبي بصير، عن الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غَيبة وحيرة حتّىٰ تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1].

هذه الرواية المشهورة والتأسيسية في القضية المهدوية تشير إلىٰ عدّة نكاتٍ، فهي تحدّد اسم الإمام وكنيته وخلقَه وخُلُقه وتربطها بالمبدأ الإسلامي الأصيل وهو النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، وكذلك الإشارة الواضحة إلىٰ الغيبة باعتبارها مفصلاً تاريخيّاً مركزيّاً يشكّل محور الابتلاء والامتحان لقافلة البشرية، إلّا أنَّ أهمَّ إشارةٍ تشير إليها هي أنَّ الإمام عجل الله فرجه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، لا كما توهَّم البعض وبنىٰ علىٰ ذلك الفهم الخاطئ مبانيَ خاطئة، وهي أنَّ الإمام سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فبدأ ينظّر للانتظار السلبي وعدم الاستعداد باعتبار أنَّ امتلاء الأرض بالظلم والجور هو أمرٌ حتميّ، فبالتالي فلندع ذلك يحصل أو فلنساعد به علىٰ بعض

١. الشيخ الصدوق – كمال الدين وتمام النعمة: ج١، ص٣١٥.

المبادئ الباطلة، فالمتبادر من عبارة أنّ الإمام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً أنّ واقعةَ ظُهورِ الإمامِ المهديِّ عجل الله فرجه ليستْ مشترطةً بحصولِ هذا الظُّلمُ العامُّ والجَورُ المُستشري في كُلِّ مَكانٍ، والمُتبادرُ أنَّ خروجَ الإمامِ عليه السلام وإنْ كانَ لأجلِ دَفعِ هذا الظُّلمُ والجَورُ الّذي يُطبقَ الآفاقَ ويُقيمُ علَىٰ أنقاضِهِ العدلَ والقِسطَ الشَّاملَ غيرَ أنَّ ذلكَ ليسَ هو العِلَّةُ الفاعليَّةُ المُقتضيةُ لِقيامِهِ عجل الله فرجه وإنَّمَا هي العِلَّةُ الغائيَّةُ الّتي يكونُ ظهورهُ عجل الله فرجه مُتكفلاً بتحقيقِهَا؛ فالعبارة ليست بصدد تعليق خروج الإمام عجل الله فرجه علىٰ حصول الظلم والجور، ولكنها بصدد بيان الوظيفة التي ينهض بها الإمام المهدي عجل الله فرجه حال خروجه المتزامن مع امتلاء الدنيا بالظلم والجور.

وأمّا نفس خروجه الشريف فإنه مسبب عن مقتضيات وشرائط وارتفاع موانع، ومن جملة مقتضياته حصول الإذن من قبل الله عزّ وجلّ، ومن جملة شرائطه اكتمال عدة أصحابه وتوفر قواعده الشعبية، ومن جملة ارتفاع موانعه سقوط بعض الأنظمة الطاغوتية.

إنَّ هذا الفهم المغلوط والخاطئ يشكِّلُ مخالفةً فاضحة لمفاهيم القرآن التي تدعو إلىٰ رفض الظلم، وعدم الركون إلىٰ الظالمين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (هود: ١١٣).

بل إنَّ ذلك يعني تعطيل أهم فرائض الإسلام وأحكامه وتشريعاته، كفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلىٰ الله والجهاد في سبيله، وهي تكاليف عامة لا تختص بزمان دون زمان، أو مكانٍ دون آخر.

علىٰ أنَّه ليس معنىٰ (تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً) الواردة في بعض النصوص هو أن تنعدم قيم الحق والتوحيد والعدل علىٰ وجه الأرض، ولا يبقىٰ موضع يُعبد الله فيه، فهذا الأمر مستحيل، وهو علىٰ خلاف سنن الله، وإلّا فماذا نفعل بالروايات التي تصرّح بضرورة توفّر القادة الثلاثمائة وثلاثة

عشر لحركة الإمام عجل الله فرجه، بالإضافة إلىٰ العدد الكبير من الأنصار والجنود الموجودين عند خروجه.

كما أنَّ غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه بسبب طغيان الشر والفساد والظلم، فكيف يكون طغيان الفساد والظلم شرطاً وسبباً لظهور الإمام عجل الله فرجه وخروجه؟

فالمقصود بهذه الكلمة طغيان سلطان الباطل علىٰ الحق في الصراع الدائر بين الحق والباطل، من هنا لابُدَّ للإمام عجل الله فرجه من أنصارٍ وجنودٍ وقادّة يساهمون علىٰ كلّ الصعد والمستويات في التمهيد لظهوره المبارك، وفي إنجاح هذه النهضة المهدوية، وقد تحدّثت الروايات عن هؤلاء الأنصار وصفاتهم وأوطانهم، وعددهم، إلّا أنَّ التأمّل الحثيث في الروايات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً في المصادر الأُم المتحدِّثة عن القضية المهدوية وحيثيّاتها المختلفة ككتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي وللشيخ النعماني وكتاب (كمال الدين وتمام النعمة) للشيخ الصدوق يجد أمامه مجموعةً من الشخصيات الأساسية التي تلعب دوراً محوريّاً في عملية الظهور المبارك للإمام أو في التمهيد له، بل إنَّ بعضها قد عَدَّت حركته من العلامات الحتمية للظهور، ونتيجةً لأهمية الدور المنوط بها في هذه الحركة نجد البعض قد حاول تطبيقها علىٰ شخصيّاتٍ معاصرة لعبت وما زالت تلعب دوراً مهمّاً في مقارعة الاستكبار وفي التمهيد والانتظار الإيجابي.

في هذا المقال سوف أُسلِّط الضوء علىٰ مصطلح (الأبدال) باعتباره إحدىٰ المصطلحات التي وردت بكثرةٍ في الروايات السنية والشيعية وكثر اللغط في تطبيقها علىٰ مصاديقها، بحيث يُعدّ أصحاب الإمام عجل الله فرجه وخصوصاً الشخصيّات الأساسية في حركته أحد أهمّ المصاديق لهذا المصطلح، بالإضافة إلىٰ التركيز علىٰ أربع شخصيّات محورية ومهمَّة وهي:

١ – الخراساني.

٢ – اليماني.

٣ – النفس الزكية.

٤ – شعيب بن صالح.

كما سأعرِّج إلىٰ التأسيس القرآني للقضية المهدوية وخصوصاً لجهة الأنصار، بحيث يرىٰ المتأمّل في تفاسير القرآن كثيراً من الروايات التي تؤول آياتٍ مهمّة في القرآن الكريم بالإمام المهدي عجل الله فرجه وأصحابه وأنصاره.

أوّلاً: الامام المهدي عجل الله فرجه وأنصاره في القرآن الكريم:

إنَّ القرآن الكريم لم يُشِر بشكلٍ تفصيلي إلىٰ الأمور التفصيلية التي مرّت أو ستمرّ في حياة الإمام ومسيرته وحركته كولادته وحياته، مواصفاته الشخصية أو غيبته وتفاصيل حركة ظهوره، لأنَّ هذا ليس من وظيفة القرآن، بل من وظيفة السنّة التي تشكّل معه الثقلين اللَذَيْن لا يفترقان، فالقضية المهدوية وكأيّ قضية وظيفة القرآن فيها هي التأسيس والقواعد العامّة ووظيفة السنّة هي التبيين وإكمال الرؤية المنظومية للفكرة.

نعم نجد الروايات تشير إلىٰ سننٍ معيّنة موجودة لدىٰ الأنبياء وهي عنده عجل الله فرجه، قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنَّ في صاحب هذا الأمر سنناً من الأنبياء: سنَّة من موسىٰ بن عمران، وسنَّة من عيسىٰ، وسنَّة من يوسف، وسنَّة من محمد (صلىٰ الله عليه وعليهم)، فأمّا سنَّته من موسىٰ فخائف يترقب، وأمّا سنَّته من عيسىٰ فيقال فيه ما قيل في عيسىٰ، وأمّا سنَّته من يوسف فالستر جعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه، وأمّا سنَّته من محمد صلى الله عليه وآله فيهتدي بهداه ويسير بسيرته»[1].

نفهم الإشارة القرآنية إلىٰ حصول هذه السنن مع الإمام المهدي عجل الله فرجه.

١. بحار الأنوار – العلامة المجلسي: ج٥١، ص٢٢٤.

أمّا موضوع الظهور والاستخلاف فقد أشارت إليه آيات عدّة فسّرتها روايات أهل البيت عليهم السلام بدولة العدل المهدوي، منها:

أولاً: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ٥).

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله في تفسير الآية: ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: «هم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان»[١].

ثانياً: قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣).

روىٰ الشيخ الصدوق: عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣)، فقال: «والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتّىٰ يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم عليه السلام لم يبق كافر بالله العظيم، ولا مشرك بالإمام إلّا كره خروجه حتّىٰ لو كان هناك كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله»[٢].

ثالثاً: قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ (النور: ٥٥).

يروي فرات الكوفي في تفسيره: عن السدي، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

١. تفسير مجمع البيان – الشيخ الطبرسي: ج٧، ص١١٩.

٢. الحديث في باب النوادر: ج٢، ص ٣٨٦، من كمال الدين وهكذا الأحاديث الآتية.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ إلىٰ آخر الآية، قال: نزلت في آل محمد عليه وآله السلام، ومنهم المهدي عجل الله فرجه[١].

كما أنّه بمبدأ الجري والتطبيق، وموضوع تفسير القرآن بالبطون، كثيرٌ من الآيات يمكن تأويلها بالإمام عجل الله فرجه، وقد تصل إلىٰ ١٠٠ آية علىٰ بعض الآراء.

ثانياً: من هم الأبدال؟

١ - **اختلفت الآراء كثيراً حول مصطلح الأبدال**، فالبعض اعتبره من مخترعات الأمويين لإشغال الناس بهم بدلاً من الأئمة عليهم السلام، باعتبار كثرة الروايات الواردة في مصادر أهل السُنّة حولهم، كما أنَّ أغلب الروايات سواء في المصادر الشيعية أو السنية تذكر أنّهم من أهل الشام، كما نجد بعض المتصوّفة قد استخدموا هذا المصطلح كثيراً، فالأبدال عندهم في كلّ زمان يحيطون بالقطب، والقطب يكون واحداً.

من هنا كان لابدّ من بيان المعنىٰ اللغوي للمصطلح ثمّ البحث عن مصاديقه في الروايات:

أ - الأبدال لغةً: جَمْعُ بَدَلْ وبَدِيل، وهم الزُّهاد، والعُبَّاد، والأولياء المخلصون لله، قال العلامة الطُريحي: الأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر.

ب - وفي القاموس: الأبدال قوم يقيم الله بهم الأرض وهم سبعون، أربعون بالشام وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلّا قام مقامه آخر من سائر الناس.

ج - وللعلامة الراغب الأصفهاني تفسيرٌ آخر للأبدال حيث يقول: والأبدال قوم صالحون يجعلهم الله مكان آخرين مثلهم ماضين، وقد أنكر بعض الناس وجودهم.

١. تفسير فرات الكوفي: ص٢٨٨-٢٨٩، ح٣ و٦.

ثم يضيف قائلاً: وحقيقته هم الذين بدلوا أحوالهم الذميمة بأحوالهم الحميدة، وهم المشار إليهم بقوله تعالىٰ: ﴿... فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ...﴾ (الفرقان: ٧٠)[١].

٢ - الأبدال في روايات أهل السنّة: إنَّ أهمّ ما تشير إليه الروايات السنية في موضوع الأبدال:

أ - حديث عبادة بن الصامت: عن عبد الوهاب بن عطاء عن الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: أنه ﷺ قال: «الأبدال في هذه الأُمَّة ثلاثون رجلاً، قلوبهم علىٰ قلب إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً»[٢].

ب - عبادة بن الصامت كذلك: «الأبدال في أُمَّتي ثلاثون بهم تقوم الأرض، وبهم تنصرون وبهم تمطرون»[٣].

ج - حديث عوف بن مالك مرفوعاً: «الأبدال في أهل الشام بهم ينصرون وبهم يرزقون»[٤].

د - الحديث الذي يروونه عن الإمام علي عليه السلام: ذُكِرَ أهل الشام عند علي بن أبي طالب، وهو بالعراق، فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: «لا، إني سمعت رسول الله [ﷺ] يقول: الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً، كلَّما مات رجل أبدله الله مكانه رجلاً، يسقىٰ بهم الغيث وينتصر بهم علىٰ الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب»[٥].

---

١. راجع: مجمع البحرين - العلامة فخر الدين بن محمد الطريحي: ج٥، ص٣١٩؛ مفردات ألفاظ القرآن - العلامة الراغب الأصفهاني: مادة (بَدَلَ).

٢. مسند أحمد بن حنبل: ج٥، ص٣٢٢.

٣. الطبراني، المعجم الكبير: ج١٨، ص٦٥.

٤. م، ن، ص، ن.

٥. مسند أحمد بن حنبل: ج١، ص١١٢.

هـ - في حديثٍ يرسله أنس بن مالك: «الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة كلَّما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، وكلَّما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة»[١].

و - عن عطاء بن أبي رباح قال: قال رسول الله ﷺ: «الأبدال من الموالي»[٢].

٣ - الأبدال في الأحاديث والروايات الشيعية:

أ - لقد ذُكرت مفردة (الأبدال) في الأخبار والأحاديث الشريفة في مواضع مختلفة، لكن رغم اختلاف مواردها فقد جاءت كلها في مقام المدح والثناء، بحيث يظهر منها أنَّ الأبدال هم أناسٌ يمتازون عن غيرهم بالصلاح والدرجة الإيمانية العالية والرفيعة.

رُوِيَ عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنَّهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: مَنْ دَعا للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم خمساً وعشرينَ مرة، نَزَعَ اللهُ الغِلَّ من صدره، وكَتَبَه من الأبدال إن شاء الله»[٣].

٤ - مصاديق الأبدال في الروايات:

لدىٰ مراجعة الأحاديث والروايات الواردة فيما نحن بصدد بيانه، ودراستها نجد أنَّ مفردة (الأبدال) استُعملت في الروايات والأحاديث في المعاني التالية:

الأول: الأئمة المعصومون عليهم السلام أو خواص أصحابهم:

فقد رُوِيَ عن الخالد بن الهيثم الفارسي أنَّه قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إنَّ الناس يزعمون أنَّ في الأرض أبدالاً، فمن هؤلاء الأبدال؟

١. الديلمي، الفردوس: ج١، ص١١٩، ح٤٠٥.
٢. كنز العمال - المتقي الهندي: ج١٢، ص ٤١٧.
٣. الجعفريات - محمّد بن الأشعث الكوفي: ص٢٢٣، باب فضل الدعاء للمؤمنين والمؤمنات.

قال: «صدقوا، الأبدال الأوصياء، جعلهم الله عزّ وجلّ في الأرض بَدَلَ الأنبياء، إذ رفع الأنبياء وختمهم محمد صلى الله عليه وآله»[١].

يعلّق العلامة المجلسي بعد ذكره للرواية السابقة قائلاً: (ظاهر الدعاء المروي من أم داود عن الصادق عليه السلام في النصف من رجب - حيث قال -: «اللهم صلِّ علىٰ محمد وآل محمد، وارحم محمداً وآل محمد، وبارك علىٰ محمد وآل محمد، كما صليت ورحمت وباركت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم إنَّك حميد مجيد، اللهم صلِّ علىٰ الأوصياء والسعداء والشهداء وأئمة الهدىٰ، اللهم صلِّ علىٰ الأبدال والأوتاد والسياح والعباد والمخلصين والزهاد وأهل الجد والاجتهاد»، - إلىٰ آخر الدعاء - يدل علىٰ مغايرة الأبدال للأئمة عليهم السلام، لكن ليس بصريح فيها، فيمكن حمله علىٰ التأكيد.

ثم يضيف قائلاً: (ويحتمل أن يكون المراد به في الدعاء خواص أصحاب الأئمة عليهم السلام)[٢].

الثاني: أصحاب الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه:

فقد رَوىٰ طارق بن شهاب عن حذيفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا كان عند خروج القائم ينادي منادٍ من السماء أيها الناس قطع عنكم مدة الجبارين، وولي الأمر خير أُمَّة محمد، فالحقوا بمكة، فيخرج النجباء من مصر والأبدال من الشام وعصائب العراق رهبان بالليل ليوث بالنهار، كأن قلوبهم زبر الحديد، فيبايعونه بين الركن والمقام»[٣].

وَرُوِيَ عن جابر الجعفي أنَّه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف عدَّة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر،

١. بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج٢٧، ص٤٨.
٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام - محمّد باقر المجلسي: ج٢٧، ص٤٨.
٣. م،ن، بحار الأنوار: ج٥٢، ص٣٠٤.

والأبدال من أهل الشام والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء الله أن يقيم»[١].

النتيجة: رغم تضارب التطبيقات والأحاديث في موضوع الأبدال، عبر تطبيقها على أهل الشام خصوصاً، وهو ما يظهر أنّه من اختراعات الأمويين، أو دعوى كون الصوفيّة هم من أدخلوا هذا المصطلح، وفي ذلك يقول محمد رشيد رضا في مجلّة المنار: (إنَّ هذه الأحاديث باطلة رواية ودراية، سندا ومتنا، وإنما راجت في الأمة بعناية المتصوفة، وقد ذكرها الحافظ ابن الجوزي في الموضوعات وطعن فيها واحدا بعد واحد...)[٢].

إلَّا أنَّه في المصادر الشيعيّة يوجد تطبيقات لهذا المصلح بعيداً عن المنهجين المذكورين، فمن هنا يمكن القول بأنَّ أصحاب الإمام عجل الله فرجه وفقاً لهذه الروايات هم من أبرز المصاديق لهذا المصطلح الشائك في الورود والاستعمال.

ثالثاً: رجالٌ حول الإمام المهدي عجل الله فرجه:

السيّد الخراساني:

١ - اسمه ونسبه:

السيّد الخراساني أو الهاشمي، أو الحسني كما تعبّر عنه الروايات هو أحد الشخصيّات التي يُعَدُّ قيامها من علامات آخر الزمان، والتي يكون ظهورها في نفس السنة بل والشهر واليوم مع اليماني والسفياني.

وقد اختلفت الروايات في نسبه فبعضها يقول إنّه من أبناء الإمام الحسن عليه السلام والآخر أنَّه من أبناء الإمام الحسين عليه السلام، أمّا اسمه ونسبه التفصيلي فلم تشِر الروايات بصراحة إليه، نعم بعض الروايات أشارت إلى

١. م، ن، ج٥٢، ص٣٠٤.

٢. محمد رشيد رضا، مجلة المنار: ع٢٧، ص ٧٤٧ - ٧٥٤.

بعض العلائم والصفات الجسدية الموجودة في جسده كوجود خال في كفه اليمنىٰ[١].

٢ - حركته ودوره في الظهور:

الأحاديث التي بين أيدينا تربط حركة الخراساني بقائد جيشه شعيب بن صالح وتشير إلىٰ كون هاتين الشخصيتين من أصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه، وأنّهما يظهران في إيران قرب ظهوره ويشاركان في حركة ظهوره.

والظاهر من بعض الروايات أنَّ قوّات جيشهما لا تذهب إلىٰ المدينة المنوّرة أو الحجاز لمساعدة قوّات الإمام في تلك البقعة، بل تدخل إلىٰ العراق بإعلان ولائها وبيعتها للإمام المهدي عجل الله فرجه، ثمّ تحتشد القوّات في (بيضاء إصطخر)[٢]، حيث تحدّد روايتان مكان (بيضاء إصطخر) محلاً لتجمع قواته، وهي تعني منطقة بيضاء في إصطخر، إذا خرجت خيل السفياني إلىٰ الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود علىٰ مقدمته شعيب بن صالح. فيلتقي هو وأصحاب السفياني بباب إصطخر فيكون بينهم ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياني. فعند ذلك يتمنىٰ الناس المهدي ويطلبونه[٣].

أمّا الرواية الثانية: «يبث السفياني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد، فيبلغه فزعة من وراء النهر من أهل خراسان، فيقبل أهل المشرق عليهم قتلاً فإذا بلغه ذلك بعث جيشاً عظيماً إلىٰ إصطخر فيلتقي هو والمهدي

١. التشريف بالمنن في التعريف بالفتن المعروف بالملاحم والفتن - ابن طاووس: ط١، مؤسسة صاحب الأمر عجل الله فرجه، ١٤١٦هـ، ج١، ص١١٧.

٢. اصطخر مدينة قديمة في جنوب إيران في منطقة الأهواز، كانت عامرة في صدر الإسلام، وما زالت آثارها قرب مدينة (مسجد سليمان) النفطية.

٣. مخطوطة ابن حمّاد: ص٨٤.

والهاشمي ببيضاء إصطخر فيكون بينهما ملحمة عظيمة حتّىٰ تطأ الخيل الدماء إلىٰ أرساغها»[١].

وأنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه يتوجّه بعد تحريره الحجاز إلىٰ هذا المكان ويلتقي بأنصار الخراساني وجيشه، ويخوضون بقيادته معركة هناك ضد السفياني[٢].

علىٰ أنَّ في النفس شيء من هذا المعنىٰ لأنَّ الرواية وحيدة في بابها ومن مصادر غيرنا فضلاً عن ضعف سندها الظاهر.

من الروايات أيضاً التي تتحدّث عن حركة الخراساني أو الرايات السود، ما ورد في مخطوطة ابن حمّاد: (يدخل السفياني الكوفة فيسبيها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها ستين ألفا، ثم يمكث فيها ثمانية عشرة ليلة. وتقبل الرايات السود حتَّىٰ تنزل علىٰ الماء فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم فيهربون)[٣]، حيث يُستظهَر من هذه الرواية أنّ قوات الخراساني تتأخر عن دخول العراق، حيث ورد في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «حتَّىٰ يخرج عليهم الخراساني والسفياني يستبقان إلىٰ الكوفة كفرسي رهان، هذا من هنا وهذا من هنا»[٤].

كما أنَّ بعض المحققين يربطون حركته بالرايات السود التي تأتي من خراسان، أو من المشرق، وأنَّه هو قائد هذه الرايات[٥]، نعم بعضهم اعتبر أنَّ قائد تلك الحركة شخصٌ آخر باعتبار أنَّ الوارد فيها تسمية القائد بـ(رجلٍ من

---

١. م، ن، ص، ن.

٢. راجع عصر الظهور، الشيخ علي الكوراني، سازمان تبليغات الطبعة الثانية، ١٣٧٩، ترجمه عباس جلالي، من ص ٢٤٠ إلىٰ ص٢٤٤.

٣. مخطوطة ابن حمّاد: ص٨٤.

٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٥٢، ص٢٣٢.

٥. راجع عصر الظهور – علي الكوراني: سازمان تبليغات الطبعة الثانية، ١٣٧٩، ترجمه عباس جلالي، ص٢٤٧.

بني هاشم) أو (السيّد الهاشمي) أو (الحسني)، إلّا أنَّه لا مانع من كون كلّ تلك الألقاب والصفات راجعة إلىٰ شخص الخراساني.

إنَّ هذه الرايات السود أو الرايات الخراسانية سوف تلعب دوراً أساسيّاً في عملية قلب الموازين لمصلحة الإمام وجيشه، وهذا ما نلحظه في الروايات الواردة في مصادر الفريقين، ومنها رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم علىٰ عواتقهم، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتَّىٰ يقوموا، ولا يدفعونها إلّا إلىٰ صاحبكم (أي المهدي عجل الله فرجه) قتلاهم شهداء، أمّا إني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»[1].

اليماني:

١ – اسمه ونسبه:

اليمانيّ لقبٌ لرجلٍ يخرج في آخر الزمان ويعتبر خروجه هذا من العلائم الحتمية لظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، بل إنَّ الروايات تصرِّح بكون رايته أهدىٰ الرايات التي تسبق الظهور المبارك.

وقد شذ البعض بالقول إن المقصود من اليماني نسبةً إلىٰ اليُمْن أي البركة، وهو خلاف النصوص الكثيرة المعتبرة في كونه من اليمن أو أنَّها مشتقّة من (أصحاب اليمين).

١. إنَّ هذا الحديث موجود في المصادر السنية والشيعية – مع الاختلاف في بعض الزيادات والنقائص – ومن أقدم المصادر السنية التي روته أو روت قسماً منه ابن ماجة في سننه: ٢/ ٥١٨ و٢٦٩، والحاكم: ٤/ ٤٦٤ و٥٥٣، وابن حماد في مخطوطته الفتن ص ٨٤ و٨٥، وابن أبي شيبة في مصنفه: ١٥/ ٢٣٥، والدارمي في سننه ص ٩٣، ثم رواه عنهم أكثر المتأخرين.
أمّا في المصادر الشيعية فنجده السيّد ابن طاووس في الملاحم والفتن: ص ٣ و١١٧، ورواه المجلسي في البحار، ٥١/ ٨٣ عن أربعين الحافظ أبي نعيم، الحديث ٢٧ في مجيئه – أي المهدي عجل الله فرجه – من قبل المشرق. وروىٰ شبيهاً به في: ٥٢/ ٢٤٣.

إلّا أنَّ الأرجح أنَّها نسبةٌ إلىٰ اليَمَن خاصة مع ورود الأخبار بخروج اليماني من اليمن، وهو نص في تعيين موضع خروج اليماني.

ففي حديث طويل عن محمد بن مسلم، قال: دخلت علىٰ أبي جعفر الباقر عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم من آل محمد عليه السلام فقال لي مبتدئاً: «يا محمد بن مسلم إنَّ في القائم من آل محمد شبهاً من الخمسة الرسل... - إلىٰ أن يقول: - وإنَّ من علامات خروجه خروج السفياني من الشام وخروج اليماني من اليمن وصيحة من السماء في شهر رمضان ومنادٍ ينادي من السماء باسمه واسم أبيه...» الحديث[١].

بالنسبة لاسم اليماني فلم تحدّده الروايات، نعم في بعضها غير الوارد عن أهل البيت عليهم السلام الترديد في كونه حسناً أو حسيناً، وكذلك نسبه فهو غير مصرَّحٍ به في الروايات بشكلٍ واضحٍ وصريح، وما نجده في الروايات هو بعض الصفات العامّة له كوصفه بكونه موالياً للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أو أنَّه يدعو إلىٰ الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، أو وصفه بكونه صاحب راية هدىٰ، وكونه من أهل الحقّ ومن اليمن[٢].

٢ - زمان ظهوره ودوره في عملية الظهور:

إنَّ المتأمّل في الروايات الواردة في شأن اليماني يجد أنَّها لا تحدِّد بشكلٍ دقيق بالسنة والشهر زمان ظهوره والبدء بحركته، وكلُّ ما أفادته كونه سيظهر في زمن ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه وفي السنة والشهر واليوم الذي سيظهر فيها الخراساني والسفياني، وعبّرت عنها بأنَّها تتوالىٰ كنظام الخرز، ففي الرواية: في حديثٍ طويل، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال: «خروج السفياني واليماني

١. كمال الدين وتمام النعمة - محمد بن علي بن الحسين الصدوق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة: ١٤٠٥هـ، ج١، ص٣٢٧.

٢. راجع م، ن، ج١ ص٣٢٨، باب ٣٢.

والخراساني في سنةٍ واحدةٍ، في شهرٍ واحد، في يومٍ واحد، نِظَامٌ كنظام الخَرَزِ يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كل وجه، ويلٌ لمن نَاواهم، وليس في الرايات رايةٌ أهدىٰ من راية اليماني، هي راية هدىٰ لأنَّه يدعو إلىٰ صاحبكم، فإذا خرج اليماني حُرّم بيع السلاح علىٰ النّاس وكل مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه فإنَّ رايته راية هدىٰ، ولا يحِلُّ لمسلمٍ أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنَّه يدعو إلىٰ الحقّ وإلىٰ طريق مستقيم»[1].

٣ - لماذا رايته أهدىٰ الرايات؟

تشير الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام إلىٰ أنَّ راية اليماني هي أهدىٰ الرايات، بل أهدىٰ من راية الخراساني نفسه ومن راياته السود مع ما مرّ من الأوصاف الهامّة لأصحابها وكونها موصوفة بأنَّها راية هدىٰ، وبأنَّ قتلاهم شهداء، ومع أنَّ معه من يكونون من قيادات جيش الإمام المهدي عجل الله فرجه وخاصّة أصحابه كشعيب بن صالح.

وللإجابة عن هذا التساؤل ذكر المحقِّقون عدّة أجوبة منها:

أ - أن يكون السبب في ذلك أنَّ الأسلوب الإداري الذي يستعمله اليماني في قيادته السياسية وإدارة اليمن أصح وأقرب إلىٰ النمط الإداري الإسلامي في بساطته وحسمه، بينما لا تخلو دولة الإيرانيين من تعقيد الروتين وشوائبه، فيرجع الفرق بين التجربتين إلىٰ طبيعة البساطة والقبيلة في المجتمع اليماني، وطبيعة الوراثة الحضارية والتركيب في المجتمع الإيراني.

ب - أن تكون ثورة اليماني أهدىٰ بسبب سياسته الحاسمة مع جهازه التنفيذي، سواء في اختياره من النوعيات المخلصة المطيعة فقط ومحاسبته الدائمة والشديدة لهم، وهي السياسة التي يأمر الإسلام ولي الأمر أن يتبعها

١. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ط١، تحقيق: فارس حسون كريم، منشورات أنوار الهدىٰ - إيران - قم، ١٤٢٢هـ، ص٢٦٤، باب ١٤، ح١٣.

مع عماله كما في عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ عامله في مصر مالك الأشتر (رضوان الله عليه)[١].

إلّا أنَّ أبرز احتمالين في المقام:

أ - أنَّ راية اليماني رايةٌ خالصةٌ بولائها للإمام عجل الله فرجه، وأنَّ اليماني وأصحابه يرون وجوب نصرة الإمام تكليفاً خالصاً لا يشوبه شيء، أي الولاء الكامل والطاعة التامة للإمام عجل الله فرجه من قبل اليماني وجيشه، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرىٰ فإنَّ عقيدة اليماني الاثني عشرية وأصحابه الميامين تؤهلهم إلىٰ أن تكون رايتهم أهدىٰ الرايات، في حين سيكون الجيش الخراساني ذا تركيبة لخليطٍ سياسي متنوع تحمل معها توجهاتٍ سياسيةٍ مختلفة، وأكثرها خطراً هو ذلك التوجه الزيدي الذي يرىٰ في الخراساني أنَّه إمام مفترض الطاعة، وكون كل من قام بالسيف وتصدىٰ فهو الإمام المفترض الطاعة.

وتكون نصرتهم للخراساني بهذا الداعي البعيد عن نصرة الإمام وتأييده، معتقدين أنَّ خروجهم مع الخراساني هو لهذا الداعي وليس لغيره، لذا ورد أنَّ هؤلاء الخليط من الجيش الخراساني سيعارضون الإمام عجل الله فرجه ويعترضون عليه وهم الزيدية كما ورد في بعض الروايات.

ورد في نص رواية أبي عبد الله عليه السلام إلىٰ أن قال في حال الخراساني الحسني: «ويبايعه - أي المهدي عجل الله فرجه - سائر العسكر الذي مع الحسني إلّا أربعين ألفاً أصحاب المصاحف المعروفين بالزيدية فإنهم يقولون: ما هذا إلّا سحر عظيم، فيختلط العسكر فيقبل المهدي عليه السلام علىٰ الطائفة المنحرفة فيعظهم ويدعوهم ثلاثة أيام، فلا يزدادون إلّا طغياناً وكفراً، فيأمر بقتلهم فيقتلون جميعاً ثمّ يقول لأصحابه: لا تأخذوا المصاحف ودعوها تكون عليهم حسرة كما بدلوها وغيروها وحرّفوها ولم يعملوا بما فيها»[٢].

١. راجع عصر الظهور: م، س، ص١٤٣.

٢. بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج٥٣، ص١٦.

إلّا أن هذه الرواية مضافاً إلىٰ ضعف سندها فدلالتها ضعيفة بما هو ظاهر.

النفس الزكية:

١ – من هو ذو النفس الزكية وما هو نسبه؟

أ – إنّ المتأمّل في المصادر التاريخية يجد أنَّ مصطلح النفس الزكية يُطلَق علىٰ ثلاث شخصيّات:

الأولىٰ: قتيل منطقة تسمّىٰ بأحجار الزيت في المدينة المنوّرة وهو محمد بن عبد الله بن الحسن الذي ثار علىٰ الدولة العبّاسية وقد قُتل في عهد المنصور العباسي.

الثانية: هي التي تقتل ذبحاً في الحرم المكي بين الركن والمقام، حين الإعلان بظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه.

الشخصية الثالثة: هي التي تُقتل في ظهر الكوفة (النجف) مع سبعين آخرين، قبل الإعلان بظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه.

الشخصية الثانية هي المرتبطة بالإمام وبعملية ظهوره المبارك حيث تحدَّثت الروايات الواردة في علائم الظهور عن خمس علامات من بين مجموعة العلامات بنحوٍ خاصٍّ ومستقلٍّ، ومن خلال التركيز علىٰ حتميتها أكثر من غيرها.

وقتل النفس الزكية من جملة هذه العلامات الخمسة، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام، في حديث معتبر: «خَمْسُ عَلَامَاتٍ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ، الصَّيْحَةُ وَالسُّفْيَانِيُّ وَالخَسْفُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيةِ وَالْيَمَانِي»[1].

١. أصول الكافي – محمد بن يعقوب الكليني: دار التعارف للمطبوعات، ج١، ص٢٤٥، ح٤٨٣.

والمفهوم من الروايات أنَّه شخص بريءٌ يقتَل في زمان ومكان خاصّين، منها ما رواه الطوسي في الغيبة: «النفس الزكية غلام من آل محمّد اسمه محمّد بن الحسن يُقتَل بلا جرم ولا ذنب...»[١].

أمّا اسمه فقد جاء في بعض الأحاديث أنَّ اسمه محمَّد، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في رواية أنَّه قال: «اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ»، عن محمّد بن مسلم الثقفي، قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السلام يقول: «القائم منّا منصور بالرعب، مؤيّد بالنصر تُطوىٰ له الأرض وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عزّ وجلّ به دينه علىٰ الدين كلّه ولو كره المشركون، فلا يبقىٰ في الأرض خراب إلَّا قد عمّر، وينزل روح الله عيسىٰ بن مريم عليه السلام فيصلّي خلفه، قال: قلت [في بعض النسخ: (خلفه، فقلت)]: يا بن رسول الله متىٰ يخرج قائمكم؟ قال: إذا تشبَّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال،... وقتل غلام من آل محمّد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام، اسمه محمّد بن الحسن النفس الزكية»[٢].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «وَقَتْلُ غُلَامٍ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمَقَامِ، اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ النَّفْسُ الزَّكِيَّة»[٣].

ب - نسبه:

حسب ما تصرّح به الروايات الواردة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام أنَّ النفس الزكية يعود بالنسب إلىٰ قريش وتحديداً إلىٰ رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وأنّه من عقب الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام - علىٰ نسخة - كما تشير الروايات، اسمه:

---

١. الغيبة - محمد بن الحسن الطوسي: م، س، ص٤٨٤.

٢. م، ن: ص٤٦٤.

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه - علي الكوراني: ص٤٩٣، الرواية ١٠٦٣، ط١، انتشارات مؤسَّسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ، قم؛ نقلاً عن مختصر إثبات الرجعة: الرواية ١٨.

محمّد بن الحسن، يقتل بلا جرم ولا ذنب، فإذا قتلوه لم يبق لهم في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، فعند ذلك يبعث الله قائم آل محمّد»[١].

٢ - زمان ومكان ظهوره، وسبب استشهاده:

أ - تفيد الروايات أنَّ مكان ظهور النفس الزكية هو مكّة المكرَّمة، أمّا الزمان فتحدِّده الروايات بأنَّه سيسبق ظهور الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه بخمس عشرة ليلة، فرُوي عن أبي عبد الله عليه السلام: «ليس بين قيام القائم وبين قتل النّفس الزكية إلّا خمس عشرة ليلة»[٢].

ب - سبب استشهاده:

تشير الروايات إلىٰ استشهاد النفس الزكية في الحرم المكّي، وبالتحديد بين ركن الكعبة ومقام إبراهيم عليه السلام، وأنَّه سوف يستشهد ذبحاً في بيت الله الحرام - ومن المرجَّح أنَّ الجهة القاتلة هي التي بيدها السلطة في الكعبة في وقت الظهور - والسبب في ذلك هو أداؤه لدوره في الحركة المهدوية وهو أن يكون رسولاً للإمام المهدي عجل الله فرجه لأهل مكّة وكل المسلمين عبر قراءته لبيان إعلان ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، بحيث تقول الرواية: عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام في حديثٍ طويلٍ:

«... يقول القائم لأصحابه: يا قوم إنَّ أهل مكّة لا يريدونني، ولكنّي مرسِل إليهم لأحتجَّ عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتجَّ عليهم، فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له: امض إلىٰ أهل مكّة فقل: يا أهل مكّة، أنا رسول فلان إليكم، وهو يقول لكم: إنّا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمّد وسلالة النبيِّين، وإنّا قد ظُلمنا واضطُهدنا وقُهرنا، ابتُزَّ منّا

١. الغيبة، الشيخ الطوسي، ص٢٧١.

٢. الغيبة للطوسي: م، ن، ص٤٤٥، باب علائم ظهور الحجة، حديث رقم ٤٤٠.

حقّنا منذ قُبِضَ نبيُّنا إلىٰ يومنا هذا، ونحن نستنصركم فانصرونا، فإذا تكلَّم هذا الفتىٰ بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية، فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه: ألَا أخبرتكم أنَّ أهل مكّة لا يريدوننا...»[١].

شعيب بن صالح:

١ - اسمه ونسبه:

الظاهر من التأمّل في الروايات أنَّ شعيباً بن صالح قد يكون المعني به رجلٌ من عرب إيران أو من بني تميم وهو يقود جيش الخراساني حال اقتحامه العراق لإنقاذ شيعة العراق من بطش السفياني، وقد ذكرت له الروايات بعض المواصفات الجسدية ككونه كوسج أي أكوس اللحية، وكذلك ورد في نفس الموضع أنَّه رجل ربعة أسمر مولىٰ لبني تميم، خفيف شعر اللحية وكذلك أنَّه شاب قوي أصفر الوجه[٢].

٢ - دوره في عملية الظهور:

تفيد الروايات أنَّ دور شعيب بن صالح يبدأ بعد أن يبلغ السفياني الكوفة ويقتل فيها مقتلةً عظيمةً بحيث يخرج كقائد من قادة جيش الخراساني من خراسان علىٰ رأس خمسة آلاف، راياتهم سود وثيابهم بيض، فتلتقي الرايات السود بالسفياني بباب اصطخر، فيكون بينهم ملحمة عظيمة، ويهرب حينها خيل السفياني[٣].

ولكنها رواية من مصادر غيرنا وضعيفة.

---

١. بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي: م، س، ج٥٢، ص٣٠٧، الرواية٨١.
٢. الملاحم والفتن: م، س، ب٩٨، ص٥٣ و٥٤.
٣. م، ن: ج١، ص١١٥.

الخاتمة:

١ - لا شكّ أنَّ القضية المهدوية بكلّ متعلّقاتها - سواء لجهة المفاهيم المرتبطة بها أو ما يتعلّق بنفس الإمام، وولادته وحياته، ووجوده وغيبته بالإضافة إلىٰ حركته ومرتكزاتها، وأنصارها، وأعدائها - هي من القضايا الجديرة بالبحث العلمي وتسجيل الإضاءات المعرفية حولها لما لها من دورٍ في تحديد مستقبل البشرية المتعبة وخلاصها وهمومها وآلامها وآمالها، فقد أناط الله بالإمام عليه السلام أعظم مهمّة وهي أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً، وقد سلَّطتُ الضوء في هذه المقالة علىٰ هذه الشخصيّات الأربعة وبيّنت أهمّ معالمها، وهذا لا يُلغي ضرورة البحث في كلّ القضايا التي أشرت إليها والتأسيس المفاهيمي العميق والدقيق لها.

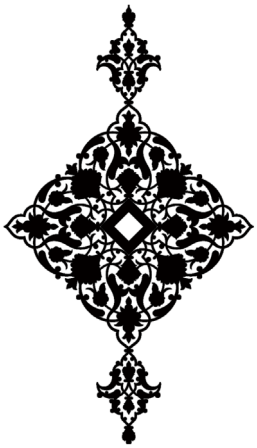

المعود
ALMAUOOD

فتن آخر الزمان وأساليب المواجهة
(فتنة السفياني أنموذجاً)

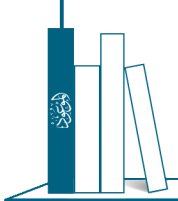

علاء عبد علي مخيط السعيدي

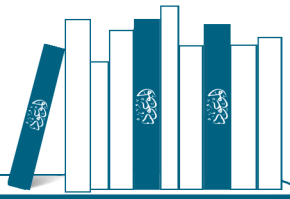

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين علىٰ عظيم مننه، وسوابغ آلائه، وأفضل الصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للأنام البشير النذير والسراج المنير محمّد بن عبد الله، وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين، الذين جعل الله تعالىٰ شأنه التمسك بهم أماناً من الضلالة، ونجاة من الهلكة.

خلق الله سبحانه عالم الوجود بموجب نظام دقيق، وقوانين صارمة يسير علىٰ وفقها، ووضع لحياة الإنسان في الدنيا سُنناً ونواميس محكمة تتَّسم بالاطِّراد في جميع الأزمنة، يقول تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ (الفتح: ٢٣)، وتتَّسم أيضاً بالشمول لعامة الأُمم، يقول سبحانه: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ (الأحزاب: ٦٢)، كما تتَّسم بالثبات وعدم التغيُّر والتخلُّف، يقول تعالىٰ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾ (فاطر: ٤٣).

ومن السُنن الإلهية المطردة في حياة الإنسان سُنَّة الابتلاء والامتحان والاختبار بالفتن المتعددة، يقول تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا

آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢)، وذلك بغرض تمييز المؤمنين الصادقين من الأدعياء الكاذبين، يقول سبحانه: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٣).

إنَّ هذه الفتن تختلف في طبيعتها وشدة تأثيرها على الناس عموماً، والمؤمنين على نحو الخصوص، فمنها عام يشمل أكثر الدول وأغلب الأُمم، ومنها خاص يقتصر تأثيره على بعض البلدان والشعوب.

ومن أشد الفتن الخاصة وأعظمها خطراً على المؤمنين في آخر الزمان فتنة السفياني الذي يسبق خروجه ظهور القائم بفترة غير طويلة، لما سيترتَّب عليه من افتتان كثير من المسلمين به، بل وحتَّى بعض ضعيفي العقيدة من المؤمنين.

وإنَّ تجنب الوقوع في شراك فتنة السفياني يتطلَّب تحلّي المؤمنين بالوعي والبصيرة للتمكُّن من تجاوز ظاهر ما يواجهونه، والرؤية النافذة لواقع حركته، بنحو يحول دون خطئهم في تشخيص ضلال وانحراف هذه الحركة، حتَّى وإنْ تمَّت تغطيتها بغلاف من الخير والصلاح يموِّه على الناس حقيقتها، ويمنع فاقدي البصيرة من رؤية واقعها، إذ سيرىٰ ذووا البصيرة من المؤمنين ما تضمره حركته من الباطل رغم محاولات ستره بغشاوة من الحق، الأمر الذي سيعصمهم من التورط بالدخول فيها.

وتجدر الإشارة - هنا - إلىٰ عدم تعرُّض البحث إلىٰ التقييم السندي للروايات الواردة فيه؛ وذلك لسببين:

الأوَّل: أنَّه تقرَّر في علم الأصول أنَّ معنىٰ حجية الخبر الظني هو التعبد بمضمونه مع غض النظر عن احتمال عدم مطابقته للواقع، وهذا إنَّما يأتي في روايات الأحكام، والروايات الواردة في البحث ليست من هذا القبيل.

الآخر: أنَّه يمكن القول باعتبار عددٍ غير قليلٍ من الروايات المرتبطة بموضوع الفتن بناءً علىٰ حجية الخبر الموثوق الصدور، لتوفرها علىٰ القرائن المفيدة للوثوق بالصدور، وإن كانت ضعيفةً بناءً علىٰ حجية خبر الثقة.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل.

تمهيد: الفتنة: مفهومها، سُنَنيَّتها، أنواعها:

أوَّلاً: مفهوم الفتنة:

الفتنة في اللغة، مصدر من فَتَنَ، وتُجمع علىٰ: فِتَن وفِتْنات.

قال الأزهري: جُماع معنىٰ الفتنة في كلام العرب: الابتلاء، والامتحان. وأصلها مأخوذ من قولك: فَتنتُ الفضة والذهب، أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد، ومن هذا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (الذاريات: ١٣)، أي: يحرقون بالنار[١].

وعليه فمفهوم الفتنة يُعبر عن الامتحان أو الاختبار الشديد الذي يتعرض له الإنسان، وقد يتسبب في إضلاله، وصرفه عن الحق إلىٰ الباطل.

ثانياً: الفتنة سُنَّة إلهية:

من سُنن الله تعالىٰ الجارية علىٰ الإنسان في حياته الدنيا التي لا تقبل التغيير أو التبديل سُنَّة الابتلاء والاختبار، ويؤكد القرآن الكريم أن ذلك واقع في هذه الأمة كما وقع في الأُمم السابقة، يقول تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٢-٣)، إذ تدل الآية صراحة إلىٰ أن سُنَّة الله تعالىٰ جرت بابتلاء المؤمنين واختبارهم من أجل تمييز الصادقين عن مدعي الإيمان.

---

١. تهذيب اللغة: ١٤/ ٢٩٦ - ٢٩٧.

ثالثاً: أنواع الفتن:

ثمة نوعان من الفتن التي يواجهها المؤمن في حياته، هما:

الأولىٰ: فتنة الشهوات، وهي الابتلاء بما يميل إليه طبع الإنسان من الشهوات المادية، والتي تتمثل في جمع الأموال، ومعاشرة النساء، والاستكثار من الأولاد، والتسلط علىٰ الآخرين، وغير ذلك، قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (آل عمران: ١٤)، ويؤدِّي اتِّباع المؤمن للشهوات المادية – من دون تحديدها بالشرعي منها – إلىٰ خروجه عن خط الإيمان إلىٰ الفسق، الأمر الذي قد يستلزم حصول اختلال في عقيدته.

الأخرىٰ: فتنة الشبهات، وهي الابتلاء بمواجهة الإنسان حركات وتيارات يختلط فيها الحق بالباطل بنحوٍ يصعب عليه التمييز بينهما، نتيجة ضعف عقيدته، وعمه بصيرته، وخاصة إذا ترافقت مع هوىٰ النفس، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لأَنَّهَا تُشْبِهُ الحَقَّ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ الله فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا اليَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الهُدَىٰ، وَأَمَّا أَعْدَاءُ الله فَدُعَاؤُهُمُ الضَّلالُ، وَدَلِيلُهُمُ العَمَىٰ»[1]، وتكمن خطورة وقوع المؤمن في هذه الفتنة أنها تتسبب في حصول انحراف في عقيدته، فيسير في سبل الضلال والباطل.

والمراد من الفتنة في هذا البحث النوع الثاني، وهي فتنة الشبهات.

الغفلة عن بداية الفتنة:

إنَّ من أخطر ما تتميز به فتنة الشبهات أنها تبدأ من غير أن يلتفت الناس إليها، إذ لا يرون فيما يجري أنَّه فتنة يتوجَّب عليهم الحذر من الوقوع فيها، بل يرون أنَّها حدث عابر كغيره يحصل في فترة من الزمن وينتهي، وأنَّ موقفهم

١. نهج البلاغة: خ٣٨: ٨١.

منه هو يقتضيه العقل السليم، فينزلقون شيئاً فشيئاً إليها، فلا يشعرون إلّا وقد أصبحوا في وسط الفتنة، تتقاذفهم أمواجها إلىٰ حيث يريد مثيروها.

وقد أوضح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ كثيراً من الناس يغفلون عند بداية قيام الفتنة، فإذا هدأ غبارها وانطفأت نارها التفتوا إليها، إذ قال عليه السلام: «إِنَّ الفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ، يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحْمِنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً، وَيُخْطِئْنَ بَلَداً»[1].

المطلب الأول: الأساليب العامة لمواجهة الفتنة:

يمكن تلخيص أهم الأساليب العامة لمواجهة الفتنة في الآتي:

أوّلاً: الصبر وعدم الانجرار إلىٰ مزالق الفتنة:

إنَّ علىٰ المؤمن أن لا يتسرَّع في اتِّخاذ الموقف عند بداية نشوب الفتنة، وأن يستعين بالصبر حتَّىٰ تُسفر له عن حقيقتها، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «كُنْ فِي الفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ، لَا ظَهْرٍ فَيُرْكَبَ، ولَا ضَرْعٍ فَيُحْلَبَ»[2]، أي إنَّه يجب علىٰ المؤمن أن يكون في ظرف الفتنة كصغير الناقة الذي لا يتجاوز عمره السنتين، لا يصلح للركوب عليه، ولا لأخذ اللبن منه، إذ لا طاقة له علىٰ حمل راكبه، كما أنه لم يصل إلىٰ سن البلوغ فيدر ضرعه اللبن.

ثانياً: اتِّباع القيادة الرشيدة:

يمكن أن يؤدّي عدم اتِّباع المؤمن للقيادة المؤهلة لتولي أمور الأُمَّة في ظرف الفتنة إلىٰ سقوطه فيها، فمع وجود قيادة رشيدة فهي من تقع علىٰ عاتقها مسؤولية تشخيص المسار الصحيح في ظروف الفتنة، وهذا ما يعود بالمصلحة علىٰ الأُمَّة، إذ يُجنبها الفشل في الاختبار، والوقوع في مزالق الفتن.

---

١. نهج البلاغة: خ٩٣: ١٣٧.

٢. نهج البلاغة: ك١: ٤٦٩.

وبخلاف ذلك ما لو تصدي أشخاص غير مؤهلين لقيادة الأُمَّة فإنَّه سينجم عنه وقوع الأُمَّة في فتن مختلفة بما يؤدي إلىٰ ضياع البلاد، وانحراف العباد.

فقد ذهب الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ كربلاء وليس معه إلَّا اثنان وسبعون شخصاً من أهل بيته وأصحابه ليواجه الآلاف من جيش الأعداء، ومع أن ظاهر الأمر يقتضي عدم الإقدام علىٰ مثل هذه المواجهة، لوضوح أن النتيجة الحتمية هي خسارة هذه المعركة، ولكن عند وجود قائد يُقدِر أن النتائج البعيدة التي ستترتب علىٰ المواجهة ستكون أكثر أهمية من التضحيات التي سيقدمها، وأن ذلك سيحفظ مستقبل الدين والأمة، ولدىٰ هذا القائد المقدرة علىٰ تحمل مسؤولية هذا الأمر، وعنده الاستعداد لتقديم كل ما تتطلَّبه المعركة من تضحيات جسيمة، فإن اتِّباع المؤمنين لهذا القائد سيحول دون وقوعهم في الفتنة، ويمنع فشلهم في الاختبار، وهو ما حصل بالفعل في كربلاء، فقد حُفِظ الدين بفضل تضحيات الإمام الحسين عليه السلام والثلة الطيبة من أهل بيته وأصحابه الذين اتبعوا قيادته للمعركة فأدركوا معه الفتح.

ثالثاً: استعمال القوة في مواجهة الفتنة:

يتطلَّب الوقوف بوجه الفتنة في بعض الأحيان اللجوء إلىٰ القوة، لدرء خطرها عن عامة المؤمنين، وهذا ما أشار قوله تعالىٰ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣)، وغيره مما فيه دلالة علىٰ وجوب الوقوف بوجه الفتنة، وعدم السكوت عنها، والسماح بوقوع عامة الناس فيها، لأن الضرر المترتِّب عليها أعظم من الضرر المترتِّب علىٰ القتال، وجاء في خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن فتنة اتِّباع الجمل: «فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ

مُحَمَّدٌ ﷺ، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ القِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ العِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ»[١]، ولهذا واجه أمير المؤمنين عليه السلام رؤوس الفتنة في زمانه بحزم شديد، ولم يتوان عن مقاتلتهم.

وسيأتي في المطلب الثالث التعرض إلىٰ أساليب أخرىٰ لمواجهة الفتنة.

المطلب الثاني: فتن آخر الزمان، وعوامل الوقوع فيها:

أولاً: كثرة الفتن في آخر الزمان:

تواجه الأُمَّة عامة والمؤمنون خاصة الكثير من الفتن كلما اقتربنا أكثر من عصر ظهور الإمام صاحب الأمر عجل الله فرجه، والتي تؤدي إلىٰ غربلة مدَّعي الالتزام بطريق الحق، وتمييز المؤمنين الصادقين المتمسكين بما جاء به أئمة الهدىٰ من آل محمد عليهم السلام، عن سواهم ممن يدَّعون التمسك بهديهم، وهذا ما أكدت عليه الكثير من الروايات، منها:

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «أَمَا وَاللهِ لاَ يَكُونُ الَّذِي تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّىٰ تُمَيَّزُوا أَوْ تُمَحَّصُوا حَتَّىٰ لاَ يَبْقَىٰ مِنْكُمْ إِلاَّ الأَنْدَرُ، ثم تلت: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]»[٢].

وعن محمد بن منصور الصيقل، عن أبيه، قال: كنت أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً وأبو عبد الله عليه السلام يسمع كلامنا، فقال لنا: «في أيِّ شيءٍ أَنْتُمْ؟ هَيْهَاتَ هيْهَاتَ، لا واللهِ لا يكونُ ما تَمُدُّونَ إليهِ أعْيُنَكُمْ حتَّىٰ تُغَرْبَلُوا، لا واللهِ لا يَكونُ ما تَمُدُّونَ إليهِ أعْيُنَكُمْ حتَّىٰ تُمَحَّصُوا، لا واللهِ

١. نهج البلاغة: خ٥٤: ٩١.

٢. غيبة الطوسي: ١/ ٣٣٦ - ٣٣٧ (٢٨٣).

لا يَكونُ ما تَمُدُّونَ إليهِ أعْيُنَكُمْ حتَّىٰ تُمَيَّزوا، لا واللهِ ما يكونُ ما تَمُدُّونَ إليهِ أعْيُنَكُم إلَّا بعْدَ إياسٍ، لا واللهِ لا يكونُ ما تَمُدُّونَ إليهِ أعيُنَكُمْ حتَّىٰ يَشْقىٰ مَنْ يَشْقىٰ، ويَسْعَدَ مَنْ يَسْعَدُ»[١].

قوله: «حتَّىٰ يشقىٰ مَنْ يشقىٰ» يعني أنَّ الغاية من الغربلة والتمحيص والتمييز هي أن يقاسي الشقاء مَنْ علم الله أن مآله بسوء اختياره هو الشقاء، فيسقط في الفتنة، و«يسعد مَنْ يسعد» وينعم بالسعادة مَنْ علم الله أن خاتمة أمره بحسن اختياره هي السعادة، فينجو من الفتنة.

وعن مهزم بن أبي بردة الأسدي، وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «وَاللهِ لَتُكَسَّرُنَّ تَكَسُّرَ الزُّجَاجِ، وَإِنَّ الزُّجَاجَ لَيُعَادُ فَيَعُودُ كَمَا كَانَ، وَاللهِ لَتُكَسَّرُنَّ تَكَسُّرَ الفَخَّارِ، فَإِنَّ الفَخَّارَ لَيَتَكَسَّرُ فَلَا يَعُودُ كَمَا كَانَ، وَوَاللهِ لَتُغَرْبَلُنَّ، وَوَاللهِ لَتُمَيَّزُنَّ، وَوَاللهِ لَتُمَحَّصُنَّ حَتَّىٰ لا يَبْقَىٰ مِنْكُمْ إِلَّا الأَقَلُّ»، وَصَعَّرَ كَفَّهُ[٢].

قوله: «لتكسرن تكسر الفخار» يدل على أن مَنْ يفشل في الابتلاء من المؤمنين، سيسقط في الفتنة وقد لا يمكنه تدارك الأمر، والعودة إلىٰ سبيل الحق والهداية، وفي هذا تعبير عن مدىٰ خطورة الوقوع الفتنة. و(صَعَّرَ كفه) أي: صَغَّرَها، في إشارة إلىٰ قلّة مَنْ يبقىٰ علىٰ الحق بعد الغربلة والتمييز والتمحيص.

ثانياً: عوامل الوقوع في فتن آخر الزمان:

من الواضح أن الفتن الواقعة في هذه المرحلة تختلف عن سواها في أنها لا تقتصر علىٰ عامة أفراد الأُمَّة، بل تشمل حتَّىٰ خاصة المؤمنين، إذ سيعمل أعداء الأمة علىٰ استغلال بعض العوامل للتسبب في فتنتهم بما يؤدي إلىٰ اختلال عقيدتهم، ولعل من أهمها:

١. غيبة النعماني: ١/ ٢١٥.

٢. غيبة النعماني: ١/ ٢١٣.

(١) استعجال المؤمنين تحقق الفرج بظهور صاحب الأمر عليه السلام، والغفلة عن تقدير الله تعالىٰ للأمور، وأن الظهور لا يتحقق إلّا حين يريد الله سبحانه تحققه.

وقد وردت الإشارة إلىٰ هذا المعنىٰ في كثيرٍ من أحاديث أهل البيت عليهم السلام:

فعن أبي المرهف قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «هَلَكَتِ الْمَحَاضِيرُ»، قُلْتُ: وما المَحَاضِير؟ قَالَ: «الْمُسْتَعْجِلُونَ، وَنَجَا الْمُقَرِّبُونَ، وَثَبَتَ الْحِصْنُ عَلَىٰ أَوْتَادِهَا. كُونُوا أَحْلاَسَ بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ الغَبْرَةَ [خ: الفِتْنَةَ] عَلَىٰ مَنْ أَثَارَهَا، وَإِنَّهُمْ لاَ يُرِيدُونَكُمْ بِحَاجَةٍ [خ: بجائِحَةٍ] إِلاَّ أَتَاهُمُ اللهُ بِشَاغِلٍ لِأَمْرٍ يَعْرِضُ لَهُمْ»[١].

قوله: «المحاضير» جمع المُحَضير، وهو المتعجل، والمراد: المستعجلون للظهور. و«المُقَرِّبون» بكسر الراء المشددة، الذين يقولون إن الفرج قريب، تصديقاً منهم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ (المعارج: ٦-٧)، بل ويعملون علىٰ تقريب الفرج عن طريق السعي إلىٰ توفير ما يتعلق بهم من شروط الظهور. و«ثبت الحصن علىٰ أوتادها» يحتمل أن المراد منه: استقرت دولة المخالفين علىٰ أسسها التي قامت عليها، فلا تزول إلّا حين تنقضي أيامها التي قدَّرها الله تعالىٰ بحكمته، يشهد لذلك ما روي عن حماد بن عمرو وأنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: «يا علي، إن إزالة الجبال الرواسي أهون من إزالة مُلكٍ لم تنقض أيامه»[٢].

وقوله: «كونوا أحلاس بيوتكم» أي: الزموا بيوتكم لا تفارقوها، من قولهم: حَلِسَ بالمكان حَلساً: لزمه. والمراد: عدم الانجرار إلىٰ الفتنة بما يتسبب في الفشل في الابتلاء، والخروج عن سبيل الهدىٰ إلىٰ الضلال. و(الغبرة أو الفتنة

١. غيبة النعماني: ١/ ٢٠١.
٢. وسائل الشيعة: ١٥/ ٥٣.

على من أثارها) إن ضرر الفتنة يعود على مَنْ يُثيرها بشكل أكبر من تضرر غيره بها، كما أن مثير الغبار يتضرر به أكثر من غيره. و(لا يريدونكم بحاجة أو بجائحة إلّا أتاهم الله بشاغل) يدل على أنه كلما عقد أعداء المؤمنين العزم، ودبروا أمراً من أجل القضاء عليهم واستئصالهم، أوجد الله تعالىٰ بقدرته سبباً ينشغل به هؤلاء الأعداء عنكم، فلا يتم لهم ما أرادوا ودبروا في مصداق لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج: ٣٨).

وعن عبد الرحمن بن كثير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، إذ دخل عليه مهزم، فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظر، متىٰ هو؟ فقال: «يَا مهزمُ، كَذَبَ الوَقَّاتُونَ، وَهَلَكَ الْمُسْتَعْجِلُونَ، وَنَجَا الْمُسَلِّمُونَ»[1].

قوله: (الوقاتون) هم الذين يحددون وقتاً معيناً لظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، و(المستعجلون) هم المتعجلون لظهوره الشريف قبل الوقت الذي عينه الله تعالىٰ لذلك، و(المُسَلِّمون) هم الذين سلّموا لأمر الله تعالىٰ فيما يُقدِّره من تحقق الفرج في الوقت الذي يريده سبحانه.

(٢) **انتشار دعوات الإصلاح المزيفة**، سيتَّخذ أعداء الأُمَّة من شعارات الإصلاح مدخلاً لإيقاع المؤمنين في ضلالات الفتن، نظراً إلىٰ انتشار الفساد في الأرض، وسيعملون علىٰ إيجاد كثير من التيارات والحركات التي تدَّعي الإصلاح، وتُظهر ارتباطها بالإمام المهدي عجل الله فرجه بنحوٍ من الأنحاء، بهدف التشويش علىٰ عقيدة عامة المؤمنين فيه بوصفه المصلح الذي أراد الله تعالىٰ أن يستقيم حال الأُمَّة والبشرية جمعاء علىٰ يديه، وخاصة عندما يتبيَّن - ولو بعد حين - بطلان هذه التيارات والحركات، إذ سيفقد المؤمنون الثقة بكل مَنْ يدعو إلىٰ الإصلاح في الأُمَّة.

١. الكافي: ١/ ٣٦٨.

(٣) كثرة أدعياء المهدوية، أو الارتباط بالإمام المهدي عجل الله فرجه، إذ سيعمل الأعداء علىٰ استغلال انتظار المؤمنين لتحقق العدل علىٰ يد الإمام المهدي عجل الله فرجه، فيطرحون قادة وحكاماً يسيرون بالعدل في الأمة، ويعملون بالحق ليوهموا المؤمنين بأن ذلك ليس حِكراً علىٰ المهدي عجل الله فرجه من آل محمد عليهم السلام، بما قد يؤدي إلىٰ أن يتجه الكثير منهم إلىٰ رفض حركته، بل والوقوف بوجهه، كونهم قد عاشوا في ظل ولاة صالحين، وحكام عدول، واستقامت علىٰ أيديهم أمور معاشهم، ومن ثَمَّ يرون أن تغييرهم يتسبب في وقوع ضرر كبير عليهم.

المطلب الثالث: فتنة السفياني، وأساليب مواجهتها:

أولاً: فتنة السفياني:

لقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله من وقوع فتن بعده، وخص منها فتنة السفياني، وبيَّن صلى الله عليه وآله أنَّها آخر الفتن، فقد روىٰ عبد الله بن مسعود: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحذركم سبع فتن تكون بعدي: فتنة تُقبل من المدينة، وفتنة بمكة، وفتنة تُقبل من اليمن، وفتنة تُقبل من الشام، وفتنة تُقبل من المشرق، وفتنة من قِبل المغرب، وفتنة من بطن الشام، وهي فتنة السفياني»[1].

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله: «لتأتينَّكم بعدي أربع فتن؛ الأولىٰ: يُستَحلُّ فيها الدماء، والثانية: يُستَحَلُّ فيها الدماء والأموال، والثالثة: يُستَحَلُّ فيها الدماء والأموال والفروج، والرابعة: صمّاء عمياء مُطبقة، تمور مور السفينة في البحر حتَّىٰ لا يجد أحدٌ من الناس منها ملجأً، تطير بالشام، وتغشىٰ العراق، وتخبط الجزيرة يدها ورجلها، يُعرك الأنام فيها البلاء عرك الأديم، لا يستطيع من الناس يقول: مَهْ مَهْ، لا ترفعونها من ناحيةٍ إلَّا انفتقت من ناحيةٍ أخرىٰ»[2].

١. الفتن: ٢٨.
٢. الفتن: ٢٨.

وقوله: (صماء عمياء مطبقة): يعني أنَّها فتنة لا تستمع إلىٰ طلب إطفاء نارها، ولا تبصر مَنْ يقع عليه شررها وضررها، كناية عن خروجها عن السيطرة، كما أنَّها شاملة تحيط بالناس من كل جانب. و(تمور مور السفينة): تتحرَّك بهم بقوة جيئة وذهاباً كما تتأرجح السفينة التي يتقاذفها موج البحر. و(تطير بالشام): يكون موضع بدء تحرك هذه الفتنة من بلاد الشام. و(تغشىٰ العراق): يشمل تأثيرها أرض العراق بحكم اتصال أرض الشام والعراق، وارتباط أهلهما ببعضهما. و(تخبط الجزيرة يدها ورجلها): يتوسع أثرها حتَّىٰ تضرب جزيرة العرب بقوة. و(لا يستطيع من الناس يقول: مه مه): لا يتمكَّن أحدٌ من تهدئتها، وإيقاف تحركها، والتكرار للتأكيد والمبالغة. و(عرك الأديم): دلك الجلد بشدة عند دبغه، وفيه دلالة علىٰ شدة الابتلاء، وصعوبة الامتحان، بنحو لا يتمكن من تجاوز هذه الفتنة إلّا أقل القليل من المؤمنين. و(لا ترفعونها من ناحية إلّا انفتقت من ناحية أخرىٰ): كلما حاول بعضٌ استئصالها، أو إخماد نارها من جهة، اضطرمت من جهة غيرها.

ولعل وجه تخصيص هذه الفتنة بالذكر دون سائر الفتن نابع من كونها من أخطر الفتن التي تواجهها الأُمَّة في آخر الزمان، إذ سينخدع فاقدو الوعي والبصيرة حتَّىٰ من بعض المؤمنين بالسفياني، ويسقطون في فتنته، وذلك نتيجة اتِّباعه أسلوب التمويه علىٰ الناس بالتظاهر بالزهد في الملبس والمأكل، وإظهار العدل في الرعية، وعدم الاستئثار بالأموال دونهم، بل سيعمد إلىٰ بذلها لهم، لاستمالتهم إلىٰ جانبه، بخلاف سيرة مَنْ سبقه من الحكام.

فعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث له عن السفياني: «وهذا الملعون يُظهر الزهد قبل خروجه، ويتقشف، ويتقنع بخبز الشعير، والملح الجريش، ويبذل الأموال، فيجلب بذلك قلوب الجُهَّال والأرذال، ثم يدّعي الخلافة، فيبايعونه،

ويتبعهم العلماء الذين يكتمون الحق، ويظهرون الباطل، فيقولون: إنّه خير أهل الأرض»[١].

وفي كلام طويل لأمير المؤمنين عليه السلام ذكر فيه السفياني: «... وإنه ليعدل فيهم حتّىٰ يقول القائل: والله ما كان يقال فيه إلّا كذب. والله إنهم لكاذبون، لو يعلمون ما تلقىٰ أُمّة محمد صلى الله عليه وآله منه ما قالوا ذلك ...»[٢].

ورغم ما ذكرنا من شدّة خطورة فتنة السفياني إلّا أنَّ ذلك لا ينبغي أن يكون سبباً لسيطرة الخوف واستيلاء الهلع علىٰ قلوب المؤمنين، فقد أخبرنا أئمة أهل البيت عليهم السلام بأن ضرره علىٰ المخالفين سيكون أزيد منه علىٰ المؤمنين، وأنه في بداية تحركه ينشغل بهم عن المؤمنين مما يعطي الفرصة للمؤمنين للحذر منه، وتهيئة ما يلزم لتجاوز أو تقليل ضرره عليهم، كما أخبروا أنَّ مدة فتنته لن تكون طويلة، فعن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «... فَأَبْشِرُوا ثُمَّ أَبْشِرُوا بِالَّذِي تُرِيدُونَ، أَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَعْدَاءَكُمْ يَقْتَتِلُونَ فِي مَعَاصِي الله، وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَىٰ الدُّنْيَا دُونَكُم، وَأَنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ آمِنُونَ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُمْ. وَكَفَىٰ بِالسُّفْيَانِيِّ نِقْمَةً لَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَهُوَ مِنَ العَلامَاتِ لَكُمْ، مَعَ أَنَّ الفَاسِقَ لَوْ قَدْ خَرَجَ لَكَثُرْتُمْ شَهْراً أَوْ شَهْرَيْنِ بَعْدَ خُرُوجِهِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكُمْ بَأْسٌ حَتَّىٰ يَقْتُلَ خَلْقاً كَثِيراً دُونَكُمْ»، فقال له بعض أصحابه: فكيف نصنع بالعيال إذا كان ذلك؟ قال: «يَتَغَيَّبُ الرِّجَالُ مِنْكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّ حَنَقَهُ وَشَرَهَهُ إِنَّما هِيَ [خ: هو] عَلَىٰ شِيعَتِنَا، وَأَمَّا النِّسَاءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ بَأْسٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ». قيل: فإلىٰ أين مخرج الرجال، ويهربون منه؟ فقال: «مَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ أَنْ يَخْرُجَ يَخْرُجْ إِلَىٰ المَدِينَةِ، أَوْ إِلَىٰ مَكَّةَ، أَوْ إِلَىٰ بَعْضِ البُلْدَانِ»، ثم قال: «مَا تَصْنَعُونَ بِالمَدِينَةِ؟! وَإِنَّمَا يَقْصُدُ جَيْشُ الفَاسِقِ إِلَيْهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمَكَّةَ،

١. مختصر كفاية المهتدي لمعرفة المهدي: ١/ ٢١٧.

٢. عقد الدرر في أخبار المنتظر: ١٥٩.

فَإِنَّهَا مَجْمَعُكُمْ، وَإِنَّما فِتْنَتُهُ حَمْلُ امْرَأَةٍ: تِسْعَةُ أَشْهُرٍ، وَلَا يَجُوزُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ»[١].

ثانياً: أساليب مواجهة فتنة السفياني:

مضافاً إلىٰ ما تقدم من الأساليب العامة لمواجهة الفتن يمكن مواجهة هذه الفتنة بالآتي:

أ - الوعي والبصيرة بطبيعة مشروع السفياني، وعدم الانخداع بالشعارات التي يرفعها، وما يقوم به من أعمال من أجل استمالة الناس وحتَّىٰ الشيعة إلىٰ جانبه، بإظهاره العدل والإنصاف معهم، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ»[٢].

وعن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام: «العالِمُ بزَمانِهِ لا تهجُمُ عليهِ اللَّوابِس»[٣].

و(اللوابس): الأمور المبهمة التي تحصل نتيجة عدم وضوح حقيقتها، وغياب القدرة علىٰ تمييز الحق من الباطل فيها، وهذا تعبير آخر عن الفتنة، فإنَّه إذا عَلِم الإنسان بطبيعة العصر وأهله، وعرف ما يجري حوله من أحداث زال ما يشوبها من إبهام، واتَّضح واقع الأمور، وحقيقة الفتن، وتجلَّت له الأهداف البعيدة منها، وكان قادراً علىٰ تجاوزها، دون أن يناله شيء من ضررها.

ب - التمسك بما كان يعتقد به المؤمنون من وجود إمام غائب من آل محمد صلى الله عليه وآله يظهره الله تعالىٰ في آخر الزمان، وأنَّه الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأنَّ إصلاح حال الأُمَّة وسائر العباد والبلاد لن يكون علىٰ يد شخص غيره.

---

١. غيبة النعماني: ١/ ٣٠٩.

٢. نهج البلاغة: خ١٨٣: ٢٦٦.

٣. الكافي: ١/ ٢٧.

فعن عبد الله بن سنان، قال: دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله عليه السلام فقال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا صِرْتُمْ فِي حَالٍ لا يَكُونُ فِيهَا إِمَامٌ هُدًى، وَلاَ عَلَمٌ يُرَىٰ فَلاَ يَنْجُو مِنْ تِلْكَ اَلْحَيْرَةِ إِلاَّ مَنْ دَعَا بِدُعَاءِ اَلْغَرِيقِ»، فقال أبي: هذا والله البلاء، فكيف نصنع - جُعلت فداك - حينئذٍ؟ قال: «إِذَا كَانَ ذَلِكَ وَلَنْ تُدْرِكَهُ فَتَمَسَّكُوا بِمَا فِي أَيْدِيكُمْ حَتَّىٰ يَصِحَّ لَكُمُ اَلْأَمْرُ»[١].

وعن الحارث بن المغيرة النصري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: إنا نُرَوَّىٰ بأنَّ صاحب هذا الأمر يُفقد زماناً، فكيف نصنع عند ذلك؟ قال: «تمسكوا بالأمر الأول الذي أنتم عليه حتَّىٰ يبيّن لكم»[٢].

وعن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ يُصِيبُهُمْ فِيهَا سَبْطَةٌ يَأْرِزُ العِلْمُ فِيهَا كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِم نَجْمٌ»، قلت: فما السبطة؟ قال: «الفَتْرَةُ»، قلت: فكيف نصنع فيما بين ذلك؟ فقال: «كُونُوا عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يُطْلِعَ اللهُ لَكُمْ نَجْمَكُمْ»[٣].

وقوله: «تمسكوا بما في أيديكم» و«تمسكوا بالأمر الأول» و«كونوا على ما أنتم عليه» يدل على وجوب تمسك المؤمنين بأصول دينهم التي وصلت إليهم من أئمة آل البيت عليهم السلام، وعدم تزلزل عقيدتهم بما كانوا يؤمنون به - قبل أن تأتي الفترة التي يُطمس فيها العلم - من وجود إمام منتظر غائب بأمر الله تعالىٰ، ومعنىٰ (يأرِز) بكسر الراء: يرجع، أي يطوىٰ العلم ويطمس بعد انتشاره وذيوعه، كناية عن انتشار الجهل في الأمة. والأحاديث المتقدمة تدل بنحو غير مباشر على تحذير المؤمنين من أن يتسبب انحسار العلم وشيوع

١. غيبة النعماني: ١/ ١٥٩.
٢. غيبة النعماني: ١/ ١٦٠.
٣. غيبة النعماني: ١/ ١٦٠.

الجهل في انحراف عقيدتهم، والتورط بتصديق كل مَنْ يدَّعي أنَّه المهدي الذي بشَّر به النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام إلىٰ أن يستيقنوا من تحقق ظهوره.

وقد ورد ما يدل علىٰ ضرورة الاستمرار علىٰ الاعتقاد بإمامة المهدي من آل محمد عليهم السلام قبل ظهوره المبارك فيما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: «طُوبىٰ لِمَنْ أَدْرَكَ قائِمَ أَهْلِ بَيْتي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِهِ في غَيْبَتِهِ قَبْلَ قِيامِهِ، وَيَتَوَلّىٰ أَوْلِيَاءَهُ، وَيُعادِي أعْداءَهُ، ذَلِكَ مِنْ رُفَقَائِي، وَذَوِي مَوَدَّتِي، وَأكْرَمُ أُمَّتِي عَلَيَّ يَومَ القِيامَةِ»[1].

ج - **التمسك بالقرآن الكريم**، واتباع ما يأمر وينهىٰ عنه، والعمل بأحكامه، والأخذ بما نطق به مِنْ تولّي أولياء الله تعالىٰ، ومعاداة أعدائه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، وماحل مصدق...» الحديث[2].

قوله: «إذا التبست عليكم الفتن» في الدين بعدي بافتراء المفترين، وانتحال المبطلين، «كقطع الليل المظلم» في كونها مظلمة سوداء لا يهتدي فيها الإنسان إلىٰ سبيل الحق، «فعليكم بالقرآن» فالزموا العمل بأحكامه التي نطق بها، ولا تتعدّوه، «فإنه شافع مشفَّع» لَمَنْ عمل بما فيه، ولم يتركه إلىٰ غيره، مقبول الشفاعة، «وماحل مصدق» مَحَلَ به: إذا سعىٰ به إلىٰ السلطان، أي إن القرآن يسعىٰ بَمَنْ لا يتبع ما فيه إلىٰ الله عز وجل، فيصدقه الله في سعايته.

ووجه إرجاع الناس إلىٰ القرآن عند وقوع الفتن الملتبسة التي يتداخل فيها الباطل مع الحق، نتيجة إلباس أئمة الضلال الباطل لبوس الحق، أمران:

١. كمال الدين: ١/ ٢٨٦.

٢. الكافي: ٢/ ٥٩٩.

الأول: إن القرآن هو الثقل الأكبر الذي لا يفترق عن الثقل الأصغر المتمثل بعترة النبي ﷺ، إذ تواتر عنه ﷺ قوله: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابُ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وأَنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ»[١].

وفي قوله ﷺ: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا» دلالة واضحة علىٰ أنَّ التمسك بالقرآن وحده دون العترة ليس عاصماً من الضلال، بل إن العاصم منه هو التمسك بهما معاً، أي إنَّ إرجاع النبي ﷺ إلىٰ القرآن عند التباس الفتن هو إرجاع إلىٰ العترة للأخذ بهديها، ولهذا فكلما ازداد التزام المؤمن بما في القرآن ازداد تمسكه بأئمة العترة عليهم السلام.

الثاني: إنَّه ميزان يمكن به التمييز بين الحق والباطل، فبمقدار الالتزام بما فيه يعرف المؤمن أن هذه الراية راية هدىٰ أو ضلال، وأن تلك الدعوة دعوة رشاد أو انحراف، فيكون القرآن سبباً في عصمته من الوقوع في الفتنة.

وعن الحارث الأعور قال: دخلت علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّا إذا كنّا عندك سمعنا الذي نشدّ به ديننا، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة، ولا ندري ما هي. قال: «أوَقَد فعلوها»؟ قال: قلت: نعم. قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: أتاني جبرئيل، فقال: يا محمّد، ستكون في أمتك فتنةٌ. قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله، فيه بيان ما قبلكم من خبرٍ، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، مَنْ وليه من جبارٍ فعمل بغيره قصمه الله، ومَنْ التمس الهدىٰ في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تُزيغه الأهوية، ولا تُلبسه الألسنة»[٢].

١. وسائل الشيعة: ٢٧/ ٣٤.

٢. تفسير العياشي: ١/ ٣.

وعن الخشاب، رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا والله لا يرجع الأمر والخلافة إلىٰ آل أبي بكر وعمر أبداً، ولا إلىٰ بني أمية أبداً، ولا في ولد طلحة والزبير أبداً، وذلك أنهم نبذوا القرآن، وأبطلوا السنن، وعطلوا الأحكام، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: القرآن هدىٰ من الضلالة، وتبيانٌ من العمىٰ، واستقالةٌ من العثرة، ونورٌ من الظلمة، وضياءٌ من الأحداث، وعصمةٌ من الهلكة، ورشدٌ من الغواية، وبيانٌ من الفتن، وبلاغٌ من الدنيا إلىٰ الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحدٌ عن القرآن إلّا إلىٰ النار»[١].

د - التوجه إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بالدعاء بتثبيت القلب علىٰ الإيمان، وعدم الانحراف في العقيدة عند وقوع الفتن، فعن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «سَتُصِيبُكُمْ شُبْهَةٌ فَتَبْقَونَ بِلا عَلَمٍ يُرَىٰ، وَلا إِمَامِ هُدَىٰ، وَلا يَنْجُو مِنْها إِلّا مَنْ دَعَا بِدُعَاءِ الغَرِيقِ»، قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال: «يَقُولُ: (يَا اللهُ، يَا رَحْمَنُ، يَا رَحِيمُ، يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ)»، فقلت: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي علىٰ دينك، قال: «إِنَّ اللهَ عزوجل مُقَلِّبُ القُلُوبِ وَالأَبْصَارِ، وَلَكِنْ قُلْ كَمَا أَقُولُ لَكَ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ»[٢].

وعن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إِنَّ لِلْغُلامِ غَيْبَةً قَبْلَ أَنْ يَقُومَ»، قال: قلت: ولِمَ؟ قال: «يَخَافُ»، وأومأ إلىٰ بطنه، ثم قال: «يَا زُرَارَةُ، وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ، وَهُوَ الذِي يُشَكُّ فِي وِلادَتِهِ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَاتَ أَبُوهُ بِلا خَلَفٍ، وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ: حَمْلٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ وُلِدَ قَبْلَ مَوْتِ أَبِيهِ بِسَنَتَيْنِ وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ، غَيْرَ أَنَّ اللهَ عزوجل يُحِبُّ أَنْ يَمْتَحِنَ الشِّيعَةَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرْتَابُ

١. الكافي: ٢/ ٦٠٠ - ٦٠١.
٢. كمال الدين: ١/ ٣٨٠.

المُبْطِلُونَ يَا زُرَارَةُ». قال: قلت: جُعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أي شيء أعمل؟ قال: «يَا زُرَارَةُ إِذا أَدْرَكْتَ هَذَا الزَّمَانَ فَادْعُ بِهذَا الدُّعَاءِ: (اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي)» ... الحديث[1].

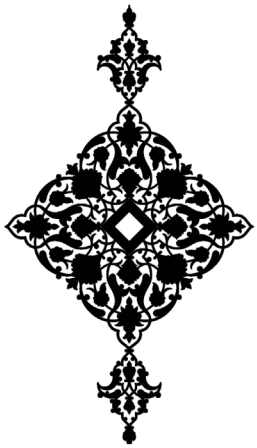

١. الكافي: ١/ ٣٣٧.

المعود
ALMAUOOD

الدرس المهدوي بين الأهمية وآليات التخصص

(أهمية البحث عن القواعد المهدوية وتدوينها والاعتماد عليها في ضبط المسائل المتعلقة بالمهدوية)

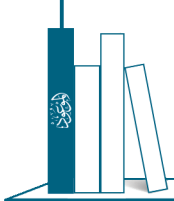

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

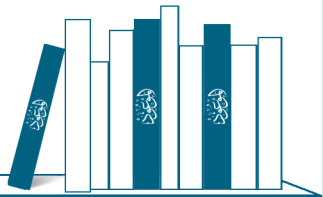

تمهيد:

في هذا البحث سنسلط الضوء على جانب وزاوية من زوايا الاهتمام بهذه العقيدة من خلال ما نُعبر عنه بـ(الدرس المهدوي)، ولعله لا مُبالغة إذا قلنا بضرورة الاهتمام بالعقيدة المهدوية لبيان ركائزها وقواعدها، بل والتفرعات المترتبة عليها، فهذا الاهتمام يسهم كثيراً في رفع جملة من الشبهات المثارة حولها، بل قد يقتلع جملة منها من جذورها.

نحاول في هذا الصدد التنقيب عن القواعد العامة والفرعية للمهدوية والتأصيل لبعضها والتفريع على أخرى، بعد فرزها وضبطها وتبويبها ومن ثم القيام بعملية تدوينها كقواعد عامة أو فرعية من أجل ضبط المسائل المهدوية، حيث وجدت من خلال متابعات طويلة ومتواصلة ولأعوام عديدة قاربت الـ(٢٠) عاماً، أنَّ هذه القواعد مذكورة في كتب أعيان الطائفة قدس سرهم كما ستطلع عليه في بيان جملة وافرة منها في هذا البحث، ولكنها متناثرة في الغالب هنا وهناك، بل ووجدت البعض منها مطوياً ومغلفاً بعبارات معقدة وبصياغات قديمة قد يصعب على غير المتمرس الالتفات إليها بعنوان قاعديتها، ووجدت بعضها الآخر مدرجاً في بطون مسائل ومباحث قد تكون ولأوَّل وهلة بعيدة عن البحث المهدوي، وهذا ما يحتاج إلى جهد مضاعف ولفترة زمنية ليست

بالقليلة من أجل إخراجها من الكتب، وهذا هو الداعي الأوَّل والأخير من وراء طرح العنوان المتقدم (الدرس المهدوي) بالمعنىٰ الذي سيأتي بيانه، من أجل تقعيد التفريعات وضبطها بضبط أصولها، وتفتيق ما يصلح للإثراء منها وإدراج كل صنف منها وما يلحقه من تفريعات في فصله الخاص به وعلىٰ غرار علوم مقاربة كعلم القرآن والحديث والكلام والأصول.

لا أبالغ في القول: إنَّ الاهتمام بالدرس المهدوي بالمعنىٰ الآتي وبشكل تخصصي، يعطي للدارسين قدرة التغلب علىٰ الكثير من صعاب هذه العقيدة وعدم الانجرار وراء بعض المنزلقات التي وقع فيها جملة ممن خاضها بغير تخصص وضبط لقواعدها.

كما ويعطي - بتراكم الخبرة وامتلاك القدرة علىٰ ضبط القواعد والإحاطة بها بعد تبويبها - قابلية عالية للدارسين في الالتفات إلىٰ التوسعات والتفريعات التي يصح الخوض فيها وإدراجها في العقيدة المهدوية وتلك التي تندرج في غيرها.

فكما أنَّ الاهتمام بالدرس الأصولي أوجب توسعاً كبيراً في علم الأصول، وبرزت من خلال هذا الاهتمام الواسع، الكثير من المسائل التي كانت مطويةً في بطون الكتب، وتفرع علىٰ الدرس الأصولي - والذي استغرق العمل عليه العشرات من السنين، بل المئات، من الدرس والتدريس والمباحثة والتأليف والكتابة والاهتمام - الكثير من المسائل العميقة والدقيقة، والتي أثرت وأثَّرت بدورها علىٰ مسائل الفقه وبيان الأحكام الشرعية، بل علىٰ مسائل علم التفسير وعلم الكلام والحديث لوجود ترابط علىٰ مستوىٰ الغرض بين هذه العلوم بل وتداخل في عدد غير قليل من المسائل.

فكذا الاهتمام بالدرس المهدوي سينعكس علىٰ العقيدة المهدوية بشكل مؤثر وواضح، كما انعكس الاهتمام بعلم الأصول بالبيان المتقدم، وكما انعكس الاهتمام بالتفسير ودراسة علوم القرآن علىٰ إثراء هذا العلم، بل وسينعكس

علىٰ الكثير من المسائل المتفرعة علىٰ قواعد المهدوية العامة من قبيل اللقاء بالحجة عليه السلام في زمن الغيبة وحكم التسمية له عليه السلام وطريقة نصرته في غيبته وما يتفرع عليها من انتظاره وآليات التعامل مع علامات ظهوره وهل يصح تطبيقها، وكالجهاد في زمن الغيبة ومسألة حرية الأديان في زمن الظهور وحقيقة الرجعة وسعة دائرة صلاحيات الفقهاء في عصر الغيبة الكبرىٰ، وفي الجانب الاقتصادي والمالي من جهة الأنفال والزكاة والخمس وغيرها الكثير مما ستطلع عليه في الجملة من خلال هذا البحث.

لا شك في وجود صعاب، بل عقبات عديدة ومختلفة علىٰ مستوىٰ الاثبات والثبوت في هكذا عمل، ولكن اقتحام هذا الجانب له إيجابيات كثيرة - لا تكاد تخفىٰ علىٰ من اشتغل بالمسائل المهدوية، وسيأتي الإشارة إلىٰ بعضها في طيات الكلام الآتي - تدعو إلىٰ خوض غمار هذا البحث، وكيفما كان فهي محاولة متواضعة في هذا الطريق الطويل، نسأله تعالىٰ التوفيق لإتمامها بلطف ورعاية مولانا عليه السلام.

فصول البحث:

الفصل الأوَّل: تعريف الدرس المهدوي وبيان أنحاء التلقي التخصصي، في عدة نقاط.

الفصل الثاني: تدوين وضبط القواعد العامة التي ينبغي الاشتغال عليها في عدة نقاط.

الفصل الثالث: البحث التطبيقي وبيان تطبيق القواعد العامة علىٰ المسألة المهدوية، في عدة محاور تشتمل كل واحدة منها علىٰ عدة نقاط.

الفصل الأوَّل: تعريف الدرس المهدوي وأنحاء التلقي التخصصي، في نقاط ثلاث:

النقطة الأولىٰ: تعريف الدرس المهدوي: المقصود من الدرس المهدوي

هو تلقي المعلومات المتعلقة بالمهدوية بطريقة تخصصية، من خلال تفريع النتائج في المسألة المهدوية على عدة قواعد مدونة سلفاً ويصح الرجوع إليها والاعتماد عليها في حكم المسألة المهدوية، وهذا التلقي يتنوع في أساليبه وأنحائه.

النقطة الثانية: أنحاء التلقي للمعلومات المهدوية: لتلقي المعلومات المهدوية بطريقة الدرس المهدوي عدة أنحاء وهي:

النحو الأوَّل: الدرس التقليدي أو ما يقوم مقامه: هذا هو النحو المتعارف عليه في الحوزات العلمية – وهو العمدة في البناء التخصصي في العلوم الدينية – حيث يجتمع الطلبة في مجلس الدرس مع أستاذ معين، ويتبعون الطريقة المعتادة من قراءة النصوص، والاستماع إلى شرح الأستاذ، ومن ثم المناقشة حول المادة المطروحة، إلى أن يمتلك التلميذ القدرة العلمية في المادة المدروسة بحسب المنهج المعد مسبقاً، وبالكيفية المعروفة والمتداولة في التدريس وإن اختلفت بعض طرق تدريسها.

النحو الثاني: جلسات المباحثة: في هذا النحو، يجتمع عدد من الطلبة، أهل الكفاءة والقدرة العالية على فهم النصوص والمفاهيم – خاصة ممن تجاوزوا مراحل متقدمة في الدراسة الحوزوية – ليناقشوا فيما بينهم مجموعة من النصوص والمتون المتعلقة بالعقيدة المهدوية – من المصادر التي سنشير إليها – في جلسات نقاشية يتم فيها تبادل الأفكار والنقاشات العميقة.

الهدف هو بناء التخصص في العقيدة المهدوي لدى كل فرد من أفراد هذه المجموعة من خلال الجهد الجماعي، ولكن مع ضرورة أن يكون لدى المشاركين اهتمامات مشتركة وتقارب فكري، إلى جانب الالتزام ببذل جهد واسع للوصول إلى فهم معمق للمادة المطروحة، وتحت إشراف ورعاية من له الخبرة في القواعد العامة للبحث.

النحو الثالث: الاستماع المكثف: تعتمد هذه الطريقة على استماع عدد كبير من المحاضرات المهدوية، مع ضم قراءة المتون المهدوية – التي سنشير إليها – وهذا النموذج لا يقتصر على متن معين أو محاضرٍ بعينه، وإنَّما يتطلَّب الإكثار من استماع المحاضرات لأشخاص معروفين، مع ضرورة السؤال عنهم وتمييزهم بدقة – كما نميز في الحوزة العلمية بين الأساتذة وفقًا لعمق طرحهم، ودقتهم، وقدرتهم على البيان، وكيف أنَّ بعض الأساتذة يقوم بتعويد الطلبة والتلاميذ على كيفية اكتساب القدرة على مستوىٰ التدريس، وعلىٰ مستوىٰ الفهم، وعلىٰ مستوىٰ المراجعات للمصادر –، وتحديد عدد المحاضرين وكمية ما يتم سماعه ينبغي أن يكون تحت إشراف من له الخبرة بهذا الشأن كي لا يحصل خروج عن الغرض وبالتالي يضيع الجهد للوصول إلىٰ التخصص في هذا المجال، ويجد المتبع لهذه الطريقة وبعد فترة ليست بالقصيرة أنَّه لم يتجاوز مرحلة الثقافة المهدوية، كما هو المشاهد لدىٰ عدد غير قليل ممن يسلك هذه الطريقة.

نعم، قد يمتاز بعض الأفراد بقدرات ذهنية خاصة وهمة عالية تمكنهم من تحصيل المعلومات التخصصية بشكل أدق وأسرع.

علىٰ أنَّ هذه الطرق والأنحاء لا بينونة بينها فيمكن لفرد واحد أن يتلبس بها جميعاً، أو ببعضها.

هذا فيما يرتبط ببيان معنىٰ الدرس المهدوي وما نقصده منه، مع بيان أنحاء التلقي فيه.

النقطة الثالثة: اهتمام أعلام الطائفة بالعقيدة المهدوية: نتحدث في هذه النماذج عن الكتب والمصنفات التي برز فيها الاهتمام بالعقيدة المهدوية كلاً أو بعضاً مما وصل إلينا من مصنفات أصحابنا، أمَّا ما لم يصل إلينا منها فهو

أضعاف مضاعفة، يَعرف ذلك من يسبر أغوار فهارسهم ويطلع علىٰ ما دونوه في مصنفاتهم[١].

ومن بين الواصل إلينا نذكر عدَّة نماذج:

النموذج الأوَّل: كتاب الكافي، لثقة الإسلام الشيخ الكليني رضي الله عنه: والذي كان في طليعة علماء كلام عصر الغيبة الصغرىٰ - وكبار محدثيها وفقهائها العظام - ممن وصلت كتبهم إلينا، وما كتبه في الكافي عن عقيدة الإمامية في الإمامة عليه السلام، وخصوصاً في الإمام الحجة عجل الله فرجه كثير وكبير وعظيم، حيث ذكر رضي الله عنه بعد مقدمة الكتاب عدة كتب وفصول، منها: كتاب التوحيد، وذكر فيه عدة أبوب منها: باب البيان والتعريف ولزوم الحجة، باب اختلاف الحجة علىٰ عباده، باب حجج الله علىٰ خلقه، وهكذا عدة أبوب من كتاب التوحيد.

ثم ذكر رضي الله عنه كتاب الحجة: وذكر فيه العديد من الأبواب أُشير إلىٰ بعضها: باب الاضطرار إلىٰ الحجة، باب أنَّ الحجة لا تقوم لله علىٰ خلقه إلا بإمام، باب أنَّ الأرض لا تخلو من حجة، باب معرفة الإمام والرد إليه، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، باب ما فرض الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله من الكون مع الأئمة عليهم السلام، باب أنَّ الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم، باب الإشارة والنص إلىٰ صاحب الدار عليه السلام، باب في تسمية من رآه عليه السلام، باب في النهي عن الاسم، باب نادر في حال الغيبة، باب في الغيبة، باب ما يفصل به بين دعوىٰ المحق والمبطل في أمر الإمامة، باب كراهية التوقيت، باب التمحيص والامتحان، باب أنَّه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، باب من ادعىٰ الإمامة وليس لها بأهل ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس

١. أُلِّفتْ - منذ بدايات عملية التصنيف والكتابة - الرسائلُ والكتبُ حول العقيدة المهدوية، ككتاب الغيبة للفقيه علي بن الحسن الطاهري رحمه الله والغيبة للعباس بن هاشم الناشري الأسدي رحمه الله المتوفي سنة (٢٢٠هـ أو ٢١٩هـ) وغيرهما الكثير.

لها بأهل، باب في من دان الله عزّ وجلّ بغير إمام من الله جلّ جلاله، باب من مات وليس له إمام من أئمة الهدىٰ، باب فيمن عرف الحق من أهل البيت ومن أنكر، باب ما يجب علىٰ الناس عند مضي الإمام عليه السلام، باب ما يجب من حق الإمام علىٰ الرعية وحق الرعية علىٰ الإمام عليه السلام، باب أنَّ الأرض كلها للإمام عليه السلام، باب مولد الصاحب عليه السلام، باب فيما جاء في الاثني عشر والنص عليهم السلام، وهكذا العشرات من الأبواب التي ذكرها في هذا الكتاب أي كتاب الحجة ومن غيره من فصول كتاب الكافي.

والنظر الدقيق يقتضي أنَّ جملة من هذه الأبواب هي أصول للعديد من القواعد للمسائل المهدوية الآتية، وتعتبر نصوص الأبواب التي ذكرها مستندات للعديد من القواعد الآتي ذكرها.

النموذج الثاني: الشيخ ابن قبة الرازي رحمه الله هذا الرجل العظيم الذي يصح لنا أن نُلَقبه بالمحامي والمدافع عن الإمام الحجة عجل الله فرجه، وكان في زمان الغيبة الصغرىٰ، وقد ترجم له الشيخ النجاشي رحمه الله، قائلاً[1]: (محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي أبو جعفر، متكلم، عظيم القدر، حسن العقيدة، قوي في الكلام، كان قديماً من المعتزلة، وتبصر وانتقل. له كتب في الكلام، وقد سمع الحديث، وأخذ عنه ابن بطة، وذكره في فهرسته الذي يذكر فيه من سمع منه، فقال: وسمعت من محمد بن عبد الرحمن بن قبة، له كتاب الإنصاف في الإمامة، وكتاب المستثبت نقض كتاب أبي القاسم البلخي، وكتاب الرد علىٰ الزيدية، كتاب الرد علىٰ أبي علي الجبائي، المسألة المفردة في الإمامة.

سمعت أبا الحسين ابن المهلوس العلوي الموسوي رضي الله عنه يقول في مجلس الرضي أبي الحسين محمد بن الحسين بن موسىٰ، وهناك شيخنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (رحمهم الله أجمعين)، سمعت أبا الحسين

١. رجال النجاشي: رقم١٠٢٣، ص٣٧٥.

السوسنجردي ﵀ وكان من عيون أصحابنا وصالحيهم المتكلمين وله كتاب في الإمامة معروف به، وكان قد حج علىٰ قدميه (قدمه) خمسين حجة - يقول: مضيت إلىٰ أبي القاسم البلخي (وهو رأس المعتزلة في زمانه أي قبل ٣٢٠ هجرية) إلىٰ بلخ، بعد زيارتي الرضا ﵇ بطوس، فسلمت عليه، وكان عارفاً بي، ومعي كتاب أبي جعفر ابن قبة في الإمامة، المعروف بالإنصاف، فوقف عليه ونقضه بـ(المسترشد في الإمامة)، فعدت إلىٰ الري فدفعت الكتاب إلىٰ ابن قبة فنقضه بـ(المستثبت في الإمامة) فحملته إلىٰ أبي القاسم فنقضه بـ(نقض المستثبت) فعدت إلىٰ الري فوجدت أبا جعفر قد مات ﵀.

وقد تضمنت كلمات الشيخ ابن قبة الرازي ﵀ العديد من القواعد[1]، ومنها:

القاعدة الأولىٰ: عدم صحة الكلام في فرع لم يحكم أصله: قال ﵀: أوَّل ما يجب أنْ لا نتجاوزه ومما قد رضي به أهل النظر، واستعملوه، ورأوا أنَّ من حاد عن ذلك فقد ترك سبيل العلماء وهو إنا لا نتكلم في فرعٍ لم يثبت أصله).

هذا نص عبارته في هذا الأصل الذي مشىٰ عليه كل من جاء بعده.

إن قلت: القاعدة المتقدمة التي ذكرها الشيخ ﵀ وسار عليها من جاء بعده، لا نجدهم اعتمدوا عليها عملياً حيث نجدهم كتبوا في الولادة والغيبة والعلامات، وتجاوزوها إذ لم يقتصروا علىٰ الأصل فيها، فكيف يذكرونها ولا يلتزمون بمضمونها.

قلت: يجاب عنه من جهات:

١ - أنَّ القاعدة المتقدمة من مواردها باب الإثبات والجدل مع الخصوم، فلا وجه للإشكال علينا في الغيبة وهم لا يسلمون بالأصل المتفرعة عليه.

---

١. ذكرت هذه القواعد في عدة مقالات تحت عنوان توضيح الإجابات المتضمنة لتوضيح كلمات الشيخ ابن قبة الرازي ﵀، ومنشورة معظمها في مجلة الموعود التخصصية في عدة مقالات.

٢ - أنَّ هذه القاعدة من القواعد العرفية العقلائية، فهي تقول يوجد بين المسائل ترتيب طبعي فما هو فرع لابد من إثبات أصله أولاً ثم الحديث في الفرع، وليس معنىٰ ذلك عدم الحديث في الفرع مطلقاً، بل إنَّ وقت الحديث فيه بعد إحكام أصله.

٣ - أنَّ الحديث في هذه القاعدة ليس للخصوم ومقام الجدل وحسب، بل لأجل من يؤمن بالعقيدة المهدوية فعليه أن لا يذهب إلىٰ الفرع دونما فراغ عن أصله.

القاعدة الثانية: لا نزاع ولا خصومة في الأمر الواضح: ويقصد به ضرورة وجود إمام في كل زمان ولو غاب، والإمامة لا تثبت فيما هو محل شبهة.

القاعدة الثالثة: صرف الادِّعاء ليس من الحجج: إذ لو كانت كذلك لصحت كل دعوىٰ.

القاعدة الرابعة: الطلب بمشاهدة الإمام عليه السلام في الغيبة لا معنىٰ له: إذ ليس فينا من يأمر الإمام عليه السلام، وإنَّما نحن مأمورون بالوقوف عند طاعته وأوامره.

وغير ذلك مما يقف عليه المتتبع لكلماته رحمه الله.

النموذج الثالث: الشيخ النعماني قدس سره، من تلامذة الشيخ الكليني رضي الله عنه، قال عنه الشيخ النجاشي رحمه الله[1]: (محمد بن إبراهيم بن جعفر أبو عبد الله الكاتب، النعماني، المعروف بابن زينب، شيخ من أصحابنا، عظيم القدر، شريف المنزلة، صحيح العقيدة، كثير الحديث. قدم بغداد وخرج إلىٰ الشام ومات بها. له كتب، منها: كتاب الغيبة، كتاب الفرائض، كتاب الرد علىٰ الإسماعيلية. رأيت أبا الحسين محمد بن علي الشجاعي الكاتب يقرأ عليه كتاب الغيبة تصنيف محمد بن إبراهيم النعماني بمشهد العتيقة، لأنه كان قرأه

١. فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، النجاشي، ص٣٨٤.

عليه، ووصىٰ لي ابنه أبو عبد الله الحسين بن محمد الشجاعي بهذا الكتاب وبسائر كتبه، والنسخة المقروءة (المقروة) عندي[١].

القواعد والمنهجية في غيبة النعماني قدس سره: هذا الكتاب القيّم يقع في (٢٦) فصلاً، ومن بين أهم المسائل التي بحثها الشيخ النعماني قدس سره، هي: باب الوصية بالإمام وما روي في أنَّ الأئمة اثنا عشر إماماً، وأنهم من الله وباختياره، وأعقب ذلك بما روي عن العامة.

وهذا منهج وقاعدة متبعة في الإثبات، والمهم في هذا الجانب ملاحظة منهجيته في طريقة بيان المسائل المهدوية وتبويبه له.

ثم تحدث عن الرايات التي ترفع قبل القائم عليه السلام ومن يدعي الإمامة بغير وجه الحق، ومن يشك في الإمام عليه السلام، وأنَّ الأرض لا تخلو من حجة، وفي هذا الجانب يجد المدقق أنَّه يقتفي أثر شيخه الكليني رضي الله عنه في التصنيف.

ثم ذكر ما روي في غيبة الإمام الحجة من أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام، ولعل الشيخ الصدوق قدس سره في هذه المسألة اقتفىٰ أثر الشيخ النعماني رحمه الله، لأنَّه في طبقة مشايخه.

ثم ذكر الروايات التي تحدثت عن مسألة الصبر والانتظار وطلب الفرج وما يقع من شدة ووظيفة الناس فيها، وله عدة تعليقات قيمة في آخر بعض الأبواب، وإن كانت هذه التعليقات لا تخلو من النظرة التشاؤمية والحدة في بعض الأحيان.

ثم ذكر مسألة صفات الإمام عليه السلام وسيرته وأفعاله وفضائله وما نزل فيه وما يعرف به وصفات جنوده إلىٰ أدق التفاصيل، ولعله رحمه الله أول من كتب في هذا الباب مما وصل إلينا من مصنفات الأصحاب.

ثم ذكر مسألة العلامات وما يدل علىٰ ظهوره والشدة التي تكون قبل ظهور الإمام عليه السلام وما جاء من العلامات المحتومة وفصّل فيها في عدة أبواب

١. وهذا من الطرق العالية لإثبات النسخ للكتاب من جهة كون النسخة المقروءة عند الشيخ النجاشي رحمه الله.

بما لا نظير له قبله، من بيان راية الإمام عليه السلام وجيش الغضب ومقدار عمره عند خروجه ومدة ملكه.

ثم ذكر مسألة التوقيت والمنع عن التسمية، وغير ذلك مما يتفرع عليها.

ثم ذكر مسألة استئناف الإمام للإسلام جديداً، وما ترتب علىٰ هذه المسألة من شبهات وتهم للشيعة إلىٰ يومنا بسبب كون رواياتها من المتشابه.

النموذج الرابع: الشيخ الصدوق قدس سره وكتابه كمال الدين لا يحتاج إلىٰ تعريف، وهو من الكتب التي اختصت ببحث الغيبة مفصَّلاً علىٰ طريقة المحدثين ونقل المقولات الكلامية، والصفحات الأولىٰ منه وبما يقرب من (٦٠) صفحة فيها عصارات البحث الكلامي في الإمامة ومنهج متكامل في الرد علىٰ منكر الإمامة والغيبة.

كتاب كمال الدين وتراث ابن قبة الرازي رحمه الله: هذا الكتاب هو الوحيد الذي نقل نصوص كلمات الشيخ ابن قبة رحمه الله وتضمن بعض كتبه، وما وصل إلينا من تراث لابن قبة رحمه الله هو عن طريق كمال الدين حصراً، فله رحمه الله الفضل في ذلك، وبذلك يعد هذا الكتاب من الكتب الكلامية المختصة ببحث المهدوية والتي مزجت بين منهجية أهل الحديث والكلام في إثبات الإمامة للحجة ابن الحسن والولادة والغيبة وعدة مسائل أخرىٰ.

قواعد المسائل المهدوية في كتاب كمال الدين:

من المعلوم أنَّ عدد أبوب الكتاب بعد مقدمة كلامية مفصلة هي (٥٨) باباً، أغلبها في إثبات الغيبة، وقد تضمن هذا الكتاب المبارك العديد من القواعد، منها:

قاعدة الأشباه والنظائر في إثبات الغيبة: بحث الشيخ الصدوق قدس سره وقوع الغيبة في الأنبياء بما لم يتطرق إليه غيره رحمه الله، وهذه مسألة اختص بها قدس سره، وهي

فرع من فروع مسألة الغيبة وطريقة من طرق إثباتها من خلال وقوعها في الأنبياء عليهم السلام وجملة من الأولياء عليهم السلام وغيرهم، وهذا منهج رصين وقاعدة عامة من قواعد الإثبات تدخل تحت عمومات الأشباه والنظائر وحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز.

قاعدة عدم الاستيحاش من طول العمر: ذكر قدس سره فيها أخبار المعمرين لأجل عدم الاستيحاش من طول العمر في الحجة عليه السلام.

قواعد لعدة مسائل وتفريعات: كمسألة التوقيعات وهو أوّل من ذكرها، مسألة التشرف برؤية الحجة عليه السلام، مسألة العلامات، مسألة الانتظار وثواب المنتظرين، مسألة التسمية للحجة عليه السلام. وغيرها.

يتبيَّن لك بمراجعة فاحصة حجم القواعد العامة التي تضمنها كتاب كمال الدين وأهميتها، وما ذكرناه بعضها.

النموذج الخامس: الشيخ المفيد قدس سره، وكتبه ومؤلفاته الفقهية منها أو الكلامية أو غيرهما كثيرة جداً، والذي منها في الإمامة وخصوص الحجة عليه السلام وغيبته عديدة حيث ذكر فيها عدة مسائل مرتبطة بالمهدوية، ومن بين تلك الكتب المختصة، كتاب المسائل العشرة في الغيبة، وكتاب مختصر في الغيبة، وكتاب الغيبة الكبير، النقض علىٰ الطلحي في الغيبة، جوابات الفارقين في الغيبة، كتاب الجوابات في خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه، كتاب الإفصاح في الإمامة، وكتاب الإيضاح وكتاب العمدة فيها أي الإمامة.

وملاحظة فهرست كتاب المسائل العشرة في الغيبة يتضح لك الجهد الكبير الذي بذله الشيخ المفيد قدس سره في ضبط العديد من قواعد المسائل المهدوية، ومنها المرتبطة بمسألة الغيبة في فصول (١٠)، ومما ذكره فيها:

قواعد مرتبطة بمسألة الاستتار وأنَّها عرفية، حيث ذكر عدة شواهد عرفية عديدة علىٰ مسألة الاستتار.

قاعدة في ذكر مسألة اختلاف الفرق بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام وتأثيرها على إثبات إمامة الإمام الحجة ورد ذلك، ومن ثم فصل في قضية جعفر عم الإمام المهدي عجل الله فرجه ورده لذلك، ومنها - أي القواعد المهمة في الرد - اعتراف أولاد جعفر بإمامة الحجة عجل الله فرجه.

قاعدة: في مسألة دواعي إخفاء الإمام العسكري عليه السلام لولده، وهي من القواعد المهمة في هذا الباب والتي يندفع بها الكثير من الإشكاليات ويتبين من خلالها الدور الكبير للأئمة عليهم السلام وطرقهم المختلفة في التعامل مع هذه العقيدة.

قاعدة في مسألة وجوه الغيبة وأنَّها من القضايا العرفية، ورد قول من أنكر كونها خارجة عن دائرة العرف.

قاعدة مستفادة من كلمات الشيخ الصدوق قدس سره: في ذكر عدَّة غيبات للأنبياء عليهم السلام إذ حذا في البحث حذو الشيخ الصدوق قدس سره.

قواعد في مسألة طول العمر وكيفية إثباته، حيث ذكر في طياتها منهج الرد على المخالف فيها، وذكر عدَّة شواهد ممن طالت أعمارهم، وفي هذا البحث اقتبس من الشيخ الصدوق قدس سره وقد سار على نهجه شيخ الطائفة قدس سره في كتاب الغيبة على ما يأتي.

قواعد في مسألة علامات الظهور، وكيفية معرفة الإمام عليه السلام إذا ظهر، وغير ذلك من المسائل.

النموذج السادس: السيد المرتضى قدس سره، وكتبه عديدة، ومن بين أبرزها كتاب الشافي الذي كان رداً على محاولة القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه المغني أن يُفند أقوال الإمامية وعقيدتهم في الإمامة بكل ما أوتي من قوة، مما دعا الشريف المرتضى قدس سره إلى تأليف كتابه الشافي في الإمامة الذي رد فيه عليه، وأبطل حججه، ونقض كتابه المذكور، ولأهمية الكتاب ودقته نجد أنَّ

نفس السيد المرتضىٰ قدس سره يشير إليه في كتبه الأخرىٰ ككتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام والذخيرة في علم الكلام والمقنع، وقد لُخص الكتاب من قبل الشيخ الطوسي قدس سره وأسماه تلخيص الشافي، وقام أبو الحسن البصري بنقض الكتاب، بكتاب أسماه نقض الشافي، وألف أبو يعلىٰ سالار بن عبد العزيز رحمه الله كتاب (الرد علىٰ أبي الحسن البصري في نقضه كتاب الشافي في الإمامة)، نقض به كتاب البصري، وكان هذا في حياة السيد المرتضىٰ قدس سره.

كتاب المقنع في الغيبة:

ومن كتبه المختصة بالمسائل المهدوية كتابه المقنع في الغيبة، وهو من بين أدق الكتب وأعمقها في بحث مسائل الغيبة بل وغيرها، ومما تعرض له قدس سره في هذا الكتاب:

قواعد عديدة بحث فيها قدس سره الأصول الموضوعة لإثبات الغيبة، ومنها:

أ - أصل وجوب الإمام والعصمة، وقد اعتمد علىٰ هذين الأصلين كل من جاء بعده قدس سره ونجد حضورهما اللافت في كتاب الغيبة لشيخ الطائفة قدس سره، وقد أكد قدس سره في عدة مواضع من كتابه المقنع في مقام الرد علىٰ الخصوم من ضرورة المحافظة علىٰ أصول البحث التي وضعها في كتابه.

ب - فرعية البحث في المسائل المهدوية علىٰ الأصول: وهذه المسألة بالخصوص يظهر لي أنَّها أخذت من الشيخ ابن قبة الرازي رحمه الله وسار عليها أعيان الطائفة بعده، بل هو قدس سره يصرح بنفسه اعتماد شيوخ المعتزلة علىٰ هذه الطريقة، ثم يبين مميزات هذه الطريقة، وهذا بحث غاية في الأهمية من جهة وضع القواعد والأصول في العلوم وبيان منهجية البحث وترتب الأبحاث بعضها علىٰ بعض.

قواعد مسألة علل الغيبة، وأنَّ الجهل بعلل الغيبة لا ينافي وقوعها، وهي مسألة وسّع فيها شيخ الطائفة قدس سره في كتابه الغيبة.

قاعدة مسألة الاستتار، حيث ذكر بعضاً ممن وقعت فيه وحكمتها، وبيّن سبب عدم وقوع الغيبة في الأئمة السابقين عليهم السلام ومن ثم بّين الفرق بين الغيبة والعدم.

قاعدة في مسألة إمكان ظهور الإمام عجل الله فرجه بحيث لا يمكن أن يراه أحد، وهي من القواعد المهمة في هذا الباب.

عدَّة قواعد في مسألة إقامة الحدود في الغيبة، وإمكان إقامة واستخلاف الإمام عليه السلام لغيره، وهذه المسألة من المسائل الحساسة خصوصاً في زماننا لما يتفرع عليها من بيان العلاقة مع الدولة وطرق إقامة الحد وصلاحيات الفقيه وغير ذلك.

قاعدة حساسة فيما لو احتجنا إلىٰ الإمام الغائب عليه السلام في بيان حكم مسألة مهمة ما هو السبيل؟

قاعدة في مسألة عدم ظهور الإمام لأوليائه وبيّن أسبابها، وما هو تكليف الولي والتابع للإمام عليه السلام في هذا الصدد، وهي مسألة سنبحث عدة قواعد لها في آخر البحث، وذكر في هذا الباب عدة تفصيلات غاية في الأهمية لعل أغلب الباحثين فضلاً عن غيرهم لم يطلعوا عليها.

قاعدة في مسألة عدم منع الغيبة للإمام عليه السلام من التأثير وذكر عدة تفصيلات دقيقة في ذلك، فراجع.

قاعدة في مسألة علم الإمام عليه السلام في الغيبة بما يجري وحكمه.

قاعدة في مسألة كيفية معرفة الإمام عليه السلام بوقت ظهوره وعلىٰ أي شيء يعتمد وفصّل فيها تفصيلاً دقيقاً[1].

النموذج السابع: شيخ الطائفة الشيخ الطوسي قدس سره: وهو غني عن التعريف، وله العديد من الكتب والفصول في مسائل الإمامة والغيبة، مبثوثة في

١. أخي العزيز هل تعلم أنَّ هذا الكتاب العميق والدقيق مكون من (٨٧) صفحة؟!

مصنفاته، وكتابه العظيم كتاب الغيبة الذي يمثل دورةً كلامية متكاملة مرتبطة بالإمام المهدي عجل الله فرجه قل نظيرها، فقد جمع في هذا الكتاب، بين الاستيعاب لأغلب مسائل المهدوية، حيث فصّل فيها وذكر في أغلبها القواعد التي يصح الاعتماد عليها في إثبات المسائل المهدوية.

ومما جاء فيه من مسائل مهدوية تضمنت بيان العديد من القواعد:

قواعد تأسيس الأصل في بحث الغيبة والإمامة: وسار قدس سره في هذه المسألة تبعاً لشيخيه المرتضىٰ قدس سره والمفيد قدس سره في عدَّة مسائل مفصلة تضمنت سد ثغرات الأصل، وقد فصّل قدس سره في عدَّة نقاط البحث في الغيبة وأحكامها بذكر حكمتها وعلتها وحدودها، وأنَّها ليست بخارقة للعادة، وأنَّ لها عدَّة نظائر، ذكر ذلك في عدة مواضع من الكتاب وليس في موضع واحد، وتبع في ذلك شيخه المفيد قدس سره.

قواعد إبطال فرق الواقفة: فقد وسع قدس سره في رد الفرق الواقفة، وفي هذه المسألة لا يوجد نظير لما ذكره قدس سره من حيث تأسيس الأصل وتفريع النتائج علىٰ القواعد.

قواعد إثبات الولادة: عدة قواعد ومسائل وتفريعات في إثبات ولادة الإمام الحجة عجل الله فرجه ودفع ما يعترض به عليها، ومن رأىٰ الإمام عليه السلام، وذكر قدس سره بعض معجزاته، وهذا البحث بالكيفية الموجودة في الغيبة لا نظير له قبله.

قواعد مسألة طول العمر والاستشهاد عليها: وفي هذا البحث تابع شيخه المفيد قدس سره.

قواعد مسألة الإلزامات: حيث قام بإيراد أخبار العامة والخاصة في الاثني عشر عليهم السلام، يتابع في ذلك الشيخ النعماني في هذه المسألة.

قواعد مسألة ذكر الغيبة قبل وقوعها: حيث ذكر لإثبات الغيبة في الحجة عجل الله فرجه بإثباتها والاستدلال عليها بالروايات الواردة من الأئمة عليهم السلام متابعاً في ذلك الشيخ النعماني والصدوق قدس سرهما.

قواعد مسألة التوقيعات المهدوية وآثارها: التوقيعات الصادرة منه عليه السلام وما ذكره من توقيعات لم يذكره غيره وهو العمدة فيها، ولولا ذكره قدس سره لها لما وصلت إلينا.

قواعد السفارة والنيابة الخاصة: ذكر قدس سره أخبار السفراء الأربعة والوكلاء العامين وهم كُثر، ثم ذكر المذمومين منهم، وفصَّل في الأربعة وذكر أخبارهم وأدلة إثبات سفارتهم، بما لم يسبق له نظير.

قاعدة في مسألة عمر الإمام عليه السلام وأخبار موته وهل يقتل أو يموت حتف أنفه، وهذه مسألة لم يذكره أحد قبله.

قاعدة في مسألة التوقيت للظهور، حيث ذكر شطراً من العلامات وبحث وقوع البداء فيها، وختم بمنازل الإمام عليه السلام وصفاته.

نكتفي بهذا القدر من استعراض القواعد في المسائل المهدوية المذكورة في كتب أعيان الطائفة (رضوان الله تعالىٰ عليهم) من أعيان الغيبة الصغرىٰ وأوائل الكبرىٰ.

هذا وقد استمر ولله الحمد والمنة الجهد من علماء الطائفة وأعيانها بالكتابة والتأليف إلىٰ زماننا الحالي، حيث برزت جملة من الأبحاث في المسائل المهدوية، بما لا يسع البحث ذكرها.

الفصل الثاني: القواعد العامة التي ينبغي الاشتغال عليها وآليات التعاطي المعرفي مع المهدوية:

المعروف ومنذ القِدَم أنَّ الخوض في كل قضية معرفية كانت أو عقائدية أو فقهية أو قرآنية أو أخلاقية أو غيرها يحتاج إلىٰ منهج ورؤية مسبقة تتيح للباحث مساحة من الخوض في القضية التي يروم بحثها.

وبقدر إلمامه بالقواعد العامة والأُسس والضوابط ستتجسَّد تلك القدرة في ضبط التفصيلات وعدم الوقوع في المتهافتات، وبقدر هذا الضبط وما

يترتب عليه، نجد الابتعاد عن هذه القواعد يؤثر سلباً في تشوش البحث وعدم انضباطه وخروج النتائج مشوهة ومجتزئة.

والبحث حول هذا الفصل يقع في عدَّة نقاط:

الأولىٰ: تأصيل القواعد:

القضية المهدوية تشكِّل جزءاً من البناء العقائدي والكلامي في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ومنذ القِدَم وما قبل زمان شيخ الطائفة قدس سره ومن زمان يونس بن عبد الرحمن رحمه الله وهشام بن الحكم رحمه الله وأضرابهم، يجد المتتبِّع في زوايا كلماتهم منهجية واضحة رصينة تنم عن جهد استثنائي وكبير بذله هؤلاء الأعاظم رضي الله عنهم لتشييد أركان البناء العقائدي وبالخصوص في مسألة الإمامة وإمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه، علىٰ ما تقدم في استعراض عدَّة نماذج.

وكنموذج من ذلك نلاحظ كلمات بعضهم وكيف يترجمون إلىٰ مَنْ مَنهج المسائل وقعّد القواعد:

قال شيخ الطائفة قدس سره في الفهرست في حق هشام رحمه الله (ت ١٧٩ هجرية)، عند ترجمته له: (كان من خواص سيدنا ومولانا موسىٰ بن جعفر عليه السلام، وكانت له مباحثات كثيرة مع المخالفين في الأصول وغيرها.

وكان له أصل... وكان ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذَّب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام...).

فلاحظ كيف وصفه بالحذاقة في هذه الصناعة وتفتيقه وتهذيبه للمسائل الكلامية ووضع القواعد لها، هذا كله ما قبل سنة (١٧٩).

ولاحظ في هذا الصدد ما قال رحمه الله في معرض ترجمة شيخه، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه (ت ٤١٣ هجرية)، قال في الفهرست: (محمد بن محمد بن النعمان المفيد، يكنىٰ أبا عبد الله، المعروف بابن المعلم، من جملة متكلِّمي

الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدّماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدّماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، مقدماً في العلم وصناعة الكلام...).

ولم يقف الحد عند هذا القدر بل كان للحذاق منهم والأساطين كرسي لا يجلس عليه إلَّا من كان قيّماً بهذا الأمر ومن المقتدرين فيه، لاحظ ما قاله الشيخ النجاشي رحمه الله في ترجمة الشيخ محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري (ت ٤٦٥ هجرية)، في الفهرست: (أبو يعلىٰ خليفة الشيخ أبي عبد الله بن النعمان والجالس مجلسه، متكلِّم، فقيه، قيم بالأمرين جميعاً، له كتب، منها: المسألة في مولد صاحب الزمان عليه السلام، المسألة في الرد علىٰ الغلاة... الموجز في التوحيد ...، مسألة في إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله).

والذي يتابع كلمات حتَّىٰ المستبصر منهم كما تقدم في النماذج التي ذكرناها - كالشيخ عبد الرحمن ابن قبة يقف علىٰ منهج رصين وقدرة فائقة إلىٰ التطبيق وضبط تفرعات المسائل.

حتَّىٰ خرج لنا أمثال كتاب غيبة الشيخ قدس سره وما ناظره من الكتب في هذا الصدد من تراث السيد المرتضىٰ قدس سره ومن قبله شيخه المفيد قدس سره.

ولكن ولفترة زمنية ليست بالقليلة عزَّ التماس وضوح المنهج والرؤية الواضحة أو امتلاك المنهجية فيما يرتبط بالقضية المهدوية - خلا عدد قليل من أعيان الطائفة وجملة من علمائها ممن كتب في مسائل المهدوية -.

فتجد بعض الباحثين وفي بحث واحد بل في مورد واحد ومسألة فاردة يضعف عدداً من الروايات لا تناسب رؤيته ويعتمد علىٰ واحدة منها ضعيفة لأنَّها تنساب رؤيته التي بنىٰ عليها مسبقاً والتي يسعىٰ جاهداً إلىٰ تحشيد الأدلة عليها دونما نظر إلىٰ آثار ترك ما يدل علىٰ غيرها، ودونما رؤية في إبطال

الأدلة المخالفة لفكرته ولو تكاثرت، فيما تجد نفس هذا الباحث وفي بحث آخر يقوّي نفس هذه الأدلة التي ضعَّفها في بحثه السابق ويضعِّف ما قوّاه، لا لأجل منهجة واضحة وطريق مرسوم محدّد الملامح، بل لأجل الانتصار للفكرة ليس إلَّا.

وهذا مما يوجب ضعف البحث وتقليل حجم مؤثريته في وسط القارئ الحصيف.

فما هو الضير في الاشتغال بالمتابعة الدقيقة لكتب المشايخ كالمفيد قدس سره والسيد المرتضىٰ قدس سره والطوسي قدس سره والوقوف علىٰ منهجهم وتحريّه وتحريره واعتماده أو بعضه، بل وإخراجه بعنوانه أو بغيره، لتنتظم المنظومة المهدوية بشكل يوازي انتظام المسائل الكلامية الأخرىٰ من التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد، بل والفقهية بعد ضبط المناهج الأصولية.

فالحري بالباحث في تفصيلات القضية المهدوية أن يمتلك - بالحد الأدنىٰ - القراءة الدقيقة الفاحصة لكتب المشايخ - علىٰ ما تقدم في شرح معنىٰ الدرس المهدوي - لما فيها من مخزون معرفي مرتبط بالعقيدة المهدوية مرتكز علىٰ قواعد رصينة ومبادئ صلبة تضبط البحث وتدفع اختلال النتائج، ولعلنا نوفق لاحقاً في رسم معالم هذا المنهج اعتماداً علىٰ ما ذكرناه من مصادر الأعيان المذكورين وبانضمام ما ناظرهم.

الثانية: البحث العام في تأسيس القواعد:

نتحدَّث في هذه النقطة من هذا الفصل عن إطلالة في كيفية تخريج القواعد المهدوية من خلال الاستعانة بما تم تقعيده في علم الكلام والتفسير والأصول وغيرها من العلوم، إذ ليس المقصود من بناء القواعد في العقيدة المهدوية هو البناء لها بمعزل عن القواعد العامة المذكورة في العلوم الدينية

وما يدخل في بناء الأصول والقوانين العامة، كلا وحاشا، بل المقصود هو توظيف ما هو أصيل منها، وبيان وجوه ربطه وتحليله، والجهد يكمن في كيفية توظيفه وجعله متناسباً مع محل البحث، أو في كيفية تخريجه وضبطه بعد إجراء إصلاحات عليه، وعلىٰ سبيل المثال، لو قدر لشخص أن يكتب دروساً مهدوية ويضع منهجية ويُقعّد لبحثه القواعد الدخيلة في ضبط مسائل البحث ترىٰ كيف سيصنع؟

نجد أنَّه سينظر وعلىٰ سبيل المثال إلىٰ مسائل علم الكلام، أو مسائل علم الأصول أو التفسير أو غيرهم من العلوم الدينية، وكيف تكونت، بل وإلىٰ مسائل علم الرياضيات أو علم الهندسة أو الطب، وغيرها من العلوم، ومن ينظر كذلك سيجد أنَّ سيرة العقلاء بمعونة ما أعطته السماء، وبتراكم الخبرات وتلبية للحاجات المستجدة والمختلفة أنَّها أوجبت تطور العلوم وتفتق بعضها من بعض، وسيجد المتأمل الفطن أنَّ في هذه العلوم جملة من القوانين العامة وأخرىٰ خاصة وتطبيقية، وأنَّ القواعد والقوانين ينقسم بعضها إلىٰ بديهية وضرورية وإلىٰ أخرىٰ نظرية تحتاج إلىٰ استدلال، وهذا هو الحال في كل صنعة وعلم وفن من الفنون والمعارف.

أمثلة علىٰ التوسعات في العلوم: مثلاً مسألة الاستصحاب لم تكن ولطيلة قرون من القواعد العامة، ثم صارت قاعدة أصولية عامة لا يمكن الاستغناء عنها، وأصبحت لها تفريعات عديدة وتفصيلات مختلفة وأُلحق بها العديد من التنبيهات والتفصيلات الموسعة والمعمقة.

فصار أصل كون الاستصحاب في زماننا من الأصول العملية من الضرورات ومواطن البحث فيه إنَّما في تفاصيله وتفريعاته وتنوع الأدلة الدالة علىٰ اعتبار حجيته.

فيما نجد بعض المسائل التي كانت رائجة ومحل بحث موسع في هذا العلم مما لا يكاد يبحث في زماننا كبحث الانسداد وغيره.

وهكذا في مسائل علم الكلام نجد أنَّ بعض مسائله باتت خارج دائرة الاستدلال عليها لتبدّدها، ومسائل أخرىٰ خرجت منه أو كادت، ولم تعد تبحث فيه كبعض الصفات التي كانت مثار بحث واسع كصفة القِدم مثلاً.

فيما نجد مسائل أخرىٰ شكلت ولا تزال محور بحث دائم نظير صفة العلم والحياة والقدرة.

وهناك مسائل وبحوث أخرىٰ أُضيفت إليه وصارت محوراً لجملة من مسائله كما أشير إليه في مسائل ما يُعرف بعلم الكلام الجديد أو المعاصر.

وهكذا في المسائل الفقهية حيث خرج منها - أو كاد - مسائل بحث الآبار وبحث الرق والعبودية وما يتفرع عليه من مسائل، ودخل فيه مسائل لم تكن منه كبحث العديد من المسائل المرتبطة بالطب الحديث وأحكام البنوك ومسائل حفظ النظام ومنظومة العلاقات الدولية والنظم العامة، دخلت بشكل لافت وموسع.

وهكذا في مسائل بقية العلوم غير الدينية كعلم الطب والرياضيات والهندسة، فقد توسعت وخرج منها الكثير ودخل فيها أكثر مما خرج منها.

بل وجود علوم حديثة مستقلة مما لا يكاد يخفىٰ كعلم الاتصالات والبرمجيات وما يرتبط بها ويتفرَّع عليها.

وهي علوم لها قواعدها وأصولها المُبينة في مواطنها.

والقواعد العامة في المسائل المهدوية موجودة وإن لم تجمع تحت عنوان مستقل ولم تفرد بكتاب خاص تلحظ فيه كمجموعة، نعم المُتتبع يجد هذه القواعد مبثوثة ومتناثرة في أمهات كتب القدماء من أعيان الطائفة قدس سرهم ممن أشرنا إلىٰ بعضهم.

الثالثة: القواعد في المهدوية:

من بين أهم تلك القواعد سواء كانت متداخلة مع علوم أخرىٰ أو مختصة بعلم المهدوية:

أ – **القواعد العامة**: المسائل المهدوية من جهات عديدة مشابهة للمسائل الكلامية والتفسيرية، بل وبعض الفقهية، في اعتمادها علىٰ قواعد مشتركة تبحث في علوم أخرىٰ مستقلة عن علمها، كعلم الأصول مثلاً أو علوم الحديث.

فالدارس للمسائل المهدوية يأخذ مسائله المرتبطة بعلوم الحديث من هناك، بعد أن يكون له نظر خاص فيها ليتجنب الوقوع في التقليد – لمن يريد التخصص –، وكذلك المسائل المرتبطة بعلم الأصول أو غيره من علمي التفسير أو الكلام.

فمسائل المهدوية إنَّما يثبت جملة وافرة منها بنفس الطرق التي تثبت بها المسائل الكلامية في بحث التوحيد والنبوة والإمامة، فمسائل المهدوية وإن كانت واسعة إلَّا أنَّها تبقىٰ فرعاً علىٰ بحث الإمامة، كما أنَّ مسائل الصفات الإلهية وإن توسعت تبقىٰ فرعاً علىٰ توحيد الذات، وكذلك المسائل المرتبطة بصلاة المسافر وإن توسعت فهي فرع من بحث الصلاة التي فرع من فروع الدين، وهكذا مسائل بيع الفضولي وإن توسعت تبقىٰ فرعاً من مسألة البيع التي هي فرع من فروع مسائل المعاملات، وهكذا.

فضرورة وجود الإمام عليه السلام في كل زمان وعصمته ونوع علمه وصفاته وخصائصه، مما بحثت مفصلاً في علم الكلام، والذي يعتمد بدوره كثيراً علىٰ علوم الحديث، ومسائل من هذا القبيل وإن كانت مهدوية بالمعنىٰ الأخص لكن أدوات بحثها تؤخذ كأصول موضوعة، إمّا من علوم الحديث أو علم الكلام أو علم الأصول أو غيرها من العلوم الأخرىٰ، ويقوم الدارس للمسائل المهدوية بتطبيقها هنا، هذا بعد أن يكون قد امتلك النظر الخاص في تلك المسائل وإلَّا كان مقلداً لغيره.

ب – **القواعد الخاصة**: وهي عديدة، نذكر منها جهات أربع – بحسب التصنيف الذي نعتمده –، وهذا التربيع ليس حصرياً، فيمكن لمتخصص آخر

تخميسها أو تثليثها حسب ما يعتمده من منهجية بحثية وقدرة في ضبط المسائل وتفريعاتها وما يمتلكه من إحاطة فهرسية في ما يدخل في كل باب، والجهات، هي:

الجهة الأولىٰ: قواعد مسائل الإمامة الخاصة والولادة والغيبة: هذه مسائل مهدوية ثلاث وهي من كبريات مسائل المهدوية، وهي الإمامة الخاصة للإمام الحجة عجل الله فرجه، ومسألة ولادته وقواعدها، ومسألة غيبته وقواعدها، وهذه الجهة تقع في فصول ثلاثة، وكل فصل منها له قواعده العامة المشتركة مع غيره بالمعنىٰ المتقدم، وله قواعده الخاصة، بل بعض مسائل الفصول تختص بقواعد تخصها.

وفصول هذه الجهة (الثلاث) ترتبط بجملة قواعد عقلية وعقلائية وقرآنية وحديثية، وغيرها.

ومما يتفرع علىٰ فصل الإمامة بحث معناها وحدودها وأدلتها ودفع الشبهات المثارة حولها، هذا كله في غير الزوايا العامة من بحث الإمامة، أمَّا فيما يرتبط بالبحوث العامة للإمامة فيمكن بيان القواعد فيها بنحو الأصل الموضوعي والإشارة إلىٰ مواطن بحثها هناك، كما فعل السيد المرتضىٰ قدس سره في كتاب الشافي، وشيخ الطائفة قدس سره في غير واحد من كتبه، وعلىٰ رأسها الغيبة، علىٰ ما مرَّت الإشارة إليه.

ومما يتفرَّع علىٰ فصل الولادة بيان عدَّة قواعد لعدَّة مسائل منها: كيفية الإثبات بالأدلة العامة أو الخاصة ومتىٰ وقعت وجملة من تفصيلاتها ومن قال بها ورد شبهات من أنكرها وما يرتبط بهذا البحث من تفصيلات.

ومما يتفرَّع علىٰ فصل الغيبة من هذه الجهة علىٰ سبيل المثال عدة مسائل، منها: تعريف الغيبة وانقساماتها والقاعدة في الانقسام والآثار المترتبة علىٰ التقسيم والأدلة التي سيقت للإثبات، وفي خصوص الغيبة الصغرىٰ منها بحثت العديد من المسائل المهدوية ووضعت لها جملة من القواعد، من

قبيل: مسألة أصل النيابة الخاصة وحقيقة السفارة وحدود صلاحيات السفير ومكانته العلمية وأدلة إثبات سفارته، مع ملاحظة عدم اشتراك بحوث الغيبة بجهة النيابة، والتنبيه علىٰ الفارق بين الجهتين.

نماذج من قواعد هذه الجهة ذكرها بعض الأعلام قدس سره:

الاستدلال علىٰ إثبات الإمامة من جهة الغيبة: تقريب الدليل: لقد دلَّت الروايات المتواترة علىٰ أنَّ هناك غيبة ستقع في شخص الثاني عشر من ذرّيَّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكرها العلماء وأُلِّفت فيها الكُتُب، ككتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي والنعماني، وكمال الدِّين للصدوق، وغيرهم.

وأنَّها ستقع حتماً، وصارت حديثاً للخاصِّ والعامِّ قبل ولادة الإمام عجل الله فرجه.

فلو لم تصدق هذه الغيبة بوقوعها لاستلزم تكذيب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمَّة من ذريته عليهم السلام.

فتكون الغيبة المخبَر بها قبل وقوعها دليلاً علىٰ إمامته عجل الله فرجه.

يقول رضي الدِّين أبو القاسم عليُّ بن موسىٰ بن طاووس قدس سره: (واعلم يا ولدي محمّد - ألهمك الله ما يريده منك ويرضىٰ به عنك - أنَّ غيبة مولانا (المهدي) (صلوات الله عليه) التي حيَّرت المخالف والمؤالف هي من جملة الحُجَج علىٰ ثبوت إمامته وإمامة آبائه الطاهرين (صلوات الله علىٰ جدِّه محمّد وعليهم أجمعين)، لأنَّك إذا وقفت علىٰ كُتُب الشيعة أو غيرهم مثل كتاب الغيبة لابن بابويه، وكتاب الغيبة للنعماني، ومثل كتاب الشفاء والجلال، ومثل كتاب أبي نعيم الحافظ في أخبار المهدي ونعوته...، وجدتها أو أكثرها تضمَّنت قبل ولادته أنَّه يغيب عليه السلام غيبة طويلة حتَّىٰ يرجع عن إمامته بعض من كان يقول بها، فلو لم يغب هذه الغيبة كان طعناً في إمامة آبائه وفيه، فصارت الغيبة حجَّة لهم عليهم السلام وحجَّة علىٰ مخالفيه في ثبوت إمامته وصحَّة غيبته)[1].

١. كشف المحجَّة لثمرة المهجة (ص٥٣).

وذكر هذا الدليل أيضاً الشيخ الطوسي قدس سره في (الغيبة) بتقرير قريب ممَّا ذُكِرَ هنا، وقال: (وهذه أيضاً طريقة معتمدة اعتمدها الشيوخ قديماً)[1].

وهذا الدليل مرتبط بمسألة الغيبة ولا يبحث في غيرها فهو من مسائل الغيبة وقاعدة من قواعدها بامتياز.

نموذج آخر طريق السبر والتقسيم: مقدمات الدليل: المقدمة الأولىٰ: وهذه المقدمة كلامية ومبحوثة في أصل الإمامة مفصّلاً، وحاصلها: إذا ثبت وجود الإمام عليه السلام في كل حال، وأنَّ الناس بعد كونهم غيرَ معصومين فلابد من وجود إمام في كل وقت من الأوقات وشرائط الإمامة هي: أن يكون الإمام عليه السلام معصوماً وأن تثبت عصمته بدليل قطعي، وأن يكون الإمام عليه السلام موجوداً ولا يفرق في وجوده بين أن يكون ظاهراً معروفاً وحاضراً بين الناس ومشهوراً يشار إليه، أو أن يكون الإمام غائباً مخفياً مستوراً عن الناس يدير شؤونهم ويراهم ويعرفهم ولا يرونه.

وهذه النقطة محل بحثها الغيبة ولا تبحث في غيرها فهي من مسائل الغيبة وقاعدة من قواعدها بامتياز.

المقدمة الثانية: إذا علمنا بمقدمات خارجية أنّ كل من يدّعي الإمامة أو تدّعىٰ له هو ليس بمعصوم، ولا يوجد دليل يدل علىٰ عصمته، لأنَّ أفعال من ادُّعيت لهم الإمامة تتنافىٰ – وبالوجدان –، فنعلم من خلال ظاهر أحوالهم المنافية للعصمة أنَّ هؤلاء ليسوا بأئمة، ومع عدم كونهم أئمة، ومع لزوم الإمامة في كل زمان وفي كل وقت فلابد أن يكون الإمام غائباً مستوراً عن الناس.

وهذه القاعدة مما لم تبحث في غير المسائل المهدوية، فهي من القواعد المختصة.

والنتيجة من هذا الدليل إنّنا سنثبت صحة إمامة الحجة ابن الحسن عليه السلام

---

١. الغيبة للطوسي (ص١٥٧ و١٥٨).

وصحة غيبته وصحة ولادته بعد بطلان دعوىٰ هذه الفرق، وقد فصّل شيخ الطائفة قدس سره هذه الطريقة في عدد غير قليل من صفحات كتابه الغيبة.

نموذج ثالث، طريق الفرعية: وهو ما اعتمده شيخ الطائفة قدس سره في مقدمتين:

الأولىٰ: الكلام في إمامة الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه هو فرع ثبوت إمامته، فلابد من البحث مسبقاً عن إمامته وإثباتها بالطرق المعتمدة برهانياً وجدلياً ثم الاستدلال بها كأصل مفروغ عنه في مسألتنا.

لأجل هذه المقدمة سمّينا هذا الطريق بالفرعية لورود كلمة (فرع) في كلام شيخ الطائفة قدس سره.

الثانية: المخالف لنا: إمّا أن يسلِّم لنا بإمامة الحجة بن الحسن عجل الله فرجه ويسأل عن سبب غيبته وهنا يجب علينا إجابة هذا المخالف وبيان أدلة غيبة الحجة بن الحسن عليه السلام، فتَكَلُّفُ جواب المخالف فرعٌ علىٰ تسليمه لنا بإمامة الإمام الحجة بن الحسن عليه السلام ولو جدلاً ومجاراةً لنا. أو لا يسلم لنا بإمامته وهنا لا معنىٰ لسؤاله لنا عن غيبته إذ لا معنىٰ للبحث في أدلة غيبةِ مَن لم تثبت إمامته.

وهذه الطريقة لا تبحث في غير مسائل المهدوية، فهي قاعدة من قواعدها.

الجهة الثانية: قواعد مسائل النيابة في الغيبتين: وهي جهة مترتِّبة علىٰ أصل الغيبة، وبعض مسائلها تقدّم ذكرها فيما سبق لارتباطها بأصل الغيبة، ويمكن تقسيم هذه الجهة إلىٰ فصلين: فصل الغيبة الصغرىٰ، وفصل الغيبة الكبرىٰ.

ومن العناوين العامة في بحث النيابة: تعريف النيابة بحسب الزمان، أقسامها، مصاديق النيابة والسفارة في الغيبة الصغرىٰ، أدلة إثبات النيابة للنائب، حدود وصلاحيات النائب، مقامات النواب، حدود حجية النواب، دار الوكالة والنيابة.

حقيقة التوقيعات وحجيتها، طرق وصولها وعددها، الآثار المترتبة عليها، وغير ذلك.

النيابة في عصر الغيبة الكبرىٰ، الأدلة علىٰ النيابة العامة، حدود وصلاحيات الفقهاء، المسائل المتفرِّعة علىٰ بحث النيابة العامة من حفظ النظام ومنظومة الحقوق والنظام المالي والإداري والاجتماعي وغيرها.

وفي الفصلين العديد من المسائل التي تحوي جملة غير قليلة من القواعد.

الجهة الثالثة: قواعد مسائل العلامات: وتقسيماتها وحجيتها وتطبيقاتها – التطبيق والتوقيت – وضبطها وإحكامها، وما هو دور المؤمنين تجاه هذه العلامات ودورهم تجاه من يطبقها خطأ، وهو بحث تفرع عليه العديد من المسائل الابتلائية، ويختص بجملة من القواعد والأصول المتناثرة في عدَّة علوم ومسائل.

الجهة الرابعة: قواعد مسائل الدولة والرجعة: وهو بحث في غاية السعة والأهمية وتفرّع عليه عدَّة مسائل وتفصيلات مهمة ذكرت في محلها، من بحث دولته ومدتها وحال الناس فيها وحال الأديان والرجعة وتفصيلاتها، وكل واحدة من هذه المسائل تخضع للعديد من القواعد والأصول الخاصة أو العامة.

الفصل الثالث: نماذج من تطبيقات حول القواعد المهدوية:

حول الوظيفة تجاه الإمام عجل الله فرجه في الغيبة:

التطبيق الأول: في وجوب نصرة الإمام عليه السلام للقيام بوظيفته:

ولأجل تحرير محل النزاع – في البحث – لابد أن نلفت النظر إلىٰ أهمية ضبط المفاهيم التي إن اختلَّ البحث فيها – لأسباب ترتبط بذات المفهوم تارة وبالأدلة عليه أو بما يلحقه من أحكام أخرىٰ – فسيختلّ البحث برمَّته وستنتَّجه في بعض الأحيان عكس الاتِّجاه المطلوب.

في محل كلامنا قد نتَّفق علىٰ معنىٰ النصرة - وما يرادفها من المعاني - عرفياً أو اصطلاحياً، ولكن قد نختلف من جهة متعلقها، فالنصرة للإمام الظاهر مما لا شك في ثبوتها بجميع مراتبها، إلَّا أنَّه قد يتوقف البعض في إثبات بعض المراتب تجاه الإمام الغائب عجل الله فرجه.

في محل البحث نلحظ أن النصرة وما يرادفها[١]، ثابتة للإمام عجل الله فرجه بشخصه وبنفس درجة ثبوتها للنبي صلى الله عليه وآله[٢]، أو من ينص عليه الإمام عليه السلام، ولا مجال لفتح الباب لاستغلالها من قبل البعض بأي نحو من الأنحاء، فما ارتفع من مراتب النصرة له عليه السلام يوجب أن ننتقل إلىٰ غيرها من المراتب التي بعدها لا أن ننتقل بها - أي بهذه المرتبة من النصرة - إلىٰ غيره، فكن علىٰ وعي وحيطة.

في محل الكلام نريد التعرُّض إلىٰ نصرة الإمام عجل الله فرجه في غيبته وقبل ظهوره، وهل تجب بجميع مراتبها، وما هي المراتب التي ترتفع بغيبته، نسأله تعالىٰ أن نوفَّق إلىٰ بيان الحال في هذا المقال.

يقع البحث في بيان عدَّة قواعد متسلسلة:

القاعدة الأولىٰ: قاعدة أنَّ نصرة الإمام عجل الله فرجه علىٰ أساس المزج بين الغيب والبشرية:

ترىٰ هذه النظرية[٣] - خلافاً لنظرية البشرية أو الغيب المحض - أنَّ

١. من الإعداد والاستعداد أو التمهيد، قال في لسان العرب: ج٥، ص٢١٠: النصر: إعانة المظلوم، نصره علىٰ عدوه ينصره؛ قال شيخ الطائفة قدس سره في التبيان: ج٢، ص١٩٩: والنصرة ضد الخذلان.

٢. جاء في الكافي: ج١، ص٣٢٣، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال [الله تعالىٰ]: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، قال: «﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ النبي صلى الله عليه وآله وذريته الأئمة والأوصياء (صلوات الله عليهم)، ألحقنا بهم ولم ننقص ذريتهم الحجة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام وحجتهم واحدة وطاعتهم واحدة». وفيه أيضاً، ص٢٣٥: (عن معمر بن خلاد، قال: سأل رجل فارسي أبا الحسن عليه السلام فقال: طاعتك مفترضة؟ فقال: «نعم»، قال: مثل طاعة علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: «نعم».

٣. تعرضنا لبحث النصرة بشكل مفصل في بحث نشر في مجلة الموعود التخصصية العدد ١٧ فراجع.

قيام الإمام وحركته في إدارة شؤون الناس، بل ودولته عجل الله فرجه تعتمد على عنصر الغيب كما تعتمد على الناس ونصرتهم له قبل ظهوره عجل الله فرجه وفي الأثناء وبعده، وإن اختلفت مراتب النصرة وظروف الحاجة إليها، وحسب قدرة الأفراد ومقدار نصرتهم، فمفردات النصرة والتمهيد والإعداد والانتظار مفردات مرضية ومقبولة وتعبر عن واقع يعيشه المؤمن الذي يترقب ظهور الإمام عليه السلام - صباحاً ومساءً - وإن لم يتحقق ذلك فأمله لا ينقطع عند الرجعة.

القاعدة الثانية: تفرع وجوب الطاعة على ضرورة المعرفة للإمام عليه السلام: ذكرت العديد من الأدلة الدالة على وجوب البحث عن الإمام عليه السلام، والمتضمنة لوجوب طاعته ونصرته، ومن عناوينها:

* دفع الضرر: قال شيخ الطائفة قدس سره[1] في تلخيص الشافي: (أمّا بعد، فإنّي رأيت أهمّ الأمور وأولاها، وآكد الفرائض وأحراها للمكلف - بعد النظر في طريق معرفة الله تعالىٰ - وصفاته، وتوحيده... وهو الإمامة التي لا يتم التكليف عن دونها، ولا يحسن مع ارتفاعها)، وقد ذكرت (٨) أدلة على وجوب البحث عن الإمام الحجة عليه السلام في الجزء الأوّل من دروس في شرح كتاب الغيبة لشيخ الطائفة قدس سره.

ورد عن هشام، قال[2]: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين، فقال له معاوية بن وهب: ... «وأدنىٰ معرفة الإمام أنَّه عدل النبي إلّا درجة النبوة ووارثه، وإنَّ طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله والتسليم له في كل أمر والرد إليه والأخذ بقوله، ويعلم أنَّ الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم أنا ثم من بعدي موسىٰ ابني ثم من

١. تلخيص الشافي - الشيخ الطوسي: ج١، ص٦١.
٢. كفاية الأثر - الخزاز القمي: ص٢٨٧.

بعده ولده علي وبعد علي محمد ابنه وبعد محمد علي ابنه وبعد علي الحسن ابنه والحجة من ولد الحسن». ثم قال: «يا معاوية جعلت لك في هذا أصلاً فاعمل عليه...».

بل فصَّلت النصوص والروايات أكثر من ذلك، فبيَّنت حال من يضعف عن النصرة ماذا يفعل، ففي البحار[1]: قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: قوله عز وجل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] يقول: «أرشدنا للصراط المستقيم، أي أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلىٰ محبتك والمانع أن نتبع أهواءنا فنعطب ونأخذ بآرائنا فنهلك»، ثم قال الصادق عليه السلام: «طوبىٰ للذين هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»، فقال له رجل: يا بن رسول الله، إني عاجز ببدني عن نصرتكم، ولست أملك إلَّا البراءة من أعدائكم واللعن، فكيف حالي؟

فقال له الصادق عليه السلام: «حدَّثني أبي عن أبيه عن جدِّه عن رسول الله (صلوات الله عليهم) أنَّه قال: مَن ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرىٰ إلىٰ العرش، فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه ولعنوا من يلعنه ثم ثنوا فقالوا: اللَّهم صل علىٰ عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر علىٰ أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله عز وجل: قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم وصليت علىٰ روحه في الأرواح وجعلته عندي من المصطفين الأخيار...».

القاعدة الثالثة: لزوم النفر إلىٰ الإمام عليه السلام:

وردت العديد من الروايات في بيان ما ينبغي علىٰ الناس القيام به بعد

١. بحار الأنوار – العلامة المجلسي: ج٢٧، ص٢٢٥.

مضي الإمام السابق عليه السلام وكيفية البحث والتحري عن الإمام اللاحق عليه السلام رغم شدة الظروف وقساوة الظلمة ورصدهم لأدق التحركات في هذا الصدد، وقد بوَّب الشيخ الكليني رحمه الله في هذا المعنىٰ باباً تحت عنوان: ما يجب علىٰ الناس عند مضي الإمام عليه السلام، مما جاء فيه[١]:

ما رواه بسنده عن يعقوب بن شعيب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إذا حدث علىٰ الإمام حدث، كيف يصنع الناس؟

قال: «أين قول الله عز وجل: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]»؟

قال: «هم في عذر ما داموا في الطلب وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر، حتَّىٰ يرجع إليهم أصحابهم».

يتبيَّن لك مما تقدم أنَّ طلب الإمام ولزوم البحث عنه، لا رخصة فيها ويجب النظر لتحصيلها، فهذه الضرورة تحتم البحث والتقصي واستبيان الحال ولا خصوصية لذاك الزمان عن هذا سوىٰ الغيبة، التي قد ترفع بعض مراتب النصرة لا جميعها.

القاعدة الرابعة: إطلاق لزوم التمكين للإمام عليه السلام:

ذكرت مفردة التمكين والنصرة علىٰ لسان العديد من علماء الطائفة، وليس في خصوص الخطاب الخاص بالإتباع، بل حتَّىٰ في موارد الحجاج مع الخصوص، مما يعكس كونها مفردة من المفردات الراسخة والمعروفة في الطائفة حتَّىٰ عدت لوضوحها من المفردات التي يصح الاحتجاج بها مع الخصوم، وممن ذكر ذلك جماعة، منهم:

قال السيد المرتضىٰ قدس سره[٢] في فصل: (الدلالة علىٰ وجوب الرياسة في كل

١. الكافي – الشيخ الكليني: ج١، ص٤٢٨.

٢. الذخيرة في علم الكلام – الشريف المرتضىٰ: ص٤١٦.

زمان): (وقد خلق الله تعالىٰ إمام الزمان (عليه وعلىٰ آبائه الصلاة والسّلام)، ونصّ الإمامة علىٰ عينه، ودلَّ علىٰ اسمه ونسبه، بالأدلة القاطعة، وحثّ علىٰ طاعته، وتوعّد علىٰ معصيته.

فأمّا الأمور التي لا يتم مصلحتنا بالإمام إلَّا بها وهي راجعة إلىٰ أفعالنا، وهي تمكين الإمام والتخلية بينه وبين ولايته، والعدول عن تخويفه وإرهابه، ثم طاعته وامتثال أوامره.

فإذا لم يقع منّا تمكين الإمام وأخفيناه وأخرجناه إلىٰ الاستتار تحرزاً من المضرة، ثمّ نخرج[1] من أن نكون مزاحي العلة في تكليفنا، وكان تعذر انتفاعنا بهذا الإمام منسوباً إلينا، ووزره عائداً علينا، لأنّا لو شئنا أملكناه وآمنّاه، فيتصرف فينا التصرف الذي يعود بالنفع علينا).

وقال قدس سره[2]: (فأمّا قوله: (إنَّه إنَّما يجب أن يحارب معه لو طلب ذلك معه وتشدد عليه) فقد بيّنا أنَّ نصرة الإمام واجبة من حيث كان إماماً وإن لم يطلب هو النصرة. وذكرنا أنَّ الحال التي كان دفع إليها مستدعية للنصرة من كل مسلم لتضايقها وشدَّتها أو ما كفىٰ الزبير في طلبه عليه السلام النصرة كتبه النافذة إلىٰ الآفاق يستنصر فيها ويستصرخ ويدعو الناس إلىٰ القتال معه).

وقد يقال: إنَّ هذا المقطع لا دلالة فيه علىٰ عموم النصرة حتَّىٰ في زمان الغيبة، والذي هو محل كلامنا، فالنصرة مختصة بزمان حضوره، بل لعلها مختصة بأمير المؤمنين عليه السلام.

ولكننا نقول: اختصاص النصرة بأمير المؤمنين عليه السلام مما لا وجه له بالمرة بعد تصريحه قدس سره بأنَّ النصرة للإمام من حيث إنَّه إمام، فهي واجبة لحيثية الإمام، وبنفس هذه الحيثية ترتفع خصوصية الغيبة إذ ملاك النصرة هو عنوان الإمامة ولا مدخلية للغيبة كمانع عنها، خصوصاً مع تصريحه بلزوم نصرة الإمام عليه السلام كما

١. هكذا في المصدر وعدة نسخ ولعل المقصود به أن خروجنا عن عهدة النصرة وإزاحة العلة لا يكون...

٢. الشافي في الإمامة – الشريف المرتضىٰ: ج٤، ص٣٤٦.

في المقطع المتقدم بل وما يأتي منه ومن شيخ الطائفة قدس سرهما.

وقال قدس سره في الشافي[١]: (وبيّنا أنَّ سبب الغيبة هو فعل الظالمين، وتقصيرهم فيما يلزم من تمكين الإمام فيه والإفراج بينه وبين التصرف فيهم، وبيّنا أنَّهم مع الغيبة متمكِّنون من مصلحتهم بأن يزيلوا السبب الموجب للغيبة ليظهر الإمام، وينتفعوا بتدبيره وسياسته).

قال أبو الصلاح رحمه الله[٢]: (كيفية الجمع بين فَقْد اللطف بعدم ظهوره وثبوت التكليف) وأمّا فَقْد اللطف بظهوره متصرفاً ورهبة لرعيته مع ثبوت التكليف الذي وجوده مرهوباً لطف فيه مع عدمه، فإنَّ اختصاص هذا اللطف بفعل المكلف لتمكنه من إزاحة علة نفسه بمعرفة الحجة المدلول علىٰ وجوده وثبوت إمامته وفرض طاعته وما في ذلك من الصلاح وقدرته علىٰ الانقياد، وحسن تكليفه مع تمكين الإمام وإرهابه أهل البغي لطف فيه... وتكليفه لازم له وإن فقد لطفه بالرئاسة، لوقوف المصلحة في ذلك علىٰ إيثاره معرفة الإمام والانقياد له باختياره دون إلجائه) وكذلك قال به شيخ الطائفة قدس سره في عدَّة مواضع[٣].

وكذا قال قدس سره[٤] وقال قدس سره في الغيبة[٥]، وقال به العلامة قدس سره[٦].

وكذا قال الشيخ علي بن يونس رحمه الله[٧] والشهيد الأول قدس سره[٨] والشيخ العراقي قدس سره[٩].

١. الشافي في الإمامة – الشريف المرتضىٰ: ج٣، ص١٥٠.
٢. تقريب المعارف – أبو الصلاح الحلبي: ص٤٤٢.
٣. تلخيص الشافي – الشيخ الطوسي: ج١، ص١٠٩.
٤. الغيبة – الشيخ الطوسي: ص٣٩.
٥. الغيبة – الشيخ الطوسي، ص١١٧
٦. الألفين – العلامة الحلي: ص١٠٥.
٧. الصراط المستقيم – علي بن يونس العاملي النباطي البياضي: ج١، ص٦٤.
٨. القواعد والفوائد – الشهيد الأول: ج١، ص١٤١.
٩. قاعدة لا ضرر ولا ضرار – تقرير بحث آقا ضياء للسيد الخلخالي: ص٢٨.

إن قلت: وجوب تمكين الإمام عليه السلام ونصرته على الأُمَّة عام وينصرف إلى خصوص زمان حضوره، فلا يشمل مورد كلامنا وأنَّ النصرة واجبة في زمان الغيبة وقبل الظهور.

قلت: هذا الانصراف لا معنىٰ له بعد عموم الدليل وعدم وجود مخصص صريح يخصص زمان النصرة بزمان دون زمان أو حال دون حال ولو في القدر المتيقَّن من النصرة بل صريح كلام السيد المرتضىٰ وشيخ الطائفة قدس سرهما لزوم النصرة للإمام الغائب عجل الله فرجه.

وقد مرَّ آنفاً عدم اختصاص نصرة الإمام عجل الله فرجه ووجوبها على الأُمّة في زمان حضوره، نعم مراتب النصرة تختلف باختلاف الأزمان.

تفصيل وتنبيه: أقسام النصرة ومراتبها: لنصرة الإمام عليه السلام عدَّة مستويات تختلف باختلاف زمان وجوده بين الناس، وباختلاف الظروف وما يريده عليه السلام من الناس، ففي زمان ظهور رسول الله صلى الله عليه وآله كانت النصرة مطلوبة بكل مراتبها: كاللسان والمال والنفس وكل شيء، ومما دلَّ على وجوب نصرة النبي صلى الله عليه وآله بل الأنبياء عليهم السلام عدَّة آيات مضافاً لما تقدَّم، منها:

قال تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللهِ كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللهِ﴾ (الصف: ١٤).

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

قال تعالىٰ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ

مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

بينما نجد في زمان أمير المؤمنين عليه السلام ولتخلُّف عموم الناس عن أهم مراتب النصرة لم يتحقق من نصرته عليه السلام ما كان متحققاً في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله سوىٰ من بعض الأنفار ممن بقوا معه وكانت نصرة كل واحد منهم له عليه السلام مختلفة عن الآخر علىٰ ما هو المعروف بقصة حلق الرؤوس، وحاله عليه السلام معلوم لجميع المسلمين بلزوم نصرته، حتَّىٰ أنَّه دار علىٰ القوم بزوجته وأطفاله وهم خيرة الأرض والسماء.

ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ما لفظه[1]: (إنَّه عليه السلام لما استنجد بالمسلمين عقيب يوم السقيفة وما جرىٰ فيه وكان يحمل فاطمة عليها السلام ليلاً علىٰ حمار وابناها بين يدي الحمار، وهو عليه السلام يسوقه فيطرق بيوت الأنصار وغيرهم، ويسألهم النصرة والمعونة، أجابه أربعون رجلاً فبايعهم علىٰ الموت وأمرهم أن يصبحوا بكرة محلقي رؤوسهم ومعهم سلاحهم، فأصبح لم يوافه منهم إلّا أربعة: الزبير والمقداد وأبو ذر وسلمان، ثم أتاهم من الليل فناشدهم فقالوا: نصبحك غدوة، فما جاءه منهم إلّا أربعة، وكذلك في الليلة الثالثة وكان الزبير أشدّهم له نصرة وأنفذهم في طاعته بصيرة، حلق رأسه وجاء مراراً وفي عنقه سيفه، وكذلك الثلاثة الباقون، إلّا أنَّ الزبير هو كان الرأس فيهم).

وحال الإمام الحسن عليه السلام مما لا يخفىٰ علىٰ العام فضلاً عن الخاص.

أمّا حال شهيد كربلاء عليه السلام وسبط خير الأنبياء صلى الله عليه وآله في طلبه للنصرة مع معلومية شهادته وحكاية النبي صلى الله عليه وآله لها، ومن مواطن طلبه للنصرة وهي عديدة، منها: قوله عليه السلام[2]: «هل مِن ذابٍّ يذبُّ عن حُرم رسول الله؟ هل من موحِّد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا».

---

١. شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد: ج١١، ص١٤.

٢. بحار الأنوار – العلامة المجلسي: ج٤٥، ص٤٨.

وهكذا الحال في بقية الأئمة عليهم السلام وحالهم في خذلان أغلب الناس لهم وعدم نصرتهم معلوم لمن سبر غور التاريخ.

إن قلت: إنَّ النصرة التي كانت مطلوبة في زمان الأئمة والأنبياء عليهم السلام مختصة بزمان حياتهم، ولا تشمل حال الغيبة لعدم ظهور الإمام الواجب نصرته فيها.

قلت: صحيح أنَّ الإمام في زمان الغيبة ليس بظاهر بين الناس، ولكن هذا لا يعني انتفاء جميع مراتب النصرة، فإنَّ النصرة لها مراتب عديدة، وفي كل مرتبة منها أدوار مختلفة تتناسب مع حال الأشخاص والظروف المحيطة بهم وإمكاناتهم واستعداداتهم، وما لا يدرك كله لا يترك جُلُّه، ومن مراتب النصرة: اللسان، وإن لم يتيسر فنصرة القلب مقدورة للجميع وبدون استثناء.

وهل يا ترىٰ يصح أن يقال: إنَّ الإمام عليه السلام غائب، فلا تجب معرفته، ولا يلزم الإيمان به؟

فكما أنَّ لمعرفة الإمام عليه السلام مراتب، فكذا لنصرته.

شواهد ومؤيدات: الانتظار ومراتب النصرة والإعداد:

بعد وضوح ضرورة غيبة الثاني عشر عجل الله فرجه من الأئمة عليهم السلام، تكاثرت الأسئلة من الأصحاب عن الوظيفة في الغيبة وما هي؟

وهذه الأسئلة تكشف بوضوح أنَّ في البين وظيفة محدَّدة للأتباع تجاه كل إمام من الأئمة عليهم السلام، نعم هذه تختلف من إمام إلىٰ آخر، بحسب اختلاف الظروف وما يقتضيه الحال، ومتابعة فاحصة لروايات الانتظار التي قد يقال بتواترها الإجمالي إنْ لم يك المعنوي، ينكشف لنا أنَّ الانتظار هو واحدة من مراتب النصرة للإمام عجل الله فرجه، بل له عدَّة مراتب، فلاحظ بعض روايات الانتظار[1].

١. قد فصلنا الحديث حولها في البحث المشار إلية آنفاً.

نكتفي بواحدة منها، وهي ما جعلت النية فيه تقوم مقام الإصلات بالسيف، وهي من درجات النصرة الانتظارية: في الوسائل[١]: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال في خطبة له: «الزموا الأرض، واصبروا علىٰ البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوىٰ ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجل الله لكم، فإنَّه من مات منكم علىٰ فراشه وهو علىٰ معرفة حق ربِّه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره علىٰ الله، واستوجب ثواب ما نوىٰ من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته بسيفه، فإن لكل شيء مدة وأجلاً».

إشكالان في المقام:

الأول: تقييد الطاعة والنصرة بزمان الظهور فقط: قد يقال: إنَّه ورد في بعض الروايات أنَّ الطاعة للإمام عجل الله فرجه مختصة بزمان ظهوره ولا تشمل زمان غيبته، ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق قدس سره، قال[٢]: حدَّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدَّثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي، يقول: أنشدت مولاي الرضا علي بن موسىٰ عليهما السلام قصيدتي... «وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتَّىٰ يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً...».

والجواب عن ذلك:

١ - بحسب التتبُّع القاصر لم أجد هذا المضمون في الروايات إلّا في هذه الرواية بخلاف ما دلَّ علىٰ الطاعة مطلقاً[٣]، فقد جاء بعدَّة مضامين، وهذا لا يكافئ تلك ولا يقيِّدها.

١. وسائل الشيعة (الإسلامية) - الحر العاملي: ج١١، ص٤٠.
٢. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص٤٠٣.
٣. بل ما صرح بالنصرة في زمن الغيبة في الرواية التي رواها المجلسي رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام وتقدمت في المحور الثالث.

لـو تنزَّلنـا وقلنـا بالتكافـؤ، مـع ذلـك لا تقييـد ولا تخصيـص، لأنَّ ثبـوت الطاعـة والنـصرة للإمـام عليه السلام ولـو بأدنـىٰ مراتبهـا مـن الـضرورات، ومـا هـو كذلـك لا يُقيـد بخـبر واحـد، فلابـد مـن تأويلـه، بـل ليـس فيـه عقـد النفـي كـي يقـع التعـارض.

٢ - قـد يكـون المقصـود مـن الخـبر أنَّ أعـلىٰ مراتـب النـصرة - هـي القيـام بالسـيف والتضحيـة بالنفـس مـن أجـل الإمـام عليه السلام - هـي عنـد ظهـوره ولا نظـر للخـبر إلىٰ المراتـب الأخـرىٰ، ويشـهد لذلـك روايـة أهـل المـشرق فمـع وصـف قتلاهـم بالشـهداء، إلَّا أنَّ الإمـام عليه السلام قـال: «لـو أدركـت ذلـك لاسـتبقيت نفـسي لصاحـب هـذا الأمـر عليه السلام».

الثـاني: الأمـر في زمـان الغيبـة بـأن نكـون أحـلاس البيـوت: ورد في بعـض الروايـات أنَّ وظيفـة النـاس في زمـان غيبـة الإمـام عليه السلام هـو الجلـوس في البيـت وأن يكونـوا عـلىٰ حـدِّ تعبـير الروايـة أحـلاس بيوتهـم، وهـذا ينـافي أو يقيـد مـا دل عـلىٰ النـصرة، إذ يحـدِّد الوظيفـة بأنَّهـا حلـس البيـت فقـط، ومـن تلـك الروايـات: مـا رواه الشـيخ النعـماني رحمه الله[1]: عـن أبي بصـير، عـن أبي عبـد الله عليه السلام، قـال: «إنَّـه قـال لي أبي عليه السلام: لابـدَّ لنـار[2] مـن أذربيجـان لا يقـوم لهـا شيء، وإذا كان ذلـك فكونـوا أحـلاس بيوتكـم، وألبـدوا مـا ألبدنـا، فـإذا تحـرَّك متحركنـا فاسـعوا إليـه ولـو حبـواً، والله لـكأنّي أنظـر إليـه بـين الركـن والمقـام يبايـع النـاس عـلىٰ كتـاب جديـد، عـلىٰ العـرب شـديد، وقـال: ويـل لطغـاة العـرب مـن شر قـد اقـترب».

---

١. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص٢٠٠.

٢. في غيبـة النعـماني: ص٢٧١، بـاب١٤، ح٢٤، عـن أبي بصـير عـن أبي عبـد الله عليه السلام أنـه قـال: «إذا صعـد العبـاسي... لابـد لنـار مـن أذربيجـان لا يقـوم لهـا شيء»، وبنـاءً عـلىٰ قـراءة نـار فـإن وظيفـة الحلسـية تكـون عندمـا تظهـر تلـك النـار دونـما غيرهـا.

وفيه أيضاً[١]: عن أبي المرهف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «هلكت المحاضير»، قال: قلت: وما المحاضير؟ قال: «المستعجلون، ونجا المقربون، وثبت الحصن على أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم، فإنَّ الغبرة على من أثارها، وأنَّهم لا يريدونكم بجائحة إلَّا أتاهم الله بشاغل إلَّا من تعرض لهم».

والجواب عن ذلك:

١ – الحلسية معلقة على صيرورة أذربيجان لأهل البيت عليهم السلام [بناءً على قراءة لنا وليس نار]، ففي ذلك الظرف تثبت وظيفة الأحلاس للناس إلى أن يتحرَّك متحركهم فتتبدل الوظيفة من الحلسية إلى الحبو إليه.

وفي الرواية الثانية تعليق على التعرض [إلَّا من تعرض لهم]، والكلام هو الكلام.

٢ – قد تكون هذه وظيفة خاصة لبعض الناس لا للكل، فمن لا يقدر على مراتب النصرة الأعلى يكون حلس بيته، وهي لا تنفي مراتب النصرة الانتظارية التي تقدَّمت، وقد يكون نظر الرواية إلى بعض الأزمنة التي تكون النصرة فيها مؤدية للهلكة، أو في بعض الأمكنة كذلك، فلا نظر في الرواية إلى المراتب الأخرى كي تقيدها، فهي تفقد العقد الإيجابي الموجب للتقيد أصولياً، فإنَّ المثبتات لا تنافي بينها.

فنصرته في زمان غيبته عجل الله فرجه ثابتة وإن حصل كلام في مقدارها.

التطبيق الثاني حول التسمية للحجة عليه السلام: مسألة التسمية للإمام عليه السلام من المسائل المهدوية التي وقعت محلاً للبحث عند جملة من الأعيان في كتبهم الفقهية، والأقوال في هذه المسألة عديدة نقتصر على جملة منها:

أ – الجواز، قال به الشيخ المفيد والسيِّد المرتضى والمحقِّق والعلَّامة والسيِّد الخوئي قدس سرهم وجماعة[٢].

١. الغيبة – ابن أبي زينب النعماني: ص٢٠٣.

٢. وسائل الشيعة (ج١٦/ هامش ص٢٤٦) حيث نقل رحمه الله أسماء من قال بالجواز، منية السائل للسيِّد الخوئي (ص٢٢٢).

ب - عدم الجواز، قال به الشيخ الصدوق والعلَّامة المجلسي قدس سرهما وجماعة[١].

ج - الجواز ما لم يكن في البين مانع، قال به الشيخ الحرُّ العاملي قدس سره وجماعة[٢].

*** الروايات في المسألة: وهي علىٰ طوائف ثلاثة:**

الطائفة الأُولىٰ: ما دلَّ علىٰ المنع مطلقاً، وهي روايات عديدة، منها ما رواه الشيخ الصدوق قدس سره بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام: «... الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه ولا يحلُّ لكم تسميته»[٣].

الطائفة الثانية: ما دلَّ علىٰ المنع مقيَّداً، والقيود المذكورة عديدة، فبعضها قُيِّد بالمنع إلىٰ زمان الظهور كما في صحيح الشيخ الكليني رضي الله عنه عن أبي جعفر الثاني عليه السلام: «... وأشهد علىٰ رجل من ولد الحسن لا يُكنَّىٰ ولا يُسمَّىٰ حتَّىٰ يظهر أمره فيملأها عدلاً كما مُلِئَت جوراً...»[٤].

وبعضها قُيِّد بالمنع بسبب الخوف والطلب، ومنها ما رواه الشيخ الكليني رضي الله عنه، أيضاً وبسند تامٍّ عن عبد الله بن جعفر الحميري عندما اجتمع هو وأحمد بن إسحاق عند السفير الثاني وسألاه عدَّة أسئلة منها الاسم حيث جاء فيه: (... قلت: فالاسم؟ قال: محرَّم عليكم أنْ تسألوا عن ذلك...، وإذا وقع الاسم وقع الطلب...)[٥].

فيما قيَّدت طائفة ثالثة المنع إذا كان أمام الناس، ومنها ما رواه الشيخ الصدوق قدس سره بإسناده عن الشيخ محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه: «... من سمَّاني

١. كمال الدِّين (ص٣٠٧)، مرآة العقول (ج٤/ ص١٦ و١٧).
٢. وسائل الشيعة (ج١٦/ ص٢٣٧).
٣. كمال الدِّين (ص٣٣٣/ باب ٣٣/ ح١)؛ والخبر يمكن القول بتماميَّة سنده.
٤. الكافي (ج١/ ص٥٢٥ و٥٢٦/ باب ما جاء في الاثني عشر والنصِّ عليهم عليهم السلام/ ح١).
٥. الكافي (ج١/ ص٣٢٩ و٣٣٠/ باب في تسمية من رآه عليه السلام/ ح١).

في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله»[١].

إنْ قلت: إنَّ مصطلح الناس في لسان أهل البيت عليهم السلام هم غير الإماميَّة، فلا يدلُّ المنع إلَّا من خصوص طائفة من الناس.

قلت: ليس دائماً ويختلف باختلاف الموارد ويحتاج إلىٰ قرينة عامَّة أو خاصَّة، وموضع الغيبة وعدم الخوف من طائفة بعينها يكشف عن أنَّ المراد من الناس هو الأعمُّ من ذلك، وبالتالي فدلالة الحديث علىٰ المنع عن التسمية شامل للجميع.

الطائفة الثالثة: ما دلَّ علىٰ الجواز، وقد قيل بتواترها[٢]، ومن أخبار هذه الطائفة ما رواه الشيخ الصدوق قدس سره بسنده عن الشيخ العمري محمّد بن عثمان بن سعيد رضي الله عنه يقول: سمعت أبي يقول: سُئِلَ أبو محمّد الحسن بن عليٍّ عليهما السلام: يا بن رسول الله، فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: «ابني محمّد، هو الإمام والحجَّة بعدي...»[٣].

وجوه الجمع: ذُكِرَ للجمع بين هذه الطوائف عدَّة وجوه، نذكر منها:

١ - أنْ نقول بالجواز ونحمل روايات المنع علىٰ حالة الخوف، ونُقيِّد بها ما دلَّ علىٰ المنع، ففي كلِّ زمان لا خوف فيه علىٰ الإمام عليه السلام يصحُّ فيه ذكر اسمه.

٢ - أنْ نحمل روايات المنع مقيَّدة كانت أو مطلقة علىٰ الكراهة بقرينة روايات الجواز.

٣ - أنْ نحمل روايات المنع علىٰ جماعة خاصَّة من الناس «في مجمع من الناس» يُخاف منهم علىٰ الإمام عليه السلام، وهو ما يناسب أنْ يكون المنع مختصًّا بالغيبة الصغرىٰ.

٤ - أنَّنا نحمل روايات المنع علىٰ اسم أحمد والجواز علىٰ محمّد بقرينة

١. كمال الدِّين (ص٤٨٣/ باب ٤٥/ ح٣)؛ والخبر يمكن القول بتماميَّة سنده.

٢. القائل هو الشيخ الحرُّ العاملي رحمه الله في كتابه القيِّم كشف التعمية (ص٨٦).

٣. كمال الدِّين (ص٤٠٩/ باب ٣٨/ ح٩)؛ والسند تامٌّ إنْ تجاوزنا الإشكال في ابن إسحاق.

شاهد روائي يصلح للجمع بين الطوائف المتقدِّمة من الروايات، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «... يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان...، له اسمان: اسم يخفىٰ واسم يُعلَن، فأمَّا الذي يخفىٰ فأحمد، وأمَّا الذي يُعلَن فمحمّد...»[١].

وهذا الوجه ذكره الشيخ الحرُّ قدس سره[٢].

وأنت تلاحظ أنَّ القواعد التي اعتمدت في هذه المسألة الجزئية من المسائل المهدوية هي بعينها قواعد علم الأصول والحديث وتطبيق الكبريات علىٰ الصغيرات.

التطبيق الثالث حول علامات الظهور وكيفية التعامل معها: تطبيق القواعد العامة والخاصة علىٰ مسألة علامات الظهور: ذُكِرَ لمعرفة ظهور الإمام عليه السلام عدَّة علامات، وجاءت الأخبار بذكرها.

قال الشيخ المفيد قدس سره: (قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي عليه السلام وحوادث تكون أمام قيامه وآيات ودلالات، فمنها: خروج السفياني، وقتل الحسني...)، ثمّ ذكر العشرات من العلامات إلىٰ أنْ قال قدس سره: (كما جاءت بذلك الأخبار، ومن جملة هذه الأحداث محتومة ومنها مشترطة، والله أعلم بما يكون، وإنَّما ذكرناها علىٰ حسب ما ثبت في الأُصول وتضمَّنها الأثر المنقول)[٣].

القاعدة الأولىٰ في المقام: نقل الخبر بالعلامة لا يلازم الوقوع: يشير قدس سره إلىٰ أصلٍ في المسألة، حاصله أنَّ نقل الخبر بالعلامة لا يعني لزوم وقوعها، ولا صحة تطبيقها من قبل من يطبقها، وإنَّما ورد الخبر بها فلزم علىٰ من يبحث المسألة ذكر ما ورد فيها. كما وذكر الشيخ الطبرسي قدس سره عين عبارة الشيخ المفيد قدس سره المتقدِّمة[٤].

١. كمال الدِّين (ص٦٥٣/ باب ٥٧/ ح١٧).
٢. كشف التعمية (ص١٠٤).
٣. الإرشاد (ج٢/ ص٣٦٨ - ٣٧٠).
٤. تاج المواليد (ص٧٠-٧٤).

قال الشيخ النعماني قدس سره: (هذه العلامات التي ذكرها الأئمّة عليهم السلام مع كثرتها واتّصال الروايات وتواترها واتّفاقها موجبة ألّا يظهر القائم عليه السلام إلّا بعد مجيئها وكونها، إذ كانوا قد أخبروا أنْ لا بدَّ منها، وهم الصادقون، حتّىٰ إنّه قيل لهم: نرجو أنْ يكون ما نؤمل من أمر القائم عليه السلام ولا يكون قبله السفياني، فقالوا: «بلىٰ والله، إنّه لمن المحتوم الذي لا بدَّ منه»، ثمّ حقّقوا كون العلامات الخمس هي من بين أكثر الدلائل والبراهين علىٰ ظهور الحقّ بعدها، كما أبطلوا أمر التوقيت، وقالوا: «من روىٰ لكم عنّا توقيتاً فلا تهابوا أنْ تُكذِّبوه كائناً من كان، فإنّا لا نُوقِّت»، وهذا من أعدل الشواهد علىٰ بطلان أمر كلِّ من ادَّعىٰ أو ادُّعي له مرتبة القائم ومنزلته، وظهر قبل مجيء هذه العلامات...)[1]،[2].

القاعدة الثانية في المقام: ضرورة وقوع العلامات وعدم التنافي مع النهي عن التوقيت: يشير قدس سره إلىٰ قاعدة ضرورية في العلامات من كونها لابدَّ أن تقع بعد أن أخبر الأئمة عليهم السلام، فهي تقع لا محالة في الجملة، وفي ذات الوقت الذي نؤمن بوقوع العلامات عند الظهور لا يجوز لنا من جهة ثانية التوقيت للظهور ولا تطبيقها.

كلام في المنهجية والتنبيه علىٰ ضبط القواعد عند الشروع في التصنيف:

تتعدَّد البحوث في العلامات وتختلف باختلاف المنهج والقواعد المتبعة في هذه المسألة، ومنها:

أولاً: بحث تصوري في تعريف العلامة: يتبين أنَّ معنىٰ العلامة وماهيَّتها هي حادثة تكون قبل قيام الإمام عليه السلام أو معه وتكون دالَّة علىٰ ظهوره.

ثانياً: تقسيم العلامات إلىٰ المحتوم وغير المحتوم: ذكرت الروايات عدَّة تقسيمات للعلامات من أهمّها انقسامها إلىٰ المحتومة وغير المحتومة، وممَّا دلَّ علىٰ

---

١. الغيبة للنعماني (ص٢٩١ و٢٩٢).

٢. من أجل ما تمتاز به المهدويَّة أنَّ الاستدلال عليها متعدِّد الجوانب أو الجهات، وتُعَدُّ روايات العلامات قبل قيام الإمام عجل الله فرجه من أدلَّة صحَّتها.

ذلك عدة روايات منها: ما روي عن المعلّىٰ بن خنيس، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من الأمر محتوم، ومنه ما ليس بمحتوم، ومن المحتوم خروج السفياني في رجب»[١].

وفي نصٍّ آخر عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر محمّد بن عليٍّ عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢]، فقال: «إنَّهما أجلان: أجل محتوم، وأجل موقوف»، فقال له حمران: ما المحتوم؟

قال عليه السلام: «الذي لله فيه المشيئة»، قال حمران: إنِّي لأرجو أنْ يكون أجل السفياني من الموقوف، فقال أبو جعفر عليه السلام: «لا والله إنَّه لمن المحتوم»[٢]. وفي نصٍّ ثالث: «وإنَّ السفياني من المحتوم الذي لابدَّ منه»[٣]، وتلاحظ تعريف الإمام عليه السلام للمحتوم بأنَّه لا بدَّ منه.

وروىٰ الشيخ الصدوق قدس سره بسند تامٍّ[٤] عن عمر بن حنظلة، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكيَّة، والخسف بالبيداء»[٥].

قاعدة: وقوع البداء في المحتوم: مسألة: هل يبدو لله تعالىٰ في المحتوم؟

روىٰ الشيخ النعماني قدس سره عن شيخه محمّد بن همَّام، عن محمّد بن أحمد بن عبد الله الخالنجي، قال: حدَّثنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: كنَّا عند أبي جعفر محمّد بن عليٍّ الرضا عليه السلام، فجرىٰ ذكر السفياني، وما جاء في

١. الغيبة للنعماني (ص٣١٠ و٣١١/ باب ١٨/ ح٢).

٢. الغيبة للنعماني (ص٣١٢ و٣١٣/ باب ١٨/ ح٥)؛ هذا ولكن الصحيح ما ورد في بحار الأنوار (ج٥٢/ ص٢٤٩/ ح١٣٣) عن الغيبة للنعماني، وفيه: قال له حمران: ما المحتوم؟

قال: «الذي لا يكون غيره»، قال: وما الموقوف؟ قال: «هو الذي لله فيه المشيَّة...»، فراجع.

٣. الغيبة للنعماني (ص٣١٣/ باب ١٨/ ح٦).

٤. سوىٰ الحسين بن الحسن بن أبان، ويمكن توثيقه بعدَّة وجوه ذُكِرَت في محلِّها. أمَّا عمر بن حنظلة فقد تقدَّمت وجوه توثيقه، فراجع.

٥. كمال الدِّين (ص٦٥٠/ باب ٥٧/ ح٧).

الرواية من أنَّ أمره من المحتوم، فقلت لأبي جعفر عليه السلام: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: «نعم»، فقلنا له: فنخاف أنْ يبدو لله في القائم، فقال: «إنَّ القائم من الميعاد، والله لا يخلف الميعاد»[1].

وقد وقع هذا النصُّ محلًّا للنقاش، وهل يقع في الحتم البداء؟

فما هي فائدته وتميُّزه عن غيره إنْ وقع البداء فيه؟

والجواب عن هذه الإثارات:

١ – أنَّ هذا النصَّ هو الوحيد في بابه، وهو ضعيف بالخالنجي، ولا معنىٰ لتقيُّد ما صحَّ من روايات العلامات المحتومات به.

٢ – علىٰ أنَّه لو سلَّمنا اعتباره سنداً، فهو مفسَّر معارض بما يُشكِّل سُنَّة قطعيَّة ممَّا دلَّ علىٰ أنَّه من العلامات الحتميَّة، وأنَّ الحتم هو الذي لا بدَّ منه.

٣ – اللسان في النصوص المتقدِّمة آبي عن التقيُّد، ومعارضها ساقط.

٤ – يمكن تأويل وقوع البداء في الحتم بما لا يُخرجه عن حتميَّته، كما لو كان يقع في مقدّمات المحتوم أو زمان وقوعه أو بعض خصوصيَّاته إنْ كانت له.

وهذه قاعدة مهمة في هذه المسألة الفرعية: خضوع العلامات الحتمية للبداء.

قاعدة: لا تُطبِّق ما لم تجزم بالعلامة:

التطبيق ينقسم إلىٰ قسمين:

١ – التطبيق المحض: أي ذكر ذات العلامة كما في الرواية الآتية في ابن طباطبا.

٢ – التطبيق غير المحض: وهو ذكر العلامة وتطبيقها علىٰ الذات الخارجية مع استلزامه الوقت كما في الحتميات كتطبيق اليماني مع شخص خارجي مستلزمٍ لتحديد وقت معين.

---

١. الغيبة للنعماني (ص٣١٤ و٣١٥/ باب ١٨/ ح١٠).

عرفوا التوقيت: هو ذكر وقت محدَّد بيوم أو شهر من سنة معيَّنة أو غيرهما من الألفاظ الدالَّة عليهما، كالعقد والقرن، أو ما يفهم العرف أنَّه تحديد.

يتنافىٰ وما ذكرته الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «يا مهزم، كذب الوقَّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلِّمون»[١].

وعن أبي خالد الكابلي يسأل الإمام الباقر عليه السلام عن التوقيت، فيُجيبه عليه السلام: «... سألتني والله - يا أبا خالد - عن سؤال مجهد، ولقد سألتني عن أمر ما كنت محدِّثاً به أحد، ولو كنت محدِّثاً به أحد لحدَّثتك...»[٢].

وفي نصٍّ آخر: «... من أخبرك عنَّا توقيتاً فلا تهابنَّ أنْ تُكذِّبه، فإنَّا لا نُوقِّت لأحدٍ وقتاً»[٣].

وعندما سُئِلَ الإمام الحجَّة عجل الله فرجه عن ذلك، أجاب عجل الله فرجه في توقيع إسحاق بن يعقوب: «... وأمَّا ظهور الفرج فإنَّه إلىٰ الله تعالىٰ ذكره، وكذب الوقَّاتون»[٤].

وما يمكن أنْ يُستَدلَّ به علىٰ بطلان التوقيت من وجوه من غير ما روي أعلاه أُمور، منها:

١ - الأصل والقاعدة في معرفة المستقبل علىٰ نحو الجزم واليقين ممنوعة، لأنَّه من الغيب، والاطِّلاع عليه ليس متيسِّراً لكلِّ أحد، قال تعالىٰ: ﴿يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللهِ وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ (الأحزاب: ٦٣)، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (لقمان: ٣٤).

---

١. الكافي (ج١/ ص٣٦٨/ باب كراهيَّة التوقيت/ ح٢).
٢. الغيبة للنعماني (ص٢٩٩ و٣٠٠/ باب ١٦/ ح٢).
٣. الغيبة للنعماني (ص٣٠٠/ باب ١٦/ ح٣).
٤. كمال الدِّين (ص٤٨٣ - ٤٨٥/ باب ٤٥/ ح٤).

وفي خصوص الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه وظهوره، فقد روي في أنّه عجل الله فرجه من الغيب، وأنّه عجل الله فرجه كالساعة، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «... وأمّا متىٰ، فإخبار عن الوقت، فقد حدَّثني أبي، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله، متىٰ يخرج القائم من ذرّيَّتك؟

فقال صلى الله عليه وآله: مثله مثل الساعة التي ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]»[١].

٢ - قاعدة المعلوم ينتشر ويشيع ويفقد الغرض من كتمه: أنَّ الوقت كان معلوماً عند أهل البيت عليهم السلام، ولكن الناس أشاعته وكشفته فرفعه الله تعالىٰ، وممَّا دلَّ علىٰ أنّه كان موجوداً عندهم عدَّة نصوص، منها:

أ - عن إسحاق بن عمّار الصيرفي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قد كان لهذا الأمر وقت، وكان في سنة أربعين ومائة، فحدَّثتم به وأذعتموه، فأخَّره الله عزّ وجلّ»[٢].

ب - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما لهذا الأمر أمد ينتهي إليه ويريح أبداننا؟ قال: «بلىٰ، ولكنَّكم أذعتم، فأخَّره الله»[٣].

ج - عن أبي حمزة، قال: سمعت الباقر عليه السلام: «يا ثابت، إنَّ الله تعالىٰ قد كان وقَّت هذا الأمر في سنة السبعين، فلمَّا قُتِلَ الحسين عليه السلام اشتدَّ غضب الله فأخَّره إلىٰ أربعين ومائة، فحدَّثناكم بذلك، فأذعتم وكشفتم قناع الستر، فلم يجعل الله لهذا الأمر بعد ذلك وقتاً عندنا، ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]»[٤].

---

١. كمال الدِّين (ص٣٧٢ و٣٧٣/ باب ٣٥/ ح٦).
٢. الغيبة للنعماني (ص٣٠٣/ باب ١٦/ ح٨).
٣. الغيبة للنعماني (ص٢٩٩/ باب ١٦/ ح١).
٤. الغيبة للنعماني (ص٣٠٣ و٣٠٤/ باب ١٦/ ح١٠).

٣ - قاعدة مخالفة التوقيت للضرورة: فقد دلت الروايات على أنَّه لو لم يبقَ من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوَّل الله تعالىٰ ذلك اليوم حتَّىٰ يخرج المهدي عليه السلام، وهو يدلُّ على تعذُّر التوقيت له عليه السلام.

وممَّا روي في ذلك ما نقله الشيخ الصدوق قدس سره في باب الوصيَّة من لدن آدم عليه السلام حيث قال: ... وقد وردت الأخبار الصحيحة بالأسانيد القويَّة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصىٰ بأمر الله تعالىٰ...، إلىٰ أنْ يقول: وأوصىٰ الحسن بن عليٍّ إلىٰ ابنه حجَّة الله القائم بالحقِّ الذي لو لم يبقَ من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتَّىٰ يخرج فيملأها عدلاً وقسطاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً[١].

فكونه عليه السلام يخرج حتماً ولو في آخر يوم كاشف أيضاً عن عدم القدرة على تحديد هذا اليوم بنحو الجزم والعلم.

وقد ادَّعىٰ الانطباق جماعة، ظنًّا منهم أنَّ التطابق في الأسماء أو الصفات أو الألقاب كاليماني أو الخراساني أو غيرهما كافٍ في إثبات ذلك، فإنَّ المشابهة في الاسم أو اللقب أو بعض الصفات الجسديَّة غير كافية، إذ يوجد في زمانٍ واحدٍ منها المئات بل أكثر، فيكون الجزم بها لبعضهم دون غيرهم ترجيح بلا مرجِّح.

وممَّا ورد عن أهل البيت عليهم السلام في مقام تعجُّبهم ممَّن يقوم بتطبيق الأشخاص والأولياء والأحداث خطأً، ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال: «قبل هذا الأمر السفياني واليماني والمرواني وشعيب بن صالح، فكيف يقول هذا وهذا؟!»[٢]، وذكر المحقِّق في هامش الحديث تفسيراً له: (أي كيف يقول محمّد ابن إبراهيم بن

١. من لا يحضره الفقيه (ج٤/ ص١٧٧/ ح٥٤٠٢).
٢. الغيبة للنعماني (ص٢٦٢/ باب ١٤/ ح١٢).

إسماعيل المعروف بابن طباطبا: إنّي القائم؟)[١].

قواعد في مسألة فرعية من مسألة العلامات: قواعد مسألة الصيحة:

الصيحة من العلامات الحتميَّة، وغاية في الأهمّيَّة في الكشف عن الظهور، ونتحدَّث عنها وعن قواعدها في ضمن نقاط:

أولاً: خصائص الصيحة: في (الغيبة) للشيخ النعماني قدس سره عن أحمد بن محمّد بن سعيد بن عقدة، عن أحمد بن يوسف بن يعقوب أبو الحسن الجعفي من كتابه، قال: حدَّثنا إسماعيل ابن مهران، قال: حدَّثنا الحسن بن عليٍّ بن أبي حمزة، عن أبيه ووهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي جعفر محمّد بن عليٍّ عليه السلام أنَّه قال: «إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهردي[٢] العظيم تطلع ثلاثة أيَّام أو سبعة[٣] فتوقَّعوا فرج آل محمّد عليهم السلام إنْ شاء الله عزّ وجلّ، إنَّ الله عزيز حكيم».

ثمّ قال: «الصيحة لا تكون إلَّا في شهر رمضان، لأنَّ[٤] شهر رمضان شهر الله، والصيحة فيه هي صيحة جبرائيل إلىٰ الخلق». ثمّ قال: «ينادي منادٍ من السماء باسم القائم عليه السلام، فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقىٰ راقد إلَّا استيقظ، ولا قائم إلَّا قعد، ولا قاعد إلَّا قام علىٰ رجليه فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب، فإنَّ الصوت الأوَّل هو صوت جبرئيل الروح الأمين عليه السلام».

---

١. نعم، توجد رواية تقول: «وكف يقول...» ولكنها رغم ورودها في الكتاب المعروف بمسند الإمام الرضا عليه السلام ج١، ص٢١٨، ح٣٧٧ وهو ينقلها عن كتاب غيبة النعماني رحمه الله ولكن ما تقدم من غيبة النعماني المعضود بنقل الشيخ المجلسي رحمه الله ج٥٢، ص٢٣٣، باب٢٥ ومتوافق مع السياق.

٢. أي خضراء مائلة إلىٰ الحمرة.

٣. الترديد في الرواية لعلَّه ناشئ من التوقُّف علىٰ أُمور وعناصر متغيِّرة إنْ حصلت كان ثلاثة وإنْ لم تحصل كان سبعة أو بالعكس، ومثله لا يضرُّ بالعصمة بلا شكٍّ.

٤. التعليل بشهر رمضان لعلَّه لبيان الحكمة وليس العلَّة الحقيقيَّة، لأنَّ الصيحة كما تقع فيه تقع في غيره كما يأتي، ولعلَّه لبيان فضله.

ثمّ قال عليه السلام: «يكون الصوت في شهر رمضان في ليلة جمعة ليلة ثلاث وعشرين، فلا تشكُّوا في ذلك، واسمعوا وأطيعوا، وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس اللعين ينادي: ألَا إنَّ فلاناً قُتِلَ مظلوماً، ليُشكِّك الناس ويفتنهم، فكم في ذلك اليوم من شاكٍّ متحيِّر قد هوىٰ في النار، فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان فلا تشكُّوا في أنَّه صوت جبرئيل، وعلامة ذلك أنَّه ينادي باسم القائم واسم أبيه عليه السلام حتَّىٰ تسمعه العذراء في خدرها فتُحرِّض أباها وأخاها علىٰ الخروج».

وقال: «لابدَّ من هذين الصوتين قبل خروج القائم عليه السلام، صوت من السماء وهو صوت جبرئيل باسم صاحب هذا الأمر واسم أبيه، والصوت الثاني من الأرض هو صوت إبليس اللعين ينادي باسم فلان أنَّه قُتِلَ مظلوماً، يريد بذلك الفتنة، فاتَّبعوا الصوت الأوَّل، وإيَّاكم والأخير أنْ تفتنوا به»[1].

والحديث طويل وتامٌّ سنداً علىٰ بعض المباني[2]، ويحمل جملة دلالات مهمَّة تساعد في تشكيل صورة لملامح ما قبل ظهور الإمام عليه السلام.

وفي (الغيبة) للشيخ النعماني قدس سره، عن أبي عبد الله عليه السلام جاء فيه: «... إذا سمعوا الصوت من السماء: ألَا إنَّ الحقَّ في عليِّ بن أبي طالب عليه السلام وشيعته»، قال: «فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتَّىٰ يتوارىٰ عن أهل الأرض ثمّ ينادي: ألَا إنَّ الحقَّ في عثمان بن عفَّان وشيعته، فإنَّه قُتِلَ مظلوماً فاطلبوا بدمه»، قال: «فيُثبِّت الله الذين آمنوا بالقول

١. الغيبة للنعماني (ص٢٦٢ و٢٦٣/ باب ١٤/ ح١٣).

٢. الحسن بن عليٍّ توجد وجوه لتوثيقه: من أنَّ له أصلاً، ورواية الثقات عنه، وأنَّ الطائفة عملت برواياته، ورواية أصحاب الإجماع عنه كابن أبي عمير والبزنطي، وصدر في حقِّه: «وأبوه أوثق منه» (رجال ابن الغضائري: ص٥١/ الرقم ٣٣/ ٦).
أمَّا والده عليُّ بن أبي حمزة، فيمكن توثيقه لما تقدَّم في ابنه، وأنَّه من رواة كامل الزيارات والقمّي، وقول الشيخ الطوسي رحمه الله فيه من عمل الطائفة برواياته، وبذلك تكون الرواية تامَّة سنداً.

الثابت على الحقِّ، وهو النداء الأوَّل...»[١]، والحديث تامٌّ سنداً.

وذكر النعماني الحديث الذي بعده بسند تامٍّ أيضاً وبنفس لفظه، قال: (مثله سواء بلفظه).

قاعدة عامة في المقام: امتناع التلاعب بالصيحة السماوية: الصوت الوارد بقرينة ما تقدَّم من كونه مسموعاً من كلِّ الناس وكلِّ أهل لغة بلغتهم فهو صوت عرفي، ويُحمَل على معانيه العرفيَّة المفهومة لدى الناس عامَّة، لكي يناسب أنَّه آية عامَّة واضحة وكاشفة عن الأحداث الجارية ومدى مطابقتها للواقع، على أنَّ المتبادر منه هو المعنى العرفي.

فالتصريح أنَّ الصيحة الأُولى من السماء والأُخرى من الهواء أو الأرض يمنع يد التلاعب فيها.

قاعدة: في كيفية التمييز بين الصيحتين: وردت نصوص بمفاد أنَّ الناس يُعيِّرونا ويقولون: إنَّكم تزعمون أنَّه سيكون صوت من السماء[٢]، وأنَّهما نداءان، فأيُّهما الصادق من الكاذب[٣]؟

حتَّى ورد أنَّ بعض من يسمع الصوت الأوَّل يقول: (هذا سحر الشيعة وحتَّى يتناولونا)[٤].

فيأتي الجواب على لسان أهل البيت عليهم السلام: في موثَّقة عبد الله بن بكير، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام: ... قال: «يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا ويقولون: إنَّه يكون قبل أنْ يكون، ويعلمون أنَّهم هم المحقُّون الصادقون»[٥].

١. الغيبة للنعماني (ص٢٦٧/ باب ١٤/ ح١٩).
٢. الغيبة للنعماني (ص٢٦٩/ باب ١٤/ ح٢٠)، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام.
٣. الغيبة للنعماني (ص٢٧٣/ باب ١٤/ ح٣٠)، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام.
٤. الغيبة للنعماني (ص٢٦٩/ باب ١٤/ ح٢٠)، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام.
٥. الغيبة للنعماني (ص٢٧٢ و٢٧٣/ باب ١٤/ ح٢٨).

وأيضاً ما رواه النعماني قدس سره بسند تامٍّ عن هشام بن سالم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ الجريري أخا إسحاق يقول لنا: إنَّكم تقولون: هما نداءان، فأيُّهما الصادق من الكاذب؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «قولوا له: إنَّ الذي أخبرنا بذلك - وأنت تُنكِر أنَّ هذا يكون - هو الصادق»[١].

وفي نصٍّ ثالث تامٌّ سنداً أيضاً عن هشام بن سالم: ... فقلت: وكيف تُعرَف هذه من هذه؟ فقال الإمام الصادق عليه السلام: «يعرفها من كان سمع بها قبل أنْ تكون»[٢].

وفي نصٍّ رابع عن الجريري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ الناس يُوبِّخونا ويقولون: من أين يُعرَف المحقُّ من المبطل إذا كانتا؟ فقال: «ما تردُّون عليهم؟»

قلت: فما نردُّ عليهم شيئاً، قال: فقال عليه السلام: «قولوا لهم: يُصدِّق بها إذا كانت، من كان مؤمناً، يؤمن بها قبل أنْ تكون»، قال: «إنَّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]»[٣]، وقوله: «إنْ كانت» لا ينافي الحتم، إنَّما يتعلَّق على المشيئة.

وفي نصٍّ خامس عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنَّه قال: «اسكنوا ما سكنت السماوات والأرض، أي لا تخرجوا على أحد فإنَّ أمركم ليس

---

١. الغيبة للنعماني (ص٢٧٣/ باب ١٤/ ح٣٠).

٢. الغيبة للنعماني (ص٢٧٣ و٢٧٤/ باب ١٤/ ح٣١).

٣. الغيبة للنعماني (ص٢٧٤/ باب ١٤/ ح٣٢)؛ وفي سنده محمّد بن خالد، وهو مشترك بين جماعة، منهم الأصمُّ والبرقي المتقاربان طبقةً، فإنْ استظهرنا الثقة فبها، وإلَّا فيمكن التعويض بطريق الكليني (ج٨/ ص٢٠٨/ ح٢٥٢)، فإنَّه لا يمرُّ بمحمّد بن خالد، إلَّا أنَّ المشكلة تبقى من جهة عبد الرحمن بن مسلمة الجريري لم يذكروه.

به خفاء، ألا إنَّها آية من الله عزّ وجلّ ليست من الناس، ألا إنَّها أضوأ من الشمس لا تخفىٰ علىٰ برٍّ ولا فاجر، أتعرفون الصبح؟ فإنَّها كالصبح ليس به خفاء»[١].

تقريب: إنَّ هذا النصَّ في غاية البيان والوضوح أنَّ آية السماء لن تخفىٰ علىٰ أحد وهي عامَّة للجميع، والنصُّ من شدَّة وضوحه لا يحتاج إلىٰ توضيح.

قاعدة: استبقاء النفس للصاحب عجّل الله فرجه: أهل البيت عليهم السلام رجَّحوا استبقاء النفس لصاحب الزمان عجّل الله فرجه حتَّىٰ لو كان إذهاب النفس في سبيل الحقِّ والشهادة، كما في رواية الشيخ النعماني قدّس سرّه بسنده عن أبي جعفر عليه السلام: «كأنِّي بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحقَّ فلا يُعطَونه، ثمّ يطلبونه فلا يُعطَونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم علىٰ عواتقهم، فيُعطَون ما سألوه فلا يقبلونه حتَّىٰ يقوموا، ولا يدفعونها إلَّا إلىٰ صاحبكم، فتلاهم شهداء، أمَا إنِّي لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»[٢]، ففيه دلالة علىٰ قرب الظهور من جهة إبقاء النفس.

إن قلت: يحتمل أنها خاصة بالإمام عليه السلام.

قلت: هو في مقام بيان الحال للناس مع أمثال هؤلاء فرغم كون قتلاهم شهداء فالإنسان مخيّر بالذهاب معهم أو الاستبقاء للإمام لاستبقاء أفضل.

نعم، احتمال أن يكون كلام الإمام عليه السلام عن فترة ما قبل الظهور

---

١. الغيبة للنعماني (ص٢٠٧ و٢٠٨/ باب ١١/ ح١٧).

٢. الغيبة للنعماني (ص٢٨١ و٢٨٢/ باب ١٤/ ح٥٠)؛ والسند لا مشكلة فيه إلَّا من جهة أبي خالد الكابلي، ويمكن توثيقه علىٰ الأصحّ. والحسين بن موسىٰ الذي لم يُوثَق، إلَّا أنَّ ابن أبي عمير قد روىٰ عنه، لمن يقبل ذلك.

ومعرفة المكلف لذلك كي يترجح الاستبقاء لصاحب الأمر عليه السلام الذي ذكرناه بعقب الحديث وجيه.

فهل ترىٰ كل هذه الأهمية لا تصل إلىٰ أهمية جعل هذه المسائل من مهمات البحث وتنظم في درس بل علم؟!

قبل الختام توصية: بعد هذا الاطلاع يتضح لك أهمية الدرس المهدوي بما لا شك فيه بالمعنىٰ المتقدم، بل المأمول والمرجو أن ننتقل من مرحلة الدرس المهدوي إلىٰ مرحلة علم المهدوية، فهو من جهة التعريف والغرض والمسائل يكاد يكون مستقلاً، نسأله تعالىٰ بحق صحاب الأمر عجل الله فرجه أن يفتح سبل صيرورة هذا الأمر.

المعود
ALMAUOOD

نقد ومراجعة شبهات الدكتور ناصر القفاري حول فكرة المهدوية[1]

الناقد: نصرت الله آيتي
المترجم: علاء الزبيدي

تمهيد:

أحد الكتب المفصَّلة والمهمة التي كُتبت في السنوات الأخيرة لنقد معتقدات الشيعة هو كتاب (أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد) الذي ألّفه الدكتور ناصر القفاري.

في هذا الكتاب، هوجمت جميع معتقدات الشيعة، بما في ذلك فكرة المهدويّة، وسنسعىٰ للإجابة عن شبهات هذا الكتاب المتعلّقة بفكرة المهدوية.

وسنخصص الكلام في هذا المقال عن الإجابة عن سبع عشرة شبهة تتعلق بتاريخ نشوء فكرة الغيبة، ودوافع تكوّن هذه الفكرة، ومؤسّسيها.

مقدمة:

كتاب (أصول مذهب الشيعة) قد حصل علىٰ مكانة متميزة من حيث تنوع مباحثه وحجم الشبهات التي يحتويها، وما يلي هو نقد الفصل الرابع من هذا الكتاب بعنوان (المهدية والغيبة)، الذي خصص له ١١٠ صفحات من الكتاب، حيث حاول نقد فكرة المهدية وفق القراءة الشيعية.

وقبل الدخول في نقد ومراجعة كلمات الكاتب، فمن المناسب تقديم

١. هذه الترجمة لهذا المقال اقتضت أن نقوم باختصار بعض المطالب لاقتضاء النشر ذلك.

بعض الملاحظات حول الأسلوب الذي اتبعه في كتابه (أصول مذهب الشيعة):

لقد طرح السيد القفاري في مقدمة كتابه ثلاث ادِّعاءات كبيرة.

أوّلها: أنه كان في مقام بيان الحقيقة، وقد أظهر الأمانة في نقل آراء العلماء الشيعة، قال: (ولا شك بأن بيان حال الفرق الخارجة عن الجماعة... ضروري لرفع الالتباس وبيان الحق للناس... والموضوعية الصادقة أن تنقل من كتبهم بأمانة... وأن تعدل في الحكم).

الادِّعاء الثاني: هو الإبداع، وهو أنه قد توصل إلىٰ نقاط حول اعتقادات الشيعة لم يسبق لأحد أن توصّل إليها من قبل: (أماطت هذه الدراسة اللثام عن عقائد لم يطرقها أحد من قبل)[1].

أمّا الادِّعاء الثالث: فهو أنه في كتابه قد تجنب ذكر الروايات الشاذة والضعيفة التي لا تعبّر عن حقيقة مذهب التشيع، واستند فقط إلىٰ الروايات المستفيضة والمعتبرة، قال: (ولم أذكر من عقائدهم في هذه الرسالة إلَّا ما استفاضت أخبارهم به وأقره شيوخهم... كل ذلك حتَّىٰ لا يقال بأننا نتجه إلىٰ بعض رواياتهم الشاذة وأخبارهم الضعيفة التي لا تعبّر عن حقيقة المذهب فنأخذ بها)[2].

نقول: فيما يتعلق بالادّعاء الأول، وأنَّه لم يكن لديه همٌّ سوىٰ بيان الحقيقة وإيضاحها، وأنه قد حافظ علىٰ الأمانة في نقل اعتقادات الشيعة والحكم عليها بالعدل، يجب أن يقال: من المؤسف أن هذه الكلمات الجميلة ضُحِّي بها دائماً علىٰ مذبح الحب والبغض المفرط، وقد حال التعصب الأعمىٰ دون رؤية وفهم الحقائق، ومنع الالتزام بالمبادئ الأخلاقية في مسار اكتشاف الحقيقة، وما أقبح وأبشع أن يقوم بهذا العمل شخص يعدّ نفسه عالماً مسلماً ويدّعي الدفاع عن كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله ونشر تعاليم الدين الإسلامي النقي.

١. أصول مذهب الشيعة: ص٢ و٦.

٢. السابق: ص١٠.

بعض الادّعاءات الكاذبة للقفاري التي تثير شكوكاً جدّية حول صحّة ادّعائه الأول هي كما يلي:

١ - لم يكن أقارب الإمام المهدي عجل الله فرجه، وحتّىٰ أقربهم إليه علىٰ علم بوجوده، بل كانوا ينكرون وجوده.

٢ - لم يرَ أي من الشيعة الإمام المهدي عجل الله فرجه باستثناء نوابه[١].

٣ - مصدر اعتقاد الشيعة بوجود وغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه هو عثمان بن سعيد[٢].

٤ - كان نواب الإمام المهدي عجل الله فرجه يدَّعون العصمة[٣].

٥ - لم يكن علىٰ علم بوجود وغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه سوىٰ السيدة حكيمة[٤].

و...

وادَّعىٰ أيضاً أنه قد توصّل إلىٰ نقاط لم يتوصل إليها أحد قبله في ما يتعلق بمعتقدات الشيعة منها:

١ - عدم اطلاع أي من المقربين من الإمام العسكري عليه السلام والشيعة علىٰ وجود وولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه[٥].

٢ - ابتكار فكرة الغيبة من قبل العلماء الشيعة بسبب الإحباط من تشكيل حكومة شيعية[٦].

٣ - جذور فكرة الغيبة في الديانة المجوسية[٧].

---

١. السابق.

٢. السابق: ص١٠١١.

٣. السابق: ص١٠١٦.

٤. السابق: ص١٠٢٤.

٥. السابق: ص٥٩-٨٠.

٦. أحمد أمين - ضحىٰ الإسلام: ص٢٤١.

٧. گلدزيهر - العقيدة والشريعة في الإسلام: ص٢١٥.

٤ – الاعتقاد بغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه في السرداب[١].

و...

ذلك مثال من الشبهات التي طرحت في بعض الأحيان منذ مئات السنين من قبل المخالفين، وقد أجاب علماء الشيعة عنها، في حين أن السيد القفاري ودون أي إشارة إلىٰ هذه الإجابات، عدّها شبهات جديدة لم تخطر علىٰ بال أحد.

فيما يتعلق بالادعاء الثالث للسيد القفاري، يجب أن يُقال: إنه علىٰ الرغم من أنه يدعي أنه استند إلىٰ روايات معتبرة، إلّا أن القارئ الذي يراجع الكتاب لا يجد أي أثر للنقاشات السندية، لأن الكاتب لم يتعرض في أي مكان من كتابه لإثبات اعتبار الروايات بناءً علىٰ آراء العلماء الشيعة. ومع ذلك، لا يُفهم كيف ادَّعىٰ أنَّ الروايات التي استند إليها معتبرة من وجهة نظر العلماء الشيعة.

الدليل الوحيد للقفاري الذي قدّمه لدعم ادِّعاء اعتبار الروايات هو وجودها في المصادر المهمّة للشيعة، والتي أشاد العلماء الشيعة بها. أي إنَّه وفقاً للسيد القفاري، عندما توجد رواية في أحد المصادر الشيعية التي يشيد العلماء الشيعة بها، فإن تلك الرواية ستكون وبحسب اعترافهم معتبرة. ولهذا السبب، عندما يعدّد القفاري في مقدمة كتابه المصادر الشيعية التي استند إليها، يذكر أيضاً أوصاف العلماء الشيعة لها.

الخطأ الذي وقع فيه هو أن تجليل كتاب ما يُعدّ اعتقاداً بصحة جميع رواياته، في حين أنَّه لا يوجد أي تلازم بين الإشادة بكتاب ما واعتبار جميع رواياته، وذلك لأن هذا التجليل يمكن أن يكون بسبب عظمة مقام الكاتب العلمي، وإحاطته بموضوع الكتاب، ودقته في اختيار الروايات، ووصوله إلىٰ المصادر الأولية والمراجع القديمة، وتنظيمه المناسب، وشمولية الكتاب،

١. العلامة الأميني – الغدير: ج٣، ص٣٠٨.

وغيرها. لذلك، لا يمكن استنتاج أن العلماء الشيعة، من خلال تجليلهم لكتاب ما، يعتقدون بصحة جميع روايات ذلك الكتاب.

بناءً على ما تقدّم، يتضح الخطأ الفاحش الآخر للشيخ القفاري، وهو أنَّه في كتابه كان يسعى لنقد معتقدات مذهب الشيعة. بل إنّ عنوان كتابه يوحي بأنه لم يكن في صدد نقد جميع معتقدات الشيعة، بل نقد الأسس والمعتقدات الأساسية لمذهب الشيعة (أصول مذهب الشيعة). من الواضح أنه يمكن نسبة عقيدة معينة إلى دين أو مذهب ما فقط إذا كانت تلك العقيدة من المعتقدات التي يتفق عليها جميع المؤمنين بذلك الدين أو المذهب، أو إذا كان هناك معارضون فعددهم يكون ضئيلاً.

لذلك، يجب على القفاري لإثبات أنَّ ما ورد في كتابه هو معتقدات الشيعة أن يثبت أنَّ جميع الشيعة أو غالبية قريبة من الإجماع يتَّفقون على ما ذكره، بينما هو في بعض الأحيان، ولمجرد وجود رواية في أحد المصادر غير المهمة للشيعة، والتي تعكس في النهاية اعتقاد كاتب ذلك الكتاب بتلك الرواية، ينسب الإيمان بتلك الرواية إلى جميع علماء الشيعة ويعدّها من معتقدات مذهب الشيعة.

على سبيل المثال، مسألة كون والدة الإمام المهدي عجل الله فرجه ابنة قيصر الروم أم لا، أو ما إذا كانت السيدة حكيمة قد لاحظت علامات الحمل في السيدة نرجس أم لا، أو ما إذا كانت السيدة نرجس عليها السلام على علم بحملها أم لا، أو ما إذا كان اسمها سوسن أو شيئاً آخر، أو ما إذا كان الإمام المهدي عجل الله فرجه قد نطق بعد ولادته بـ«الحمد لله رب العالمين» أم بذكرٍ آخر، أو ما إذا كان نموه طبيعياً أم غير طبيعي، والعشرات من هذه المسائل هي أشياء لا يهم إثباتها كثيراً، ولا بطلانها يهدم شيئاً. في حين أن أجزاء كبيرة من نقد السيد القفاري موجهة إلى هذه المسائل الهامشية، وقد سعى إلى إظهار أساس مذهب التشيع ضعيفاً في نظر القارئ من خلال الإكثار من هذا النوع من الإشكالات.

مما تقدّم يمكن إضافة هذه النقطة، وهو أنه للأسف، قد انتهك في كتابه حرمة القلم ولم يحافظ علىٰ جانب الأدب، بذكره الكلمات القبيحة والشتائم التي وردت فيه. ولا أعلم كيف يسمح مسلم ذو فكر حر، يهتم بالحقائق، ويأخذ القلم بيده بدافع الواجب، أن يستخدم كلمات فاحشة وقبيحة بهذا الشكل لإهانة الطرف الآخر.

ما سبق هو بعض المراجعات العامة والمنهجية علىٰ كتابة السيد القفاري، وسنشير إلىٰ نصوص كتابه – الفصل الرابع – بترتيب ذكرها وملاحظاتها.

الشبهة الأولىٰ: [عقيدة الغيبة عند فِرَق الشيعة]:

يقول القفاري: (فكرة الإيمان بالإمام الخفي أو الغائب توجد لدىٰ معظم فرق الشيعة، حيث تعتقد في إمامها بعد موته أنَّه لم يمت، وتقول بخلوده، واختفائه عن الناس، وعودته إلىٰ الظهور في المستقبل مهدياً، ولا تختلف هذه الفرق إلا في تحديد الإمام الذي قدرت له العودة، كما تختلف في تحديد الأئمة وأعيانهم والتي يعتبر الإمام الغائب واحداً منهم.

وتعتبر السبئية – كما يقول القمي، والنوبختي، والشهرستاني وغيرهم – أول فرقة قالت بالوقف علىٰ علي وغيبته، حيث زعمت (أنَّ علياً لم يقتل ولم يمت، ولا يقتل ولا يموت حتَّىٰ يسوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً).

ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه: (كذبت، لو جئنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت علىٰ قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتَّىٰ يملك الأرض) وظلت تنتظر عودته من غيبته، ثم انتقلت هذه (الفكرة) من السبئية إلىٰ بعض فرق الكيسانية كالكربية حيث قالت لما مات محمد بن الحنفية – وهو الذي تدَّعي أنَّه إمامها –: (إنَّه حي لم يمت وهو في جبل رضوىٰ بين مكة والمدينة عن يمينه أسد وعن

يساره نمر موكلان به يحفظانه إلىٰ أوان خروجه وقيامه)، وقالوا: (إنَّه المهدي المنتظر، وزعموا أنَّه سيغيب عنهم سبعين عاماً في جبل رضوىٰ ثم يظهر فيقيم لهم الملك، ويقتل لهم الجبابرة من بني أمية)، فلما مضت سبعون سنة ولم ينالوا من أمانيهم شيئاً حاول بعض شعرائهم توطين أصحابه علىٰ هذه العقيدة، وأن يرضوا بالانتظار ولو غاب مهديهم مدة عمر نوح عليه السلام.

ثم شاع التوقف علىٰ الإمام وانتظار عودته مهدياً بعد ذلك بين فرق الشيعة.. فبعد وفاة كل إمام من آل البيت تظهر فرقة من أتباعه تدعي فيه هذه الدعوىٰ... وتنتظر عودته، وتختلف فيما بينها اختلافاً شديداً في تحديد الإمام الذي وقفت عليه وقدرت له العودة - في زعمهم - ولذلك قال السمعاني: (ثم إنهم في انتظارهم الإمام الذي انتظروه مختلفون اختلافاً يلوح عليه حمق بليغ).

وحتَّىٰ بعض فرق الزيدية وهي الجارودية تاهت في وهم هذا الانتظار للإمام الذي قد مات، مع اختلاف فروع هذه الطائفة في تحديد الإمام المنتظر، كما نقل ذلك الأشعري والبغدادي والشهرستاني وغيرهم. ولذلك فإنه لا صحة لما قاله بعضهم من أن الزيدية كلها تنكر هذا الاتجاه كما قاله أحمد أمين، وأشار إليه جولد سيهر.

هذه عقيدة الغيبة عند فرق الشيعة، ارتبطت بأفراد من أهل البيت معروفين وجدوا في التاريخ فعلاً وعاشوا حياتهم كسائر الناس، فلما ماتوا ادعت فيهم هذه الفرق تلك الدعوىٰ، حيث لم تصدق بموتهم، وزعمت أنهم غابوا، وسيعودون للظهور مرة أخرىٰ، أمّا هذه الفكرة عند الاثني عشرية فتختلف من حيث إنَّها ارتبطت عندهم (بشخصية خيالية) لا وجود لها عند أكثر فرق الشيعة المعاصرة لظهور هذه (الدعوىٰ) وهي عند أصحابها شخصية رمزية لم يرها الناس، ولم يعرفوها، ولا يعلمون مكانها، غابت - كما

يدعون - بعد ولادتها، ولم يظهر حملها، وأحيطت ولادتها بسياج من السرية والكتمان، بل إن عائلتها، ووكيلها وأقرب الناس إليها لم يعلموا بأمر هذا الحمل وذلك المولود، وكانوا له منكرين، بل لم يظهر للشيعة التي تدعيه إلَّا من خلال نواب يدعون الصلة به.

هذه الشخصية هي شخصية المهدي المنتظر عندهم، ويشكّل الإيمان بها عند الاثني عشريّة الأصل الذي ينبني عليه مذهبهم، والقاعدة التي تقوم عليها بنية التّشيّع عندهم؛ إذ بعد انتهاء وجود أئمّة الشّيعة بوفاة الحسن العسكري أصبح الإيمان بغيبة ابنه المزعوم هو المحور الذي تدور عليه عقائدهم، والأساس الذي يمسك بنيان الشّيعة من الانهيار. ولكن كيف ومتىٰ بدأت هذه الفكرة عند الاثني عشرية؟)[1].

نقد ومراجعة:

يمكن تلخيص الكلمات السابقة في هذه العبارة: مؤسس فكرة الغيبة هو عبد الله بن سبأ، وقد انتقلت هذه الفكرة منه إلىٰ بقية الفرق الشيعية وأخيراً إلىٰ الإمامية الاثني عشرية. بناءً لذلك، فإن فكرة الغيبة هي فكرة مصطنعة وتفتقر لأي نوع من الأسس الحقيقية.

بغض النظر عما إذا كان هناك تاريخياً شخصية باسم عبد الله بن سبأ، أو أن هذه الشخصية من اختراعات بعض الكتاب[2]، فيجب أن نذكر أنَّ القفاري وقع في خطأ كبير في أقواله، ولم يترك فرقاً بين أصل فكرة الغيبة وبين تطبيقها علىٰ نموذج خارجي.

ما أثبته استناداً إلىٰ الكتب الشيعية ليس سوىٰ تطبيق فكرة الغيبة علىٰ أنموذج خاص من قبل الفرقة السبئية، لأنه في كتاب (فرق الشيعة)

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠٠٠-١٠٠٣.

٢. انظر: مرتضىٰ العسكري، عبد الله بن سبأ.

و(المقالات والفرق) لم يذكر أكثر من ذلك حول أول فرقة تبنت فكرة الغيبة وتطبيقها علىٰ مثال محدد، والأصل أن الكتب المذكورة لا تتعلق بأصل الفكرة عند الطائفة السبئية، بل في كل أحاديثهم عن السبئية وطوائفهم ومعتقداتهم كتبوا: (فرقة منهم قالت أنّ علياً لم يُقتل ولم يمت...)[١] أي فرقة منهم علىٰ هذا، ومن الواضح أن هذه العبارة لا تعني شيئاً سوىٰ أن السبئية كانت أول فرقة اعتقدت بغيبة الإمام علي عليه السلام.

وعليه فلا يوجد تلازم بين كون السبئية أول فرقة اعتقدت بغيبة الإمام علي عليه السلام، وبين أنه لم يكن هناك أصل لفكرة الغيبة قبل ذلك، بل يمكن في الوقت نفسه أن نؤمن بوجود أصل فكرة الغيبة قبل ظهور فرقة السبئية، ومع ذلك، يمكن أن نعدّ السبئية أول مجموعة حدّدت مصداقاً لهذه الفكرة وأخطأت في تطبيقها علىٰ الإمام علي عليه السلام.

ومن المؤكّد أنَّ هناك اختلافاً بين الكُتّاب الشيعة والسُنَّة في هذا الصدد، حيث لم يذكر الكُتّاب الشيعة مثل النوبختي والأشعري شيئاً سوىٰ أنَّ أول فرقة طبقت فكرة الغيبة علىٰ الإمام علي عليه السلام هي السبئية. بينما الكُتّاب السُنَّة مثل الشهرستاني أرادوا أن يستنتجوا مما قيل سابقاً أنَّ أصل فكرة الغيبة قد طُرحت لأول مرة من قبل السبئية[٢]، وبالطبع لا يُتَوَقَّعُ من هؤلاء سوىٰ ذلك.

إنَّ ما يؤكد النقطة المذكورة سابقاً ويُظهر أنّ مؤسس فكرة الغيبة لم يكن عبد الله بن سبأ، وأن هذه الفكرة كانت مطروحة بين المسلمين قبل ذلك عند رحيل النبي الكريم صلى الله عليه وآله للإسلام وهو ما يُنقل عن الطبري وبعض المؤرخين المعروفين من السنة والشيعة، حيث قال: (إن رجالاً من المنافقين يزعمون أنَّ

١. النوبختي – فرق الشيعة: ص٤٠.

٢. الشهرستاني – الملل والنحل: ج١، ص١٧٤.

رسول الله قد مات، وإن رسول الله ما مات، لكن ذهب إلىٰ ربه كما ذهب موسىٰ بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات)[١]، واليعقوبي الذي يسبق الطبري من حيث الزمن، نقل كلام عمر بهذه الطريقة: (والله ما مات رسول الله ولا يموت، وإنَّما تغيب كما غاب موسىٰ بن عمران أربعين ليلة ثم يعود، والله ليقطعن أيدي قوم وأرجلهم..)[٢].

بناءً علىٰ التقارير التاريخية، رجع أبو بكر وعمر عن هذا القول، لكن أصل طرح مسألة غيبة النبي الكريم محمد ﷺ من قبل عمر لا يمكن أن يكون له تفسير سوىٰ رسوخ فكرة الغيبة في ذهنه، ولا شك أنَّ رسوخ هذه الفكرة في ذهنه لم يكن من تلقاء نفسه، بل كان تأثراً بكلمات النبي الأكرم ﷺ. ولا يمكن العثور علىٰ مصدر آخر لذلك، لأنه من جهة، ليس من المعقول أن ينكر عمر بعد مواجهة رحيل النبي محمد ﷺ من تلقاء نفسه ودون سبب رحيل ذلك الشخص ويتحدث عن غيبته.

وسؤالنا لجناب القفاري هو أنه في صدد إثبات ماذا؟ إذا كان قصده من نقل عبارة أصحاب الفرق هو أن السبئية هم أول من اعتقدوا بغيبة الإمام علي، فهذا قول حق، ولكن هذا لا ينتج أن مؤسس فكرة الغيبة هو عبد الله بن سبأ. ولكن إذا كان يدعي أن نشوء أصل فكرة الغيبة يعود إلىٰ الفرقة السبئية، فهذا أمر لا يمكن إثباته من خلال أقوال الكتاب الشيعة، ولن يستطيع القفاري أن ينتقد عقائد الشيعة من هذه الناحية استناداً إلىٰ المصادر الشيعية.

إضافةً علىٰ ما سبق، توجد في كلمات الكاتب نقطتان أخريتان:

الأولىٰ: هي أنه كان هناك اختلاف شديد بين الشيعة حول تحديد الإمام الغائب، ويبدو في نظره أنَّ هذا دليل علىٰ بطلان فكرة الغيبة.

١. تاريخ الطبري: ج٢، ص٤٤٢؛ ابن عبد البر – الدرر: ص٢٧٢؛ صحيح البخاري: ج٤، ص١٩٤.

٢. تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١١٤.

والثانية: هي أن المهدي المنتظر لدىٰ الشيعة الاثني عشرية هو شخصية خيالية لم يرها أو يعرفها أحد، وولادته كانت سرية، وحتَّىٰ أقرب المقربين منه أنكروه، ولم يُعرف أمره إلَّا من خلال النواب الذين ادّعوا الاتصال به. وسنجيب قريباً بالتفصيل عن الادِّعاءين المذكورين.

الشبهة الثانية: [نشأة فكرة الغيبة]:

قال: (نشأة فكرة الغيبة عند الشيعة الاثني عشرية وتطوّرها:

لابد في الحديث عن النشأة أن نتناول حال الشيعة بعد وفاة الحسن لعلاقته الوثيقة بنشأة هذه الفكرة. إذ بعد وفاة الحسن - إمامهم الحادي عشر - سنة (٢٦٠هـ): (لم ير له خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمّه). كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها. وبسبب ذلك اضطرب أمر الشيعة، وتفرّق جمعهم، لأنَّهم أصبحوا بلا إمام، ولا دين عندهم بدون إمام، لأنّه هو الحجّة علىٰ أهل الأرض. وحتَّىٰ كتاب الله سبحانه ليس حجة عندهم إلَّا به - كما سلف -، وبالإمام بقاء الكون، إذ «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»، وهو أمان النّاس «ولو أنَّ الإمام رفع من الأرض ساعة لَمَاجَتْ بأهلها كما يموج البحر بأهله». ولكن الإمام مات بلا عقب، وبقيت الأرض بلا إمام، ولم يحدث شيء من هذه الكوارث.. فتحيَّرت الشيعة واختلفت في أعظم أمر عندها وهو تعيين الإمام، فافترقت إلىٰ أربع عشرة فرقة كما يقول النوبختي، أو خمس عشرة فرقة كما ينقل القمّي، وهما من الاثني عشريّة. وممّن عاصر أحداث الاختلاف، إذ هما من القرن الثالث، فمعلوماتهما مهمة في تصوير ما آل إليه أمر الشيعة بعد الحسن العسكري، ومن بعدهما زادت الفرقة واتّسع الاختلاف، حيث يذكر المسعودي الشّيعي (المتوفّىٰ سنة ٣٤٦هـ) ما بلغه اختلاف شيعة الحسن بعد وفاته، وأنَّه وصل إلىٰ عشرين فرقة، فما بالك بما بعده.

وقد ذهبت هذه الفرق مذاهب شتّىٰ في أمر الإمامة، فمنهم من قال: (... هذه بعض ملامح الخلاف الذي دبّ بين الشيعة بعد وفاة الحسن)[١].

نقد ومراجعة:

السيد القفاري في كلامه المتقدم كان يسعىٰ لإيصال مطلبين:

المطلب الأول: هو أنّه بالإضافة إلىٰ أنَّ أصل الاختلاف بين الشيعة بعد شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وانشعابهم إلىٰ ١٤ دليل علىٰ بطلان اعتقادهم، فإنَّ إنكار وجود وغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه من قبل الأغلبية من الشيعة الذين عاشوا في تلك الفترة هو دليل آخر علىٰ بطلان وجهة نظر الشيعة الاثني عشرية.

الثانية: قضية الحيرة التي أصابت الشيعة بسبب انقطاع السفارة الخاصّة وبدء الغيبة الكبرىٰ. وقد أشار إليها بعبارات صريحة، النعماني وعلي بن بابويه وابنه محمد بن علي بن بابويه والطوسي والشيخ المفيد، غير أنَّ الأستاذ الكاتب لوىٰ عنق هذه الكلمات زوراً وبهتاناً ليجعلها تصب في القضية الأولىٰ، تضليلاً للقارئ، وزيادة في التعتيم علىٰ الحقيقة. وفيما يلي خلاصة عن هاتين القضيّتين.

القضية الأولىٰ: قضية دعوىٰ تفرق أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام...).

- بصرف النظر عن أنَّ ما ورد في المصادر الشيعية وهو تقسيم الشيعة إلىٰ ١٤ فرقة، فإنَّ الشيعة الاثني عشرية كانوا واحدة من ١٤ فرقة، وهذا لا يعني بالضرورة أنَّ عدد الشيعة الاثني عشرية كان ربع عدد الشيعة، بل من الممكن أنَّه رغم كون الشيعة الاثني عشرية فرقة من أربع عشرة فرقة، إلَّا أنَّهم كانوا يشكلون من حيث الكمية غالبية الشيعة.

بناءً عليه، فإنَّ ادِّعاء القفاري الذي سيتحدَّث في المناقشات القادمة بشكل متكرر عن إنكار وجود ابن الإمام حسن العسكري عليه السلام من قبل

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠٠٤-١٠٠٧.

غالبية الشيعة، وينسب هذا الأمر إلىٰ الكتب القديمة الشيعية، هو من الأساس باطل. بغض النظر عما قيل، فإنَّ بعض المصادر القديمة الشيعية والسنيَّة تصرِّح بأنَّ الشيعة الاثني عشرية الذين كانوا يؤمنون بوجود وغيبة الإمام المهدي كانوا يشكلون من حيث الكمية غالبية الشيعة. ووفقاً لهذه المصادر، فإنَّ ١٣ فرقة أخرىٰ، رغم تنوعها، كان لديها عدد محدود من المؤيدين، وبعض تلك المصادر القديمة من الخاصة والعامة هي كما يلي:

كلام الشيخ المفيد:

قال الشيخ المفيد (ت ٤١٣) في كتابه (الفصول المختارة): (ولما توفي أبو محمد الحسن بن علي بن محمد عليه السلام افترق أصحابه بعده علىٰ ما حكاه أبو محمد الحسن بن موسىٰ النوبختي بأربع عشرة فرقة، فقال الجمهور منهم بإمامة القائم المنتظر عليه السلام، وأثبتوا ولادته، وصحّحوا النصّ عليه، وقالوا هو سمي رسول الله صلى الله عليه وآله ومهدي الأنام...).

كلام الشيخ الصدوق:

وقد أشار إلىٰ هذه الحقيقة أيضاً الشيخ الصدوق في كتابه إكمال الدين ص ٤٥، حيث قال: (كلّ من سألنا من المخالفين عن القائم عليه السلام، لم يخل من أن يكون قائلاً بإمامة الأئمة الأحد عشر من آبائه عليهم السلام أو غير قائل بإمامتهم.

فإن كان قائلاً بإمامتهم لزمه القول بإمامة الإمام الثاني عشر، لنصوص آبائه الأئمة عليهم السلام عليه باسمه ونسبه، وإجماع شيعتهم علىٰ القول بإمامته وإنه القائم الذي يظهر بعد غيبة طويلة فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً).

كلام الذهبي:

قال الذهبي (ت٧٤٨) في سير أعلام النبلاء ج ١٣ / ١١٩ - ١٢٢: (نقل

أبو محمد بن حزم أن الحسن (بن علي بن محمد) مات عن غير عقب). قال: (وثبت جمهور الرافضة علىٰ أنَّ للحسن ابناً أخفاه).

كلام ابن حزم:

قال ابن حزم (٤٨٤-٥٤٨هـ) في كتابه (الفصل في الملل) ج ٤/ ٧٧: (وقالت الروافض: الإمامة في علي وحده بالنص عليه... (إلىٰ أن قال): ثم الحسن بن علي (العسكري). ثم مات الحسن غير معقب فافترقوا فرقاً وثبت جمهورهم علىٰ أنّه ولد للحسن بن علي ولد فأخفاه...).

القضية الثانية[1]: قضيّة الحيرة في بدء الغيبة الكبرىٰ:

مما لا شك فيه أنَّ قسماً كبيراً من الشيعة عاشوا حيرة شاملة حين بلغهم خبر انقطاع النيابة الخاصة بعد وفاة النائب الرابع، حيث لا يوجد مرجع معيّن من الإمام المهدي عليه السلام ينهض بأمورهم، مع كثرة الشبهات التي أثارها الزيدية والمعتزلة وغيرهم، وتصدّىٰ علماء الشيعة في تلك الفترة لرفع الحيرة التي نشأت بسبب ذلك، وكتبوا كتباً خالدة منها: كتاب (الغيبة) لمحمد بن إبراهيم النعماني (ألفه بين سنة ٣٣٣ هجرية وسنة ٣٤٢هجرية)، و(الإمامة والتبصرة من الحيرة) لعلي بن بابويه (ت ٣٢٩)، و(إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الغيبة وكشف الحيرة) لمحمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨٦)، و(الغيبة) للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠)، وغيرها.

قال علي بن بابويه في الامامة والتبصرة ص٩: (رأيت كثيراً ممن صح عقده، وثبتت علىٰ دين الله وطأته، وظهرت في الله خشيته، قد أحادته الغيبة، وطال عليه الأمد حتّىٰ دخلته الوحشة،... فجمعت أخباراً تكشف الحيرة...).

وإذا كان كُتّاب كبار - مثل الشيخ النعماني والشيخ الصدوق - قد تحدّثوا عن حيرة الشيعة، فإنَّ الحيرة ليست بالضرورة تعني الإنكار، بل هي نتيجة

١. والكلام للسيد البدري.

لوجود شبهات كانت في أذهان الشيعة، الذين على الرغم من إيمانهم بوجود وغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، كانت لديهم أسئلة وإبهامات حول هذا الموضوع. ومع وجود هذه الأسئلة، لم يخرجوا أبداً من دائرة الإيمان بالإمام المهدي عجل الله فرجه، وشيئاً فشيئاً، وبفضل جهود علماء الشيعة، قُدِّمت إجابات مناسبة لأسئلتهم، وثبت إيمانهم بوجود وغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه بشكل راسخ ومستقر.

ما يمكن تلخيصه كأول رد على الشبهة الثانية للقفاري في هذه الجملة:

أولاً: باعتراف الكتّاب الكبار من الشيعة والسنّة، ورغم الاختلاف الذي حدث بين أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فإنَّ الأغلبية من الشيعة كانت تؤمن بوجود وغيبة ابن ذلك الإمام، رغم وجود تساؤلات وغموض حول هذا الأمر، والتي تم الردّ عليها بجهود العلماء الشيعة. ومن ثَمّ فإنَّ ادِّعاء القفاري بأنَّ الأغلبية من الشيعة أنكرت وجود ابن لذلك الإمام بعد شهادته هو ادِّعاء بلا أساس.

ثانياً: ردّنا الثاني على إشكال القفاري، هو أننا نفترض أنَّ الأغلبية من الشيعة بعد شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنكرت وجود وغيبة الإمام المهدي، فرغم أنَّ هذا الافتراض مخالف للواقع، يبدو أنَّ القفاري يسعى إلى اعتبار إنكار الأغلبية دليلاً على بطلان عقيدة الأقلية. من هذا الاستدلال يمكن أن نستنتج بوضوح أنَّ اعتقاده هو أنَّ الحدود بين الواقع والخيال ومعيار الحق والباطل هو إنكار وقبول الناس. قبول الناس هو دليل على واقع وجود ظاهرة ما، وإنكارهم هو علامة على كونها خيالية.

وهذه دعوىٰ مردودة من جهات عديدة، منها:

أولاً، إذا كانت علامة حقّانية أي اعتقاد هي قبوله من قبل جميع الناس، وإنكار الناس له يكون دليلاً على بطلانه، فإنّ حقانية أي اعتقاد لا يمكن إثباتها.

ثم هل إنكار حقّانية الدين الإسلامي من خلال أغلبية الناس في العالم المعاصر دليل علىٰ بطلان هذا الدين المقدس!

وما أجمل قول ابن قبة الفيلسوف الشيعي الكبير، قاله قبل أكثر من ألف ومئة عام:

(وأمّا قول صاحب الإشهاد عن فِرَق الشيعة بأنَّهم يتخاصمون ويكذّب بعضهم بعضاً، فقد صدق في حكايته، وحال المسلمين في تكفير بعضهم بعضاً هذا الحال، فليقل ما يجب بعد وضوح الأمر، فإنَّ البراهمة تطعن علىٰ المسلمين بمثل ما يطعن هو علىٰ الشيعة، وهذه حال من ينقض نفسه بما يقوله في خصمه)[1].

وأمّا الأمر الثاني الذي يبدو أنَّ القفاري كان يسعىٰ إلىٰ الإيحاء به، رغم عدم تصريحه بذلك، فهو أنَّ الآراء المختلفة التي ظهرت بين الشيعة بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام كانت جميعها محاولة للحفاظ علىٰ كيان التشيع.

وعلىٰ هذا الأساس، فإنَّ تأسيس فكرة وجود الإمام المهدي الغائب كان رد فعل من العلماء الشيعة الاثني عشرية لمواجهة الحيرة والارتباك الذي ساد المجتمع الشيعي بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

بعبارة أخرىٰ، لم تكن فكرة وجود ابن غائب للإمام العسكري عليه السلام أكثر من كونها تدبيراً للخروج من المشكلات التي كان يعاني منها المجتمع الشيعي.

نقد ومراجعة:

أيضاً في الرد علىٰ الشبهة المذكورة يجب أن نقول: إنَّ القفاري بطبيعته ليس بصدد نقد معتقدات الشيعة بناءً علىٰ مباني أهل السنة، لأنَّه إذا نظر إليها ككاتب سُنّي وهابي وبنظرة إنكار وشك، فإن جميع معتقدات الشيعة ستظهر له موهومة ومنسوجة في ذهن العلماء الشيعة، فلن يكون هناك أي

١. الصدوق - كمال الدين: ص١٠٨.

أصل مشترك بيننا وبينه، وستُغلق أبواب الحوار والتفاهم. كما يمكننا توجيه اتّهامات مماثلة له ولمعتقداته.

بناءً على ذلك، يجب أن تكون مباني نقده مقبولة من قبل علماء الشيعة. كما أنَّ القفاري في مقدمة كتابه كان قد التزم بأنه سيستخدم فقط مصادر الشيعة في نقد معتقداتهم، لذا لابد من الرجوع إلىٰ المصادر التي استند إليها، وإلىٰ المصادر المماثلة لتقييم صحة وسقم تحليله.

المصادر القديمة الشيعية التي كان كتّابها معاصرين للإمام الحسن العسكري عليه السلام قد أوضحت أنَّه عليه السلام كان لديه أصحابه الخاصّون الذين كانت لهم علاقة وثيقة به، وكانوا حاملين لروايات ومعارف ذلك الإمام، وكانت مهمتهم تلقّي الرسائل وطلبات الشيعة وإيصالها إلىٰ الإمام، وكذلك إبلاغ ردود الإمام إلىٰ الناس. هؤلاء الأصحاب الخاصّون بعد استشهاد الإمام اتّفقوا على أنَّ له ابناً غائباً، ولم يحدث بينهم أيّ شك، بل كان جميع الشيعة قبل استشهاد الإمام العسكري عليه السلام متّفقين على هذا الاعتقاد.

أبو سهل النوبختي، الذي يعد من علماء القرن الثالث، كتب في هذا الصدد ما يلي:

(إنَّ الحسن عليه السلام خلف جماعة من ثقاته ممن يروي عنه الحلال والحرام ويؤدي كتب شيعته وأموالهم، ويخرجون الأجوبة، وكانوا بموضع من الستر والعدالة بتعديله إيّاهم في حياته، فلمّا مضىٰ أجمعوا جميعاً على أنَّه قد خلَّف ولداً هو الإمام)[١].

وأبو محمد النوبختي، كاتب شيعي آخر عاش في القرن الثالث، أشار أيضاً إلىٰ أن هناك أحاديث كثيرة تتعلق بسرية ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه وغيبته، كتب: (لقد كان الشيعة الإمامية دائماً على هذا الاعتقاد)[٢].

١. إسماعيل بن علي النوبختي – التنبيه في الإمامة، نقلاً عن كمال الدين وتمام النعمة: ص٩٢.

٢. أبو محمد حسن بن موسىٰ نوبختي – فرق الشيعة: ص١١٩.

وبشهادة الأشعري القمي من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، كان الاعتقاد بأنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه هو ابن الإمام العسكري عليه السلام ويعيش في غيبة، هو من المعتقدات التي اتّفق عليها الشيعة دائماً، حتَّىٰ قبل استشهاد الإمام العسكري عليه السلام، وقد كتب في هذا الصدد:

(وقد رويت الأخبار الكثيرة الصحيحة أنَّ القائم تخفىٰ علىٰ الناس ولادته، ويخمل ذكره، ولا يعرف اسمه، ولا يعلم مكانه، حتَّىٰ يظهر ويؤتم به قبل قيامه. ولابدّ مع هذا الذي ذكرناه ووصفنا استتاره وخفاءه من أن يعلم أمره وثقاته وثقات أبيه وإن قلّوا... فهذه سبيل الإمامة وهذا المنهاج الواضح، والغرض الواجب اللازم الذي لم يزل عليه الإجماع من الشيعة الإمامية المهتدية رحمة الله عليها،... وعلىٰ ذلك كان إجماعنا إلىٰ يوم مضىٰ الحسن بن علي رضوان الله عليه)[1].

بناءً علىٰ ذلك، ووفقاً لشهادة الأشعري القمي، لم يكن هناك فقط اتِّفاق بين أصحاب الإمام العسكري عليه السلام علىٰ وجود ابن غائب لذلك الإمام، بل قبل استشهاد ذلك الإمام، وكانت هذه المسألة محل إجماع بين جميع الشيعة، وإذا حدثت خلافات في هذا الشأن، فإنّها كانت بعد استشهاد الإمام، بسبب تسلط أفراد انتهازيين أو جهلاء.

مع الأخذ في الاعتبار ما تقدّم، يتَّضح أنَّ تحليل السيد القفاري، الذي ادَّعىٰ أنَّ العلماء الشيعة بعد مواجهة حيرة المجتمع الشيعي بسبب فقدان ابن للإمام العسكري (اخترعوا فكرة وجود ابن غائب لذلك الإمام) هو تحليل بلا أساس، ووفقاً لما صرَّح به العلماء الذين عاشوا في ذلك العصر، كانت العقيدة بوجود وغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه من المعتقدات المتّفق عليها بين أصحاب الإمام العسكري حتَّىٰ قبل استشهاده عليه السلام.

---

١. الأشعري القمي – المقالات والفرق: ص١٠٦.

أمّا الفِرَق الأخرىٰ التي اتَّجهت إلىٰ أفكار غير أفكار الشيعة الإمامية الاثني عشرية، فهو انحراف عن العقيدة السائدة، ومع ذلك، لا يمكن تفسير الاعتقاد بوجود وغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه كفكرة مصنوعة للخروج من حيرة وتذبذب المجتمع الشيعي.

هذا هو واقع عصر إمامة الإمام العسكري عليه السلام، واستشهاده، وبعده استشهاده، وفقاً لأحاديث علماء الشيعة. فإذا كان السيد القفاري يريد أن يحكم بناءً علىٰ أحاديثهم، فلن يصل إلىٰ شيء سوىٰ ما ذكرناه، لكن إذا أراد أن ينكر جميع تلك الحقائق ككاتب وهابي، فلا حديث لنا معه.

وبالنظر إلىٰ ما سبق، اتَّضح أنَّ ادِّعاء القفاري بأنَّ الشيعة ارتبكوا لأنَّهم أصبحوا بلا إمام، في حين أنَّ الدين - عندهم - لا يمكن أن يكون بلا إمام، لأنَّه حجّة علىٰ أهل الأرض، هو قول باطل. لأنَّ الغالبية العظمىٰ من الشيعة، ورغم اعتقادهم بأنَّ الدين لا يمكن أن يكون بلا إمام، وأنَّ الإمام حجّة علىٰ أهل الأرض، وأنَّه لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها، كانوا علىٰ دراية بالعديد من الروايات التي تحدّثت عن غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه، وقد وَفَّقوا بين هذين الاعتقادين. وكانوا يعلمون أنَّ الإمام يمكن أن يحمل آثار وبركات وجوده رغم كونه مختفياً. ولهذا السبب، ووفقاً لما جرىٰ، ورغم أنه بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام حدث خلاف بين الشيعة حول الإمام المهدي، إلَّا أنَّ الغالبية منهم ظلّوا متمسّكين بمذهب الشيعة الاثني عشرية.

وهنا ندقق في نهاية هذا الجزء أيضاً في قول القمي والنوبختي عندما استشهد الإمام العسكري عليه السلام: (وتوفّىٰ ولم يُرَ له خلَف، ولم يُعرف له ولد ظاهر،...)، فمن خلال التدقيق في هذه التعابير يتَّضح أنَّ ما نفاه الكُتّاب المذكورون ليس وجود ابن للإمام العسكري، بل مشاهدته الظاهرة.

لذلك، لا يمكن استنتاج عدم وجود ابن للإمام العسكري من اعتراف علماء الشيعة بعدم رؤية ولد الإمام العسكري عليه السلام.

لذلك ذكروا بعد ذلك بوضوح وجود الإمام المهدي وغيبته، وقد ذكرنا عباراتهم بالتفصيل فيما مرّ.

بناءً على ذلك، ليس من الواضح كيف أنَّ القفاري بعد نقل هذا الكلام لعلماء الشيعة الذي يقول: (لم يُر له خلَف ولم يُعرف له ولد ظاهر) يدّعي بعد ذلك أنَّهم بقوا بلا إمام...، ولكن الإمام مات بلا عقب، وبقيت الأرض بلا إمام و...!

الشبهة الثالثة: [أسباب القول بالغيبة]:

قال تحت عنوان:

(أسباب القول بالغيبة:

ولعلّ القارئ يعجب من ذلك الإصرار الشديد على القول بإمامة أحد من آل البيت، ... أو يدَّعون أنَّه حي بعد موته، أو يخترعون ولداً لمن لا عقب له...

إنَّ أهم سبب لهذا الإصرار يتبين من خلال اختلاف هذه الفرق ونزاعها فيما بينها للدفاع عن رأيها والفوز بأكثر قدر من الأتباع، حيث إنَّ كل طائفة تنادي بمهديٍّ لها وتكذّب الأخرىٰ، ومن خلال تلك الخصومة تتسرَّب الحقيقة...

وأنَّ وراء دعوىٰ غيبة الإمام وانتظار رجعته الرغبة في الاستئثار بالأموال، وأنّ هناك فئات منتفعة بدعوىٰ التّشيّع تغرّر بالسُّذّج، وتأخذ أموالهم باسم أنّهم نوّاب الإمام، فإذا ما توفّي الإمام أنكروا موته لتبقىٰ الأموال في أيديهم، ويستمرّ دفع الأموال إليهم باسم خمس الإمام الغائب.

وهكذا تدور عمليات النهب والسلب... والضحية هم أولئك السذّج المغفلون الذين يدفعون أموالهم إلىٰ من زعموا أنّهم نواب الإمام في بلدان العالم الإسلامي. والذين استمرأوا هذه الغنيمة الباردة فظلوا يذكون في النفوس محبة آل البيت، واستشعار ظلم آل البيت، والحديث عن محن آل البيت، والمطالبة بحق آل البيت... ليفرقوا الأمة، ويتخذوا من تلك الأموال وسيلة لتغذية جمعياتهم السرّية التي تعمل علىٰ تقويض كيان الدولة الإسلامية)[1].

نقد ومراجعة:

السيد القفاري في بداية هذا القسم أصرّ علىٰ أنّ بعض الشيعة ينكرون رحيل الإمام ويدَّعون حياته وغيبته، وقد اعتبر ذلك عجيباً، ونحن أيضاً نتعجب من عجبه، لأنَّه من المصادفة أن هذا الإصرار نفسه هو أفضل دليل علىٰ أنَّ فكرة غيبة المهدي المنتظر كانت راسخة وعميقة ومؤكّدة. لذلك، لا ينبغي التعجُّب من هذا الإصرار، بل يجب أن نتعلَّم منه أنَّ الشيعة عبر التاريخ كانوا يحملون فكرة غيبة المهدي المنتظر من جيل إلىٰ جيل، ولم يكن لديهم أدنىٰ شك في ذلك، وهذه العقيدة كانت واحدة من المعتقدات التي لا تقبل الشك.

لذلك، بالنسبة لفكرة الغيبة، وبعيداً عن الاختلافات التي كانت موجودة في تحديد مصداقها، لا يمكن العثور علىٰ مستند سوىٰ أقوال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

ولكن في الرد علىٰ ادِّعائه بأنّ طرح فكرة غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه كان بدافع الحصول علىٰ الثروة، فيجب أن نقول:

أولاً: مع الأخذ في الاعتبار ما تمّ توضيحه في نقد الشبهة السابقة، اتَّضح أنَّ مسألة الاعتقاد بالإمام المهدي عجل الله فرجه وغيبته حتَّىٰ قبل استشهاد الإمام

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠٠٤-١٠٠٧.

العسكري عليه السلام كان لها حضور بين النخبة، بل وجميع الشيعة، وخلافاً لاعتقاد السيد القفاري، فلم يتطور هذا الاعتقاد بعد استشهاد الإمام العسكري التاريخي عليه السلام، لذلك فإن تحليله لسبب تطور فكرة غيبة الإمام المهدي بعد استشهاد أبيه عليه السلام يبطل من الأساس، لأنَّ تحليله في هذا الصدد استند إلىٰ ظهور هذا الفكر بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام وأنَّ نوابه سعوا إلىٰ كسب الثروة والمال، بينما ثبت أنَّ هذا الاعتقاد كان موجوداً حتَّىٰ قبل استشهاد الإمام عليه السلام، وبحسب بعض العلماء المعاصرين في ذلك الوقت، كان ذلك من القضايا التي اتّفق عليها الشيعة.

ثانياً: إنّ الاستدلال القائل بأنه باعتراف علماء الشيعة فإنَّ أصل ظهور فكرة غيبة الإمام الكاظم من جانب بعض الشيعة كان بسبب الجشع في كسب الثروة، استدلال ضعيف جداً لدرجة أنه لا يحتاج إلىٰ إجابة، ولكن يمكن الإشارة إلىٰ أنَّه سيبرر للملحد أن يدَّعي أن اعترافات المسلمين بأنَّ أناساً مثل مسيلمة الكذاب ادَّعىٰ زوراً أنَّه نبي بقصد اكتساب الجاه والثروة، هي السبب في ادِّعاء نبيّه أيضاً زوراً أنّه نبي، ولم يكن لديه هدف آخر سوىٰ كسب الجاه والثروة. هل يقبل السيد القفاري هذه الحجة ويخضع لها؟

في الأساس، إذا كان من الممكن فتح الباب أمام مثل هذه التحليلات، وإدخال الأحداث التاريخية نتيجة مؤامرة بعض الانتهازيين والمستفيدين، فلا يمكن استبعاد أي شخصية من مرمىٰ هذه المشاكل.

وعندما يعتبر القفاري أنَّ اتِّفاق مئات العلماء الشيعة علىٰ فكرة الغيبة ناتج عن موافقتهم علىٰ اكتساب الثروة والسلطة، ويعتبر أنَّ مثل هذا الاتفاق ليس ممكناً فحسب، بل تحقّق أيضاً، ألا يمكن اعتبار الاتفاق بين شخصين - عمر وأبي بكر -، أو عدد محدود من الأشخاص الذين استقروا - في السقيفة - وتعاقدوا، اتفاقاً لاكتساب الثروة والسلطة؟

ثالثاً: إنَّ الوكالة والنيابة من طرف الإمام المهدي قد أُيّدت من قبل علماء بارزين مثل الأشعري، والنوبختي، وابن قبة، والكليني، وعلي بن بابويه، وغيرهم. وأنَّ هؤلاء العلماء لم يُذكر في أي مصدر كونهم نواباً ووكلاءً للإمام المهدي، وبعبارة أخرىٰ فإنَّ فكرة النيابة والوكالة لم تكن لهم فيها أيّ منفعة أو استفادة.

وعلىٰ هذا الأساس، إذا كان ادّعاء غيبة الإمام المهدي (والنيابة) ادِّعاء كاذباً ولغرض الاستيلاء علىٰ الأموال. فلِمَ التزم العلماء المذكورون الصمت أبداً في مواجهتها، ومعه فيمكن القول: إنَّ صمتهم كان تأكيداً علىٰ شرعية فكرة الغيبة والنيابة.

الشبهة الرابعة: [دعوىٰ سعي الشيعة إلىٰ خلق كيان سياسي]:

(قال): (ولعل من أسباب القول بالمهديّة والغيبة أيضاً تطلّع الشيعة إلىٰ قيام كيان سياسي لهم مستقل عن دولة الإسلام، وهذا ما نلمسه في اهتمامهم بمسألة الإمامة، ولمّا خابت آمالهم، وغُلبوا علىٰ أمرهم وانقلبوا صاغرين، هربوا من الواقع إلىٰ الآمال والأحلام كمهرب نفسي ينقذون به أنفسهم من الإحباط وشيعتهم من اليأس، وأخذوا يبثّون الرجاء والأمل في نفوس أصحابهم، ويمنّونهم بأنَّ الأمر سيكون في النهاية لهم؛ ولذلك فإنَّ القول بالمهديّة والغيبة ينشط دعاته بعد وفاة كلّ إمام؛ لمواجهة عوامل اليأس وفقدان الأمل، بالإضافة إلىٰ تحقيق المكاسب المادية. كما أنَّ التشيع كان مهوىٰ قلوب أصحاب النِحل والأهواء والمذاهب المتطرفة؛ لأنَّهم يجدون من خلاله الجو المناسب لتحقيق أهدافهم، والعودة إلىٰ معتقداتهم...)[1].

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠٠٩.

نقد ومراجعة:

التحليل الثاني الذي قدَّمه القفاري من أجل إثبات زيف فكرة الغيبة، إن كان صحيحاً، فإنَّه أكثر من مجرد نفي للاعتقاد بالغيبة، بل يبطل أصل فكرة المهدوية، لأنَّه بناءً علىٰ هذا التحليل يمكن اعتبار فكرة المهدوية مُختلَقة مثلما يراها بعض الغربيين، وذلك بالقول إنَّه نظراً لانحطاط وضعف المجتمع الإسلامي، وانتشار الفساد والظلم بينهم، وعدم قدرتهم علىٰ مواجهته، فقد اخترعوا فكرة المهدوية وتعلقوا بظهور المهدي الموعود وانتشار العدالة وزوال الفساد والظلم بواسطته. مع أنَّ القفاري - كما يبدو - يقبل أصل فكرة المهدوية، ولهذا السبب فإنَّ التحليل المذكور غير مقبول لديه أيضاً. وبناءً علىٰ هذا التحليل السابق، فإنّ القفاري لا يُشوش فقط علىٰ الاعتقاد بالإمام المهدي (وفقاً للقراءة الشيعية)، بل يهز أيضاً أساس فكرة المهدوية حتَّىٰ وفقاً للقراءة السنّية. مع أنَّ هذه الفكرة هي من المعتقدات التي لا شكّ فيها في دين الإسلام.

بالإضافة إلىٰ ما تمّ ذكره، يمكن القول في نقد التحليل المذكور: إنَّه إذا كان تحليل السيد القفاري صحيحاً، وأنَّ الشيعة بالفعل قد ابتكروا فكرة المهدوية بسبب اليأس من الحصول علىٰ السلطة السياسية، فإنَّ ما كان يعالج هذا الإحباط ويخفف من يأسهم هو فكرة المهدوية نفسها، وليس الاعتقاد بغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

بمعنىٰ آخر: كان بإمكان الشيعة أن يطمئنّوا بقدوم رجل مصلح سيعيد إليهم السلطة، وللتغلب علىٰ يأسهم وإحباطاتهم لم يكن لديهم أي حاجة للاعتقاد بغيبة المهدي المنتظر، بل إنّ فكرة المهدوية نفسها، حتَّىٰ في قراءتها السنية - أي الاعتقاد بأنَّ الإمام المهدي حالياً غير موجود، وأنَّ ظهوره في مستقبل غير محدد قد يكون قريباً - كانت قادرة علىٰ تخفيف آلامهم وإعطائهم الأمل.

لذلك، فإنَّ التحليل الذي قدّمه القفاري لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يثبت زيف فكرة الغيبة، وإذا كان تحليله صحيحاً، فإنّه سيتحدّىٰ الفكرة الأساسية للمهدوية، ومن الواضح أنّه لا يرضىٰ بهذا الأمر، لأنَّ هذه الفكرة هي من المعتقدات التي لا شك فيها في دين الإسلام.

الشبهة الخامسة: [دعوىٰ وجود دور للديانات السابقة في تأسيس المهدوية]:

قال: (ولهذا فإنَّ مسألة المهدية والغيبة حسب الاعتقاد الشيعي لها جذورها في بعض الديانات والنحل، مما لا يستبعد معه أن لأتباع تلك الديانات دوراً في تأسيس هذه الفكرة في أذهان الشيعة...، هي أنَّ نظرية الغيبة ترجع في أصولها إلىٰ ابن سبأ وهو حبر من أحبار اليهود.

كذلك ما صرَّح به بعض شعراء الشيعة من أنّ فكرة المهدية مستمدة من أخبار كعب الأحبار الذي كان علىٰ دين اليهودية قبل إسلامه، ويبدو ذلك بوضوح فيما قاله شاعر الكيسانية كثير عزّة في ابن الحنفية:

هو المهدي خبرناه كعب أخو الأحبار في الحقب الخوالي

... وأرجّح في هذه المسألة أنّ عقيدة الاثني عشرية في المهدية والغيبة ترجع إلىٰ أصول مجوسية، فالشيعة أكثرهم من الفرس، والفرس من أديانهم المجوسيّة، والمجوس تدّعي أنّ لهم منتظراً حياً باقياً مهديّاً من ولد بشتاسف بن بهراسف يُقال له: أبشاوثن، وأنَّه في حصن عظيم من خراسان والصّين. وهذا مطابق لجوهر المذهب الاثني عشري)[1].

نقد ومراجعة:

القفاري في بداية هذا الجزء لم يكن متردداً في تقديم فكرة أنَّ الغيبة متأثرةٌ بالديانة اليهودية، ويستند في هذا الادِّعاء إلىٰ ما يعتقد أنَّه دليلان:

---

١. السابق: ص١٠٠٩-١٠١١.

الأول: أنَّ أول شخصية تؤمن بغيبة الإمام علي عليه السلام كان عبد الله بن سبأ اليهودي.

والثاني: أن (كُثيراً) وهو من الشعراء الكيسانيين يستشهد في شعره بأقوال كعب الأحبار اليهودي.

لقد تحدثنا سابقاً بالتفصيل عن ادِّعاء الكاتب الأول، وشرحنا أنه إذا كان بالإمكان اعتبار عبد الله بن سبأ أول شخصية تدَّعي غيبة الإمام علي عليه السلام، إلّا أنَّه لا يمكن استنتاج أنّه مؤسّس لفكرة الغيبة أيضاً، لأنَّ هناك فرقاً كبيراً بين هذين الأمرين.

أمّا بالنسبة لشعر كُثير، فيجب القول: إنَّ القفاري غفل عن هذه النقطة الواضحة، وهي أن (كُثيراً) في هذا الشعر ينسب إلىٰ كعب ما يتعلق بمهديّة محمد بن حنيفة، وليس غيابه. (هو المهدي خبّرناه كعب)، وليس واضحاً كيف استطاع جناب القفاري استنباط انتقال فكرة الغيبة من خلال كعب الأحبار إلىٰ الكيسانية من هذا الشعر.

وبغض النظر عن ما تقدّم، فمن المدهش حقّاً كيف تجرّأ القفاري في الحديث عن تأثير أفكار وكلمات كعب الأحبار علىٰ الشيعة، في حين أنَّ التاريخ ومصادر أهل السنة تشهد بأنَّ هؤلاء هم الذين يعدّونه شخصية هامّة، وكتبهم مليئة برواياته. أليس من المعروف أنّ كعب الأحبار كان في عدَّة مناسبات مستشاراً الخليفة الثاني[1]؟ أليس هو القائل: (ألا إنَّ كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده علم كالبحار)[2]؟، وهل التعابير مثل: (وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم، وكان من أعلم الناس بأخبار التوراة، وكان حبراً من أحبار اليهود، ثم أسلم فحسن إسلامه، وكان له فهم ودين، وكان

١. الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد: ج١، ص٥٢؛ ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق: ج٢، ص٣٥٩؛ السابق: ج٥٠، ص١٥٨؛ و...

٢. فتح الباري: ج١٣، ص٢٨٢.

عمر يرضىٰ عنه)[١]، هي آراء علماء السُنَّة أم المفكرين الشيعة؟ وهل عبد الله بن عمر وأبو هريرة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم من الشخصيات السنّية هم رواة روايات كعب الأحبار، أم علماء الشيعة؟! ليت القفاري علىٰ الأقل وجد واحدة من هذه التعابير العالية التي ذكرها العلماء السُنَّة في وصف كعب الأحبار في كلمات العلماء الشيعة. وعندها كان سيتحدث عن تأثير أفكاره علىٰ معتقدات الشيعة. لا أعلم كيف كان يفكر القفاري ليعتبر شباب المسلمين جهلاء وسُذّجاً إلىٰ هذه الدرجة، وبهذه الجرأة ينسب عيوب وضعف مذهبه إلىٰ المذهب الشيعي.

أمّا الرد علىٰ ادِّعائه بأنَّ فكرة الغيبة لها جذور في مذهب المجوس، فيجب القول:

أولاً: من خلال الرجوع إلىٰ المصادر القديمة والأصلية لمذهب زردشت، يتضح تماماً أنَّ الزرادشتيين لا يؤمنون بغيبة موعودهم بأي شكل من الأشكال.

ومن المؤسف أنَّ السيد القفاري في رسالته للدكتوراه قد لجأ إلىٰ كتب من الطبقة الثانية بدلاً عن الرجوع إلىٰ النصوص القديمة لنسبة عقيدة إلىٰ الزرادشتيين، وليس فقط إلىٰ المصادر الزرادشتية، بل إلىٰ كتاب كاتب مسلم، ومن المؤسف أكثر أنَّ مجموعة من الأساتذة في مركز أكاديمي قد أيدوا أقواله وقبلوا كتابه كرسالة دكتوراه. هذه المسألة ستثير لدىٰ القارئ البصير سؤالاً مهماً، وهو: هل المراجع التي استخدمها الكاتب من المصادر الشيعية تتمتع بنفس القدر من الدقة والصحة؟

وثانياً: إيمان الشيعة بغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه له جذور في كلمات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وفي هذا الشأن تمّ جمع وتوثيق مئات الروايات في المصادر الشيعية القديمة، وأنَّ وجود عقيدة مشابهة في الديانة

١. ابن عبد البر – التمهيد: ج٢٣، ص٣٩.

المجوسية - افتراض وجودها طبعاً - لا يعني أنّ هذه الفكرة قد انتقلت من المجوسية إلىٰ الشيعة، كما صرَّح القفاري بوجود اعتقاد مشابه في اليهودية، ومجرّد التشابه لا يعني انتقاله من الديانة اليهودية.

بمعنىٰ آخر، إذا كان مجرد اشتراك مذهبين في عقيدة ما يدل علىٰ انتقال تلك العقيدة من ديانة قديمة إلىٰ مذهب آخر، فيجب أن نعدّ أصل التوحيد، والمعاد، والنبوة، والإيمان بالموعود... من رواسب الديانتين اليهودية والمسيحية، لأنَّ هذه المعتقدات كانت موجودة قبل الإسلام في تلك الأديان. وإذا كان مجرد الاشتراك لا يدلّ علىٰ الانتقال، كما اعترف القفاري بنفسه، فلا يمكن اعتبار عقيدة غيبة الموعود في مذهب الشيعة مستندة إلىٰ الديانة الأقدم بناءً علىٰ هذا الاشتراك. بالطبع، بغض النظر عن أنَّ الإيمان بالغيبة لا يوجد أساساً في ديانة المجوس.

الشبهة السادسة: [واضح مبدأ الغيبة]:

قال: (واضع مبدأ الغيبة عند الاثني عشرية:

إذا كان ابن سبأ هو الذي وضع عقيدة النص علىٰ علي بالإمامة - كما تذكره كتب الفِرَق عند الشيعة وغيرها - فإنَّ هناك ابن سبأ آخر هو الذي وضع البديل (لفكرة الإمامة) بعد انتهائها حسّياً بانقطاع نسل الحسن، أو أنَّه واحد من مجموعة وضعت هذه الفكرة، لكنّه هو الوجه البارز لهذه الدعوىٰ. هذا الرجل يدعىٰ عثمان بن سعيد العمري، وقد قام بدوره في منتهىٰ السرية حيث (كان يتجر في السمن تغطية علىٰ الأمر)، وكان يتلّقىٰ الأموال التي تؤخذ من الأتباع باسم الزكاة والخمس وحق أهل البيت فيضعها (في جراب السمن وزقاقه... تقيّة وخوفاً). وقد زعم - في دعواه - أنَّ للحسن ولداً قد اختفىٰ وعمره أربع سنوات، وزعم أنه لا يلتقي به أحد سواه، فهو السفير بينه وبين الشيعة، يستلم أموالهم، ويتلقىٰ أسئلتهم ومشكلاتهم ليوصلهم للإمام الغائب.

ومن الغريب أنَّ الشيعة تزعم أنّها لا تقبل إلَّا قول المعصوم عليه السلام حتَّىٰ ترفض الإجماع بدون المعصوم، وها هي تقبل في أهم عقائدها دعوىٰ رجل واحد غير معصوم)[1].

نقد ومراجعة:

من أقوال السيد القفاري يُستنتج أنَّ قضيّة وجود وغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه لم تُطرح في أيّ من أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ولم يتحدَّث الإمام الحسن العسكري عليه السلام في هذا الشأن، ولم يعلم أحدٌ عن ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ولم يلتقِ أيّ من الشيعة به، ولم يكن أحدٌ علىٰ علم بوجوده، وأنَّه قبل استشهاد الإمام العسكري عليه السلام لم يكن هناك أي تصوُّر بين الشيعة حول ذلك، وفجأة ظهر رجل مجهولٌ يُدعىٰ عثمان بن سعيد يدَّعي أنَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام له ابن غائب، ويدَّعي أنَّه نائب ذلك الإمام. حقّاً إذا كانت الحقيقة كما وردت في أقوال القفاري، فإنَّ الحق معه، وأنّ الشيعة ليسوا سوىٰ سُذّج.

لكن النصوص التاريخيّة والحديثيّة قد صوّرت الواقع بشكل آخر. ووفقاً لها فإنَّ الأئمة المعصومين عليهم السلام وقبل ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه قد أوضحوا في مئات الروايات موضوع الولادة السريّة وغيبته، وقد تحدّث الإمام العسكري عليه السلام أيضاً، وبشكل خاص في مواضع متعدّدة، عن غيبة وحياة ابنه.

كانت مسألة غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه مسلّمة وموثوقة، لدرجة أنَّه حتَّىٰ قبل ولادته، كُتبت عشرات الكتب تحت عنوان (الغيبة). علىٰ سبيل المثال: إبراهيم بن صالح النماطي من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، وحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني المعاصر للإمام الرضا عليه السلام، وعلي بن حسن بن فضال

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠٠٩.

من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، وعباس بن هشام المتوفىٰ ٢٢٠، وغيرهم ممن كتبوا عن غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه قبل ولادته وغيبته. وبعد ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه، أيضاً زار عشرات من الشيعة الموثوق بهم جمال ذلك الإمام، أو علِموا من خلال الإمام العسكري عليه السلام ولادته. وكما ذُكِر، فإنَّ أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، بل إنَّ جميع الشيعة كانوا متّفقين علىٰ هذا الأمر.

من جهة أخرىٰ، فإنَّ عثمان بن سعيد لم يكن إنساناً مجهولاً، بل كان من الشخصيّات المعروفة التي تولّت لسنوات مسؤولية وكالتها من قِبَل الإمام الهادي عليه السلام والإمام العسكري عليه السلام، وقد وثّقه الإمام الحسن العسكري عليه السلام في مواضع متعددة أمام الشيعة، وأكّد علىٰ وكالته من قِبَل ابنه.

ما تقدَّم يُظهر بوضوح أنَّ اعتقاد الشيعة بالإمام الغائب لا يرتكز علىٰ قول عثمان بن سعيد، ليتعجب القفاري من قبول قول غير المعصوم في أهم المسائل. وما يثير التعجّب هو كيف أن القفاري لم يرَ أو لم يُرد أن يرىٰ المئات من الروايات الموجودة في عشرات المصادر الشيعية القديمة، والتي رواها عشرات الرواة الذين كان لديهم ميول وآراء مختلفة وعاشوا في مناطق جغرافية متنوعة، والتي تحدّثت جميعها عن غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه. وبالإضافة إلىٰ ما سبق، هناك أخطاء متعدّدة أخرىٰ في كلمات السيد القفاري التي سيتم الإشارة إليها بإيجاز.

الشبهة السابعة: [دعوىٰ النزاع علىٰ السفارة زمن السفير الأوَّل]:

وفي شرح حال عثمان بن سعيد يكتب القفاري:

(وقد ادَّعىٰ مثل دعواه آخرون، كلٌّ يزعم أنَّه الباب للغائب، وكان النزاع بينهما علىٰ أشدّه، وكلُّ واحد منهم يخرج توقيعاً يزعم أنه صدَرَ عن الغائب المنتظر يتضمَّن لعن الآخر وتكذيبه)[1].

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠١٢.

نقول: لحسن الحظ، ومع الرجوع إلىٰ المصادر القديمة يتَّضح أنَّه في عصر سفارة عثمان بن سعيد لم يدَّع أحد السفارة، ولم يتنازع أحد معه بشأن أمر نيابة الإمام المهدي عجل الله فرجه، حيث لم يكن هناك حتَّىٰ حالة واحدة لمُدَّعٍ كاذب في النيابة. وهذا الأمر يدلّ علىٰ ثبات مكانته، واتِّفاق الشيعة علىٰ أمر نيابته. وهذا بالطبع نتيجة التمهيد الذي قام به الإمام العسكري عليه السلام وتذكيراته المتكررة بشأن نيابة عثمان بن سعيد عن الإمام المهدي عجل الله فرجه.

مع الأخذ في الاعتبار النقطة السابقة، يتّضح أنّ هذا القول من القفاري أيضاً لا أساس له، وهو: (وهناك وكلاء آخرون غير مرضيين من عثمان بن سعيد ومن يشايعه)[١].

الشبهة الثامنة: [دعوىٰ إخراج التوقيعات الكاذبة من أجل الأموال]:

وكتب: (واختلف الشيوخ علىٰ النيابة، وكلٌّ يخرج توقيعاً... وكثر الذين يدَّعون النيابة؛ وذلك بُغية الاستيلاء علىٰ الأموال التي تُجبىٰ باسم هذا المنتظر...)[٢].

هذا الادِّعاء أيضاً، كالسابق، لا أساس له، حيث إنه لا يوجد في المصادر حتَّىٰ حالة واحدة تشير إلىٰ أن المدّعين الكاذبين قد أخرجوا توقيعاً ونسبوه إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه. ولهذا السبب، فإنَّ القفاري لا يقدّم أي سند يدعم دعواه.

الشبهة التاسعة: [دعوىٰ كثرة المخالفين في سفارة محمد بن عثمان]:

ويكتب بعد ذلك:

(ولمّا توفّي عثمان بن سعيد الباب الأول المعتمد عند الاثني عشرية، عيّن من بعده ابنه محمّداً، ولكن خالفه في ذلك طائفة منهم، فلم ترتض بابية ابنه، ونشأ نزاع بينهم ولعن بعضهم بعضاً)[٣].

١. السابق: ص١٠١٣.
٢. السابق: ص١٠١٢.
٣. السابق: ص١٠١٣.

فنقول: لا يقدِّم الكاتب دليلاً على ادِّعائه ولا يذكر سنداً لذلك، ولكن لتوضيح مدىٰ عدم صحّة أقواله، نرجع إلىٰ أقوال الشيخ الطوسي، حيث يروي:

(لم تزل الشيعة مقيمة علىٰ عدالة عثمان بن سعيد ومحمد بن عثمان رحمها الله تعالىٰ إلىٰ أن توفّي أبو عمرو عثمان بن سعيد رحمه الله تعالىٰ، وغسله ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان، وتولّىٰ القيام به، وجعل الأمر كلّه مردوداً إليه، والشيعة مجتمعة علىٰ عدالته وثقته وأمانته لِما تقدَّم له من النص عليه بالأمانة والعدالة، والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن عليه السلام، وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد، لا يختلف في عدالته، ولا يرتاب بأمانته، والتوقيعات تخرج علىٰ يده إلىٰ الشيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره، ولا يرجع إلىٰ أحد سواه)[١].

وفي صدر نفس الرواية التي تشرح قضية مخالفة أحمد بن هلال، والتي استند إليها القفاري، جاء فيها: (كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد عليه السلام، فاجتمعت الشيعة علىٰ وكالة محمد بن عثمان رحمه الله بنص الحسن عليه السلام في حياته، ولما مضىٰ الحسن عليه السلام قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه...)[٢].

بالطبع، القفاري، ومن أجل إظهار عدد المعارضين بشكل أكبر، امتنع عن ذكر صدر الحديث، واكتفىٰ بنقله في ذيله. بناءً علىٰ ذلك، تشهد المصادر القديمة للشيعة علىٰ الإجماع حول نيابة النائب الثاني، ومن الواضح أنَّه مع وجود مثل هذا الإجماع بين الشيعة حول سفارته، فإنَّ عدداً قليلاً من المدّعين الكاذبين الذين عارضوه لا يؤثر علىٰ سفارته.

١. الشيخ الطوسي - الغيبة: ص٣٦٢.
٢. السابق: ص٣٩٩.

الشبهة العاشرة: [دعوىٰ وكالة محمد بن علي بن بلال]:

وقد ادَّعىٰ في سياق حديثه:

(إنَّ رجلاً يُدعىٰ محمد بن علي بن بلال رفض بابية محمد بن عثمان العمري، وأنَّه جرىٰ بينه وبين العمري قصّة معروفة، حيث تمسّك الأول بالأموال التي كانت عنده للإمام، وامتنع من تسليمها، وادّعىٰ أنَّه الوكيل حتَّىٰ تبرأت منه الجماعة ولعنوه)[١].

فإنَّ ادِّعاء مشاركة محمد بن علي بن بلال مع عثمان بن سعيد في الوكالة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه وثقته عند الإمام المهدي عجل الله فرجه هو أيضاً مثل الادِّعاءات السابقة للشيخ القفاري غير الحقيقية؛ لأنَّه من الجملة التي ذكرها الشيخ الطوسي: (كان لديه أموال من الإمام احتفظ بها وامتنع عن دفعها)[٢]، التي استند إليها القفاري في ادِّعائه لوكالة ابن بلال عن الإمام المهدي عجل الله فرجه، لا يمكن بأي حال استنباط الوكالة منها، لأنَّه من الممكن أن يكون ابن بلال قد ادَّعىٰ الوكالة كذباً، وأنَّ الغافلين من الشيعة قد دفعوا له أموالهم الشرعية، وهو ممكن الحدوث[٣]، وقد صرَّح الشيخ الطوسي بالنقطة السابقة، وبعد ذكره امتناعه عن دفع الأموال الشرعية، قال: (وادِّعاءه أنَّه الوكيل حتَّىٰ تبرّأت الجماعة منه ولعنوه)[٤]؛ وبناءً علىٰ ذلك، فإنَّ محمد بن علي بن بلال لم يكن وكيلاً، ولا محل ثقة للإمام المهدي عجل الله فرجه.

الشبهة الحادية عشر: [دعوىٰ التزاحم علىٰ البابية من أجل الأموال]:

القفاري بناءً علىٰ الشبهة السابقة التي تمّ توضيح بطلانها، ألقىٰ شبهة أخرىٰ وادَّعىٰ:

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠١٤.

٢. الشيخ الطوسي - الغيبة: ص٤٠.

٣. انظر ترجمته: الكشي - رجال: ص٦٠٦، ح١١٢٨.

٤. الشيخ الطوسي - الغيبة: ص٤٠٠.

(فهو تزاحم وتكالب علىٰ البابية والوكالة من أجل جمع الأموال... وإلَّا لو كان هناك (إمام) غائب، يسير أم شيعته عن طريق الأبواب لما صارت الأموال إلىٰ هذا الرجل المحتال، ولما كان محل ثقة الإمام صاحب الزمان؛ لأنَّ الإمام عندهم يعلم ما كان وما يكون... فلماذا لم يصدر أمره من البداية في التحذير من التعامل معه حتَّىٰ لا يأخذ أموال الناس؟! لكن الحقيقة أنَّه لا إمام غائب...)[1].

فنقول: علىٰ الرغم من أنَّ ما تمّ ذكره في الشبهة السابقة يجعل هذه الشبهة غير قائمة من الأساس؛ لأنَّه أساساً لم يثبت وكالة ابن بلال عن الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وعلىٰ فرض أنَّنا نقبل بوجود بعض الأشخاص الخائنين بين وكلاء الإمام المهدي عجل الله فرجه، فإنَّ هؤلاء الأشخاص عندما تمّ تعيينهم كوكلاء كانوا من الصالحين، وبعد تعيينهم للوكالة اتّخذوا طريق الانحراف.

إنَّ تعيين مثل هؤلاء الأشخاص كوكلاء رغم علم الإمام بالمستقبل لا يُعدّ إشكالاً؛ لعدة أسباب:

أولاً: وفقاً للاعتقاد الشيعي، أنَّه بالرغم من أنَّ الأئمة المعصومين لديهم علم الغيب، إلَّا أنَّهم ملزمون بالتصرف وفق الظاهر، ويجب عليهم تجنّب إدخال علم الغيب في قراراتهم إلَّا في حالات استثنائية؛ لأنَّ من خلال هذا السلوك العادي والطبيعي من الإمام المعصوم، يُهيئ المجال لاختبار الناس، وسيكون بإمكانهم اختيار طريق السعادة أو الشقاء دون إكراه. ومن الأمثلة القرآنية علىٰ هذه القضية بلعم بن باعوراء، الذي كان رجلاً ورعاً وزاهداً، وقد نال بفضل الله تعالىٰ من نعمه ما جعله يرىٰ عرش الله[2]، وكان مستجاب الدعوة[3]، وكان

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠١٤ .

٢. المناوي - فتح القدير: ج١، ص٢٤٢.

٣. ابن جرير الطبري - جامع البيان: ج٩، ص١٦٦.

يعرف الاسم الأعظم[١]، ولكنه في النهاية، بسبب تعلقه بالدنيا، انتهىٰ به الأمر إلىٰ أن صار كما ورد في القرآن: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

وهنا نسأل القفاري: أليس من المعروف أنَّ الله الذي يعلم ما كان وما سيكون كان يعلم في النهاية من حال بلعم بن باعوراء، فلماذا لم يمنعه هذا العلم السابق من أن يحرمه من لطفه، ولم يعلّمه الاسم الأعظم، ولم يجعله مستجاب الدعوة؟ أليس ذلك بسبب أن الإرادة الإلهية قد تعلّقت بعدم الحكم علىٰ البشر بناءً علىٰ علمه الغيبي، بل بمنحهم أو حرمانهم وفقاً للسلوكيات التي يظهرونها؟ كذلك هو علم الأئمة المعصومين بالغيب، الذي هو شعاع من العلم الغيبي الإلهي الذي هو ذاتي وغير محدود.

ثانياً: إنَّ تعامل الإمام مع الوكلاء الذين كانوا في الوضع الحالي صالحين ومؤهلين، والذين قد ينحرفون في المستقبل، هو من مصاديق القصاص قبل الجريمة، وهو أمر غير مرغوب فيه شرعاً وعقلاً. لذلك، إذا كان هناك بين وكلاء الإمام أشخاص قد انحرفوا بعد تعيينهم في الوكالة، فإنَّ تعيينهم لهذا المنصب يبقىٰ بدون إشكال.

بناءً علىٰ ما سبق، تتَّضح الإجابة علىٰ سؤال السيد القفاري حول سبب عدم تحذير الإمام المهدي عجل الله فرجه من التواصل مع هؤلاء الأشخاص الخائنين منذ البداية، حيث إنَّ الافتراض المسبق لهذا السؤال هو تدخّل علم الغيب للإمام في جميع الشؤون، وحل جميع الأمور من خلال علم الغيب، في حين أنَّ الأئمة المعصومين في الماضي، باستثناء الحالات الاستثنائية، قد تصرّفوا وفقاً للظاهر.

---

١. ابن كثير – تفسير: ج٢، ص٢٧٥.

الشبهة الثانية عشر: [دعوىٰ إخراج توقيعات اللعن علىٰ من لا يدفع الأموال]:

يكتب المؤلف بعد ذلك: (كان الباب يخرج توقيعاً باللعن والبراءة كعادة الأبواب فيمن يرفض دفع الأموال إليهم)[١].

هذه الجملة تحتوي علىٰ ادِّعاءين، الأول: هو أن عادة نوّاب الإمام المهدي عجل الله فرجه كانت أنَّهم يصدرون توقيعاً بلعن معارضيهم، والثاني: هو أنّ هذه العادة كانت تُمارَس ضد الذين يمتنعون عن دفع الأموال لهم.

في الرد علىٰ الادِّعاء الأول؛ يجب أن يُقال: إنَّه وفقاً لإفادة المصادر، فإنه باستثناء خمسة أشخاص، وهم: الشريعي[٢]، وأحمد بن هلال[٣]، ومحمد بن علي بن بلال[٤]، والشلمغاني[٥]، والنميري[٦] - لم يصدر توقيع من الإمام المهدي عجل الله فرجه بلعن أي شخص، لذلك لا يمكن اعتبار صدور توقيع بلعن المعارضين عادة من عادات النوّاب.

أمّا الرد علىٰ الادِّعاء الثاني، فهو: أنَّه لم يصدر أي من التوقيعات التي صدرت ضد الأشخاص المذكورين بسبب انحرافات مالية فقط، بل وفقاً لتقرير الشيخ الطوسي كان سبب صدور التوقيع بلعن الشريعي هو كذبه علىٰ الله والأئمة المعصومين عليهم السلام ونسبته أموراً إليهم، وفي النهاية كفره وإلحاده[٧]، والنميري لُعن لأنَّه ادَّعىٰ النبوة لنفسه وربوبية الإمام الهادي عليه السلام[٨]، والشلمغاني انتهىٰ به المطاف إلىٰ الكفر والإلحاد.

---

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠١٥ .
٢. الشيخ الطوسي - الغيبة: ص٣٩٧.
٣. السابق: ص٣٩٩ .
٤. السابق: ص٤٠٠ .
٥. السابق: ص٤٠٥ .
٦. السابق: ص٤١١ .
٧. السابق: ص٣٩٧.
٨. السابق: ص٣٩٨.

لذلك فإنَّ الصورة التي قدَّمها القفاري عن النواب، والتي تُظهر أسلوبهم في مواجهة من يمتنعون عن دفع الأموال لهم، وهو إصدار توقيع بحقّهم، هي صورة سوداء وخالية من الحقيقة.

الشبهة الثالثة عشر: [دعوىٰ سيادة لغة المال علىٰ التوقيعات]:

وكتب فيما بعد: (كما تلاحظ بأنَّ لغة المال هي السائدة في التوقيعات المنسوبة للمنتظر، وعلىٰ ألسنة الأبواب والوكلاء)[١].

فنقول: أولاً: من خلال دراسة توقيعات الإمام المهدي عجل الله فرجه، يتَّضح أنَّ حدِّ التوقيعات تتعلق بأمور مثل المسائل العقائدية، والفقهية، والرد علىٰ الأسئلة، وإرشاد الشيعة، وغيرها، ولم يتم ذكر أي مسائل مالية فيها، ولا أنَّ الحدود الوحيدة المتعلقة بها هي حول المسائل المالية. لذلك، فإنَّ الادِّعاء بأنَّ كلمة (مال) هي الكلمة الشائعة الوحيدة في التوقيعات هو باطل من الأساس.

وثانياً: يبدو أن السيد القفاري يريد أن يوحي للقرّاء بأنَّ التوقيعات المالية تحتوي علىٰ مضامين، مثل التشجيع علىٰ دفع المال، والتهديد بعدم دفعه، وكيفيّة توزيع الأموال بين الأفراد المعنيين، بينما في مواضع متعددة وحتَّىٰ في هذا الجزء القليل من التوقيعات، تسعىٰ لطرح مواضيع أخرىٰ، مثل الأمر بعدم أخذ الأموال المرسلة[٢]، وإعادة الأموال المحرمة[٣]، وإعلان المقدار الدقيق للأموال المرسلة[٤]، وبالتالي، فإنَّ الصورة التي يقدّمها السيد القفاري عن المسائل المالية لنائبي الإمام المهدي عجل الله فرجه لا تتوافق بأي شكل من الأشكال مع الواقع.

---

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠١٦.

٢. الشيخ الصدوق - كمال الدين: ص٤٨٦.

٣. السابق.

٤. قطب الدين الراوندي - الخرائج والجرائح: ج٢، ص٧٠٠.

الشبهة الرابعة عشر: [دعوىٰ النزاع في تعين السفير الثالث]:

ويستمر حديث الكاتب بقوله:

(فقد أثار تعيين أبي القاسم بن روح نزاعاً كبيراً بين الخلايا السرية، فانفصل عدد من رؤسائهم، وادّعوا البابية لأنفسهم... وكثر التلاعن بينهم)[١].

فنقول: أولاً: في المصادر، ذُكر النزاع بين النائب الثالث والشلمغاني بشكل صريح، ولم يُذكر أي نزاع أو لعن لشخص آخر من قبل الحسين بن روح. نعم، من المحتمل أن الحلّاج وأبا بكر البغدادي، وأبا دلف المجنون، قد طرحوا ادّعاءات باطلة في عصر النائب الثالث، ولكن هذا لم يُذكر بشكل صريح في المصادر. ومع ذلك، كما قال الشيخ الطوسي: (وأمر أبي بكر البغدادي في قلة العلم والمروة أشهر، وجنون أبي دلف أكثر من أن يحصىٰ)[٢].

وقال جعفر بن محمد بن قولويه: (أمّا أبو دلف الكاتب - لا حاطه الله - فكنّا نعرفه ملحداً ثمّ أظهر الغلو، ثم جُنّ وسلسل، ثم صار مفوِّضاً، وما عرفناه قط إذا حضر في مشهد إلّا استخفّ به، ولا عرفته الشيعة إلَّا مدة يسيرة)[٣].

لذلك، لم يكن لهذين الشخصين مكانة أو موقع بين الشيعة، ليتمكّنا من مواجهة الحسين بن روح والنزاع معه. بناءً علىٰ ذلك، فإنَّ قول القفاري بأن تعيين الحسين بن روح أثار نزاعاً كبيراً ليس إلَّا تشويهاً للحقائق.

ثانياً: إنَّ جناب القفاري الذي عدّ النزاع بين نائبي الإمام المهدي عجل الله فرجه والمدّعين دليلاً علىٰ زيف ادّعاء النيابة، يبدو أنَّه نسي أنَّ التاريخ شهد نزاعات وصراعات أكثر بكثير وأشد، لكن أهل السنّة في بعض الحالات لم يحكموا فقط

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠١٧.
٢. الشيخ الطوسي - الغيبة، ص٤١٣.
٣. السابق: ص٤١٢.

على بطلان الطرفين المتنازعين، بل عدّوا كليهما على حق، بل وأجروا عليهما الأجر. والنووي من أكبر شراح صحيح مسلم، كتب ما يلي:

(وأمّا علي فخلافته صحيحة بالإجماع، وكان هو الخليفة في وقته لا خلافة لغيره. وأمّا معاوية فهو من العدول الفضلاء، والصحابة النجباء، وأمّا الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلّهم عدول رضي الله عنهم، ومتأوّلون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة؛ لأنَّهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم)[1].

فماذا حدث حتَّىٰ يكون نزاع معاوية وطلحة والزبير وعائشة مع الإمام علي (خليفة رسول الله) وسفك دماء آلاف المسلمين الأبرياء لم يكن نزاعاً علىٰ جيفة الدنيا، ولم يخرجهم عن حدود الحق، ولم يكن سبباً لانحرافهم، بينما نزاع نواب الإمام المهدي مع المدّعين الكاذبين للنيابة، - الذين كان عددهم قليلاً ولم يسفكوا دماً ولم يتجاوزوا النزاع اللفظي - هو دليل بطلان ادّعائهم وانحرافهم عن الحقيقة؟!

حقاً إنَّه لمن الغريب أن يكون النزاع في مكانٍ ما دليلاً علىٰ بطلان طرفي النزاع، وفي مكان آخر - مع أن هذا النزاع موجود بشدّة أكبر - لا يُعدّ أحد الطرفين باطلاً. ما لكُم كَيْفَ تَحْكُمُون؟!

الشبهة الخامسة عشر: [دعوىٰ أنَّه السفارة بالاتفاق مع بعض المدَّعين]:

ويستمر القفاري في سلسلة دعاويه علىٰ هذا النحو، فيقول:

(وقد اضطرّ بعضهم لأن يكشف حقيقة دعوىٰ البابية تلك بسبب أنَّه لم ينجح في اقتناص مجموعة أكبر من الأتباع، ومن هؤلاء محمد بن علي

١. شرح صحيح مسلم - النووي: ج١٥، ص١٤٨.

الشلمغاني المقتول سنة (٣٢٣هـ). وهو ممّن ادّعىٰ النيابة عن مهدي الروافض، ونافس أبا القاسم الحسين بن روح عليها، وفضح أمرهم فقال: (ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح إلّا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش علىٰ هذا الأمر كما تتهارش الكلاب علىٰ الجيف))[1].

نقول: الكاتب في هذا المقطع من ادّعائه يستند إلىٰ كلام الشلمغاني المدّعي الكاذب للنيابة، لإثبات كذب مسألة النيابة، وهذا من أغرب الاستدلالات، لأنَّه أراد أن يستخدم ادِّعاءً بلا دليل لشخص كان من أعداء قضية النيابة كدليل ضدها، وهذا غريب حقّاً أن يستند إلىٰ أكاذيب أعداء في نقد مذهب أو تيار فكري أو اجتماعي.

بالطبع، نحن نوافق السيد القفاري في جزء من المسار، ونقبل ادّعاء الشلمغاني بشأن نفسه، ومن هنا فإنَّ اعتراف العقلاء علىٰ أنفسهم جائز، ونقر بأنه اعترف بنفسه أنه إذا نشب نزاع مع الحسين بن روح حول النيابة لم يكن له هدف سوىٰ الوصول إلىٰ مصالح دنيوية، وكان مثل الكلاب الضارية يبحث عن جيفة الدنيا.

لكن لا ينبغي للقفاري أن يتوقع أن يقبل أحد ادِّعاء الشلمغاني بلا سند حول الحسين بن روح؛ لأنَّ التاريخ دائماً شهد علىٰ العديد من الأشخاص الذين تخلّوا عن مذهبهم واعتنقوا مذهباً جديداً، وبعد هذا التغيير في الموقف أدلوا بآراء حول مذهبهم السابق والأشخاص المرتبطين به. ومن الواضح أنَّه في العديد من هذه التغييرات في المواقف لم تكن نتيجة ظهور الحقيقة، بل بسبب أغراض مادية، أو سياسية، أو اجتماعية... وطبيعة مواقف وآراء هؤلاء الأفراد ستتأثر بنفس تلك الأغراض، ولهذا السبب لا يمكن الوثوق بكلماتهم. ما سبق ذكره يؤكد ويُظهر أنَّ الشلمغاني لم يكن إنساناً صالحاً طالباً

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠١٧.

للحقيقة، وأنَّ معارضته لوكلاء الإمام المهدي عجل الله فرجه لم تكن ناتجة عن حرية فكر أو بحث عن الحقيقة.

الشبهة السادسة عشر: [دعوىٰ انتهاء وعود الشيعة بالظهور]:

ثم قال: (قد تخلفت وعود الشيعة بالظهور للغائب المستور، وساد الشك الأوساط الشيعية، وبدأت تتكشف حقيقة الأمر بعد النزاع الحاد الذي وقع بين أدعياء البابية، ولذلك اختفىٰ نشاط الباب تماماً، فلا تجد له في كتب الشيعة مثل ما تجد لأسلافه من الرقاع والتوقيعات التي ينسبونها للغائب المنتظر...)[1].

هنا السيد القفاري في هذا المقطع يقدم تحليلين عن انتهاء أنشطة سفراء الإمام المهدي عجل الله فرجه عند انتهاء فترة الغيبة الصغرىٰ:

الأوّل: تخلف الوعود بظهور الإمام الغائب. والثاني: النزاع الشديد بين المدّعين للبابية.

فيما يتعلق بالتحليل الأول، يجب أن يقال: إنَّ الكاتب لم يقدّم أي دليل علىٰ هذا التحليل، ولم يوضح كيف أنَّ شيوخ الشيعة قد حددوا زماناً للظهور، وأنّهم كذبوا في وعودهم، وبالطبع إذا كان لديه دليل في هذا الشأن لما تردد في تقديمه. لذلك، فإنَّ تحليله الأول غير صحيح ويفتقر إلىٰ الوثائق.

أمّا التحليل الثاني الذي يتناول النزاع الشديد بين مدَّعي البابية، فقد تم الحديث عنه بالتفصيل سابقاً، وتبيَّن أنَّه:

أوَّلاً: كان عدد المدّعين الكاذبين للنيابة خلال سبعين عاماً في فترة الغيبة الصغرىٰ عدداً قليلاً جداً.

وثانياً: نتيجة لتدخلات الإمام المهدي عجل الله فرجه وتوضيحات نوابه، انكشفت

١. أصول مذهب الشيعة: ص١٠١٨.

الحقيقة وراء المدّعين ولم يتمكنوا من إيجاد مكانة لهم بين الشيعة، لذلك، لم يكن نزاعهم مع سفراء الإمام المهدي عجل الله فرجه بأي شكل من الأشكال سبباً لفتور الناس تجاه منظومة الوكالة.

وبغضّ النظر عن النقد الذي وُجّه لتحليل القفاري حول انتهاء فترة الغيبة الصغرىٰ.

يمكننا هنا التنويه إلىٰ أنَّ اقتضاء أسباب غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه كان أن يختفي وراء حجاب الغيبة، وأنَّ هذه الغيبة ستستمر حتَّىٰ تستيقظ فطرة الناس ويشعروا بضرورة وجوده، ويترقّبوا قدومه، وبعد مجيئه يعرفون قدره وقيمته.

لذلك فللوصول إلىٰ هذه النضوج، لم يكن هناك بد من العيش في الخفاء، لكن المشكلة كانت أنَّه إذا بدأ الإمام عجل الله فرجه غيبته فجأة وبدون استعداد نسبي للشيعة، فقد يتفكك نسيج المجتمع الشيعي، وتنهار أسس ذلك بفعل سيل الشبهات والمشكلات والضغوط. لذا، للوصول إلىٰ وضعية الغيبة الكاملة للمعصوم عليه السلام، لم يكن هناك خيار سوىٰ ذلك، في أن يكون الإمام عليه السلام مخفياً عن أنظار الشيعة، مع الإشراف علىٰ الشيعة من خلال السفراء الذين كانوا علىٰ اتِّصال به، وكانوا يتلقّون الإرشادات مباشرة من قبله، ليهيئوا الشيعة لدخول مرحلة الغيبة الكاملة.

ومن الطبيعي أنَّه مع تحقق هذا الهدف وأُلفة الشيعة مع غيبة الإمام المعصوم عليه السلام واستيعابهم لهذه الحقيقة، أنَّه يمكن في فترة غيبة المعصوم الرجوع إلىٰ العلماء والحكماء لتدبير شؤون الدين والمجتمع، فلم يكن هناك سبب لاستمرار فترة السفارة؛ لأنَّ هذه المرحلة كانت قد أُعدّت أساساً للانتقال من حالة الحضور إلىٰ حالة الغيبة الكاملة.

وبناءً علىٰ هذا التوضيح، يمكن تحليل مسألة قلّة توقيعات الإمام المهدي عجل الله فرجه بالنسبة للسفير الأخير أيضاً، لأنَّه عندما كان القرار هو أن تنتهي

فترة السفارة تدريجياً، وينقطع الاتّصال بين الشيعة والإمام المهدي عجل الله فرجه تماماً، فإنَّ الحالة الأكثر طبيعية هي أنَّ هذا الانقطاع لا يكون مفاجئاً، بل مع انتهاء فترة السفارة يتم تقليل الاتصال بين الإمام والشيعة عبر السفراء تدريجياً حتَّىٰ يتم قطع الاتصال نهائياً.

لذلك، فإنَّ قلة توقيعات الإمام المهدي عجل الله فرجه للسفير الرابع مقارنةً بالسفراء الآخرين أمر طبيعي ومنطقي تماماً، بل إذا واجهنا في عصر السفارة للسفير الرابع عدداً كبيراً من التوقيعات، لكان لدينا تساؤل عن سبب وجود كل هذه التوقيعات رغم القرار بإنهاء عصر السفارة.

وكان السفير علي بن محمد السمري علىٰ دراية تامّة بهذا الأمر، ولم يشك في أهمية منصبه إطلاقاً، واستمر في أداء واجبات السفارة بجدّية حتَّىٰ اللحظات الأخيرة من حياته.

وأمَّا السيد (رونالدسن) الذي ادَّعىٰ أنَّ الشعور باليأس وعدم أهمية منصب السفارة قد أصاب السفير الرابع، فلا يوجد لديه أي دليل عليه، وكما عبَّر القفاري في مكان آخر، فإنَّه هو وغيره من المستشرقين يحلّلون الأحداث التاريخية بناءً علىٰ أفكارهم الإلحادية، لذا فإنَّ تحليلاتهم إذا كانت تفتقر إلىٰ الوثائق، فلا قيمة لها. وبالطبع، فإنَّ السيد القفاري الذي التزم في بداية كتابه باستخدام المصادر الشيعية فقط في نقد عقائد الشيعة، يبدو أنَّه لم يكن لديه خيار سوىٰ الاستناد إلىٰ أقوال المستشرقين الذين ذكرهم في أماكن أخرىٰ ونعتهم بالكفار، ونحن أيضاً نفهم حاله.

ALMAUOOD

المحتويات

تمهيدنا (القراءات المنحرفة في العقيدة المهدوية) – رئيس التحرير ٥

عوامل مختلفة تؤدي إلىٰ التباين والافتراق عن المهدوية: ٥

شبهتان في العقيدة المهدوية:

١ – عدم تعرض البخاري ومسلم للقضية المهدوية

٢ – تضعيف ابن خلدون للروايات المهدوية.....٩

الشيخ كاظم القره غولي

لا وجه لإنكار المهدي عجل الله فرجه إلَّا مجرد الاستبعاد: ١٠

العلم التجريبي لا ينفع في المقام: ١٥

نفي محمد فريد وجدي لعقيدة المهدي في موسوعته: ١٦

أساس النفي عند بعض النافين: ١٩

الشبهة الأولىٰ: عدم ذكر روايات المهدي عجل الله فرجه في الصحيحين: ٢٠

رد شبهة دلالة (عدم نقل البخاري ومسلم) علىٰ ضعف روايات المهدي: ٢١

قلة ما رواه البخاري ومسلم عن علي عليه السلام: ٢٧

هل تعلمون كم هي الروايات التي رووها عن عائشة؟ ٣١

المبالغة في شخصية البخاري وحفظه للحديث: ٣٩

إيراد علىٰ دلالة ترك نقل الحديث علىٰ ضعفه: ٤١

الشبهة الثانية: تضعيف ابن خلدون لروايات المهدي عجل الله فرجه: ٤٢

المحتويات

الأول: عدم التخصص في نقد الأسانيد وتقييمها: ٤٣
الثاني: اعترافه بأن بعض الأخبار التي ذكرها صحيحة: ٤٤
الثالث: عدم صحة بعض مستندات رد الرواية عنده: ٤٦
الرابع: اعترافه بأنَّ جماعة من الأئمة خرَّجوا أحاديث المهدي عجل الله فرجه: ٤٨
الخامس: بطلان ادعائه استيفاء أخبار المهدي عجل الله فرجه: ٤٨
الحب يعمي ويصم: ٤٩
أخبار المهدي متواترة عند القوم: ٥١
السادس: سلبية موقف ابن خلدون من أهل البيت عليهم السلام: ٥٣
لا مهدي إلَّا عيسىٰ: ٥٥

دلائل العصر

تصاعد الاهتمام بالمخلّص الموعود في وجدان شعوب العالم..... ٥٩

مجتبىٰ السادة

المهدوية رسالة ربانية خالدة (البشرية تنتظر): ٦٠
١ – الإسلام: ٦١
٢ – المسيحية: ٦٢
٣ – اليهودية: ٦٢
دلائل تشير إلىٰ صحوة عالمية بحثاً عن المخلِّص: ٦٥

المحتويات

١ – نهاية العالم والمخلِّص الموعود، نظرة إحصائية عالمية: ٦٦
٢ – كثرة الإصدارات الثقافية: ٧٣
٣ – توقيت عودة المسيح: ٧٩
الأسباب الكامنة وراء ازدياد البحث عن المخلِّص: ٨٤
١ – الأزمات والاضطرابات السياسية: ٨٤
٢ – الكوارث العالمية الكبرىٰ: ٨٥
٣ – البحث عن العدالة: ٨٦
٤ – التحولات الاجتماعية والأخلاقية: ٨٧
قراءة فكرية واستراتيجية لدلالات تصاعد الاهتمام بالمخلِّص الموعود: ٨٨
التحليل الاستراتيجي: ٨٩
١ – مؤشر علىٰ قلقٍ وجودي حقيقي: ٨٩
٢ – فقدان الثقة بالنظم والمؤسسات الدولية القائمة: ٩٠
٣ – مؤشر لتحوُّلات كبرىٰ في الرأي العام العالمي: ٩٠
٤ – بحث عن قيادة عالمية واحدة: ٩٠
٥ – تآكل الأيديولوجيات والمعتقدات السائدة: ٩١
٦ – بداية تحول في دورة الحضارات: ٩١
٧ – الانعكاسات علىٰ السياسات الدولية: ٩٢
استنتاج استراتيجي: ٩٢

المحتويات

التحليل الفكري: ٩٣
علم النفس: ٩٣
علم الاجتماع: ٩٤
التخطيط الاستراتيجي المستقبلي: ٩٤
استنتاج فكري: ٩٥
الرؤية الدينية والروحية: ٩٥
١ – التطلُّع إلىٰ الخلاص الروحي الشامل: ٩٦
٢ – إحياء النبوءات والرموز الدينية الكبرىٰ: ٩٦
٣ – حاجة البشرية إلىٰ مرشد رباني: ٩٧
٤ – مؤشر علىٰ أزمة أخلاقية عالمية: ٩٧
٥ – انعكاس لمفهوم النهاية والبداية في الأديان: ٩٧
سرّ الانتظار: ٩٨
ما الذي يدفع مليارات البشر للبحث عن المخلِّص حالياً؟ ٩٨
استنتاج من منظور أيديولوجي (العودة إلىٰ الروحانية): ٩٩
خلاصة استراتيجية: ٩٩
جسر الحضارات: ١٠٠
فوائد تعزيز الإيمان بالمخلِّص في وجدان الشعوب: ١٠٠

المحتويات

سبل تعزيز عقيدة (المخلص الموعود) لدىٰ الرأي العام العالمي: ١٠٣
أبرز التحديات التي تواجه عقيدة المخلِّص في العالم المعاصر: ١٠٥
١ – التنوع الثقافي والفكري: ١٠٥
٢ – التحديات السياسية: ١٠٥
٣ – المؤسسات الإعلامية: ١٠٥
٤ – التحديات القومية: ١٠٦
٥ – التطورات الاجتماعية: ١٠٦
٦ – التحديات الشخصية: ١٠٦

القيم الأخلاقية في الدولة المهدوية

تأسيسات ومبادئ..... ١٠٩

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

مقدمة: ١٠٩
المطلب الأول: تأسيسات: ١١١
الأساس الأول: واقعية الأخلاق في الدين الإسلامي: ١١١
الأساس الثاني: إطلاق الأخلاق وعدم نسبيتها: ١١٢
الأساس الثالث: أقسام الأفعال من حيث الحسن والقبح: ١١٣
الأساس الرابع: التوازن السلوكي: ١١٥

المحتويات

الأساس الخامس: ارتباط المبادئ الأخلاقية بأصول الدين وفروعه: ١١٦
المطلب الثاني: مبادئ التطبيق الأخلاقي في دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه: ١١٦
المبدأ الأول: الرجوع إلىٰ الفطرة: ١١٧
المبدأ الثاني: وضوح الرؤية الكونية: ١١٩
أ – التعريف بالعقيدة الحقة: ١١٩
ب – نشر العلم والمعرفة والقضاء علىٰ الجهل: ١٢٠
المبدأ الثالث: توفير الأجواء المناسبة للتطبيق الأخلاقي: ١٢٠
١ – التطبيق النموذجي للمبادئ الأخلاقية من قيادات الدولة: ١٢٠
ب – توفير أماكن العلم والمعرفة – بناء المساجد نموذجاً –: ١٢٢
المبدأ الرابع: القضاء علىٰ موانع التطبيق الأخلاقي: ١٢٤
أ – إبليس: ١٢٥
النصُّ الأوَّل: أنَّ الذي يقتله هو الإمام المهدي عجل الله فرجه عند قيامه: ١٢٦
النصُّ الثاني: أنَّ الذي يقتله هو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في الرجعة: ١٢٦
النصُّ الثالث: أنَّ الذي يقتله هو أمير المؤمنين عليه السلام في الرجعة: ١٢٦
أمَّا ما هو معنىٰ قتل الإمام المهدي عجل الله فرجه لإبليس؟ ١٢٧
ب – القضاء علىٰ الأعداء (الكافرين والمشركين): ١٢٨
ج – القضاء علىٰ الفقر والحاجة المادية: ١٣٠

المحتويات

المطلب الثالث: نماذج من الأخلاق العملية في دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: ١٣١
النموذج الأول: تقديم الواجب على المستحب عند التعارض: ١٣٢
النموذج الثاني: عموم العدل: ١٣٣
النموذج الثالث: التكافل الاجتماعي (يقضي الدين) مثلاً: ١٣٥
النموذج الرابع: آداب وأخلاقيات الحرب: ١٣٦
الخاتمة: ١٣٩
شخصيّات محورية في الحركة المهدوية..... ١٤١
الشيخ علي كريّم
مقدِّمة: ١٤١
أوّلاً: الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف وأنصاره في القرآن الكريم: ١٤٤
ثانياً: من هم الأبدال؟ ١٤٦
١ - اختلفت الآراء كثيراً حول مصطلح الأبدال..... ١٤٦
٢ - الأبدال في روايات أهل السنّة: إنَّ أهمّ ما تشير إليه الروايات السنية في موضوع الأبدال:..... ١٤٧
٣ - الأبدال في الأحاديث والروايات الشيعية: ١٤٨
٤ - مصاديق الأبدال في الروايات: ١٤٨
الأول: الأئمة المعصومون عليهم السلام أو خواص أصحابهم: ١٤٨

المحتويات

الثاني: أصحاب الإمام المهدي المنتظر عليه السلام: ١٤٩
ثالثاً: رجالٌ حول الإمام المهدي عليه السلام: ١٥٠
السيّد الخراساني: ١٥٠
١ – اسمه ونسبه: ١٥٠
٢ – حركته ودوره في الظهور: ١٥١
اليماني: ١٥٣
١ – اسمه ونسبه: ١٥٣
٢ – زمان ظهوره ودوره في عملية الظهور: ١٥٤
٣ – لماذا رايته أهدىٰ الرايات؟ ١٥٥
النفس الزكية: ١٥٧
ب – نسبه: ١٥٨
٢ – زمان ومكان ظهوره، وسبب استشهاده: ١٥٩
ب – سبب استشهاده: ١٥٩
شعيب بن صالح: ١٦٠
١ – اسمه ونسبه: ١٦٠
٢ – دوره في عملية الظهور: ١٦٠
الخاتمة: ١٦١

المحتويات

فتن آخر الزمان وأساليب المواجهة

(فتنة السفياني أنموذجاً).....١٦٣

علاء عبد علي مخيط السعيدي

مقدمة: ١٦٣

تمهيد: الفتنة: مفهومها، سُنَنيَّتها، أنواعها: ١٦٥

أوَّلاً: مفهوم الفتنة: ١٦٥

ثانياً: الفتنة سُنَّة إلهية: ١٦٥

ثالثاً: أنواع الفتن: ١٦٦

الغفلة عن بداية الفتنة: ١٦٦

المطلب الأول: الأساليب العامة لمواجهة الفتنة: ١٦٧

أوَّلاً: الصبر وعدم الانجرار إلىٰ مزالق الفتنة: ١٦٧

ثانياً: اتِّباع القيادة الرشيدة: ١٦٧

ثالثاً: استعمال القوة في مواجهة الفتنة: ١٦٨

المطلب الثاني: فتن آخر الزمان، وعوامل الوقوع فيها: ١٦٩

أولاً: كثرة الفتن في آخر الزمان: ١٦٩

ثانياً: عوامل الوقوع في فتن آخر الزمان: ١٧٠

المطلب الثالث: فتنة السفياني، وأساليب مواجهتها: ١٧٣

المحتويات

أولاً: فتنة السفياني: ١٧٣
ثانياً: أساليب مواجهة فتنة السفياني: ١٧٦
الدرس المهدوي بين الأهمية وآليات التخصص
(أهمية البحث عن القواعد المهدوية وتدوينها والاعتماد عليها في ضبط المسائل المتعلقة بالمهدوية)..... ١٨٣
الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي
تمهيد: ١٨٣
الفصل الأوّل: تعريف الدرس المهدوي وأنحاء التلقي التخصصي، في نقاط ثلاث: ١٨٥
قواعد المسائل المهدوية في كتاب كمال الدين: ١٩٣
كتاب المقنع في الغيبة: ١٩٦
الفصل الثاني: القواعد العامة التي ينبغي الاشتغال عليها وآليات التعاطي المعرفي مع المهدوية:..... ١٩٩
الأولىٰ: تأصيل القواعد:..... ٢٠٠
الثانية: البحث العام في تأسيس القواعد: ٢٠٢
الثالثة: القواعد في المهدوية:..... ٢٠٤
نماذج من قواعد هذه الجهة ذكرها بعض الأعلام قدس سره: ٢٠٧
الفصل الثالث: نماذج من تطبيقات حول القواعد المهدوية: ٢١٠
حول الوظيفة تجاه الإمام عجل الله فرجه في الغيبة: ٢١٠

المحتويات

التطبيق الأول: في وجوب نصرة الإمام عليه السلام للقيام بوظيفته: ٢١٠
يقع البحث في بيان عدَّة قواعد متسلسلة: ٢١١
القاعدة الأولىٰ: قاعدة أنَّ نصرة الإمام عجل الله فرجه علىٰ أساس المزج بين الغيب والبشرية: ٢١١
القاعدة الثانية: تفرع وجوب الطاعة علىٰ ضرورة المعرفة للإمام عليه السلام: ذكرت العديد من الأدلة الدالة علىٰ وجوب البحث عن الإمام عليه السلام، والمتضمنة لوجوب طاعته ونصرته، ومن عناوينها: ٢١٢
القاعدة الثالثة: لزوم النفر إلىٰ الإمام عليه السلام: ٢١٣
القاعدة الرابعة: إطلاق لزوم التمكين للإمام عليه السلام: ٢١٤
شواهد ومؤيدات: الانتظار ومراتب النصرة والإعداد: ٢١٩
قاعدة: لا تُطبَّق ما لم تجزم بالعلامة: ٢٢٨
قواعد في مسألة فرعية من مسألة العلامات: قواعد مسألة الصيحة: ٢٣٢

نقد ومراجعة شبهات الدكتور ناصر القفاري

حول فكرة المهدوية..... ٢٣٩

الناقد: نصرت الله آيتي

المترجم: علاء الزبيدي

تمهيد: ٢٣٩
مقدمة: ٢٣٩

المحتويات

الشبهة الأولىٰ: [عقيدة الغيبة عند فِرَق الشيعة]: ٢٤٤
نقد ومراجعة: ٢٤٦
الشبهة الثانية: [نشأة فكرة الغيبة]: ٢٤٩
نقد ومراجعة: ٢٥٠
كلام الشيخ المفيد: ٢٥١
كلام الشيخ الصدوق: ٢٥١
كلام الذهبي: ٢٥١
كلام ابن حزم: ٢٥٢
القضية الثانية: قضيّة الحيرة في بدء الغيبة الكبرىٰ: ٢٥٢
نقد ومراجعة: ٢٥٤
الشبهة الثالثة: [أسباب القول بالغيبة]: ٢٥٨
نقد ومراجعة: ٢٥٩
الشبهة الرابعة: [دعوىٰ سعي الشيعة إلىٰ خلق كيان سياسي]: ٢٦١
نقد ومراجعة: ٢٦٢
الشبهة الخامسة: [دعوىٰ وجود دور للديانات السابقة في تأسيس المهدوية]: ٢٦٣
نقد ومراجعة: ٢٦٣
الشبهة السادسة: [واضح مبدأ الغيبة]: ٢٦٦

المحتويات

نقد ومراجعة: ٢٦٧
الشبهة السابعة: [دعوىٰ النزاع علىٰ السفارة زمن السفير الأوَّل]: ٢٦٨
الشبهة الثامنة: [دعوىٰ إخراج التوقيعات الكاذبة من أجل الأموال]: ٢٦٩
الشبهة التاسعة: [دعوىٰ كثرة المخالفين في سفارة محمد بن عثمان]: ٢٦٩
الشبهة العاشرة: [دعوىٰ وكالة محمد بن علي بن بلال]: ٢٧١
الشبهة الحادية عشر: [دعوىٰ التزاحم علىٰ البابية من أجل الأموال]: ٢٧١
الشبهة الثانية عشر: [دعوىٰ إخراج توقيعات اللعن علىٰ من لا يدفع الأموال]: ٢٧٤
الشبهة الثالثة عشر: [دعوىٰ سيادة لغة المال علىٰ التوقيعات]: ٢٧٥
الشبهة الرابعة عشر: [دعوىٰ النزاع في تعين السفير الثالث]: ٢٧٦
الشبهة الخامسة عشر: [دعوىٰ أنَّه السفارة بالاتفاق مع بعض المدَّعين]: ٢٧٧
الشبهة السادسة عشر: [دعوىٰ انتهاء وعود الشيعة بالظهور]: ٢٧٩

اللهم لك الحمد
الحجة الحسن
صلواتك عليه وعلى آبائه
في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً
وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك
طوعاً وتمتعه فيها طويلاً